Patrimonio Nacional

# MANUSCRITOS ARABES

## Código Nº 1474

1474

Manuscrit d'un ouvrage sur la condamnation des sectes. par Taḳi ad-din Abu 'l-'Abbās Aḥmad b. 'Abd al-Ḥalim Ibn Taimīya, † 728/1328, intitulé : الكلام على حقيقة الاسلام والايمان : cf. Brockelmann, *Ar. Litt.*, II, $104_{14}$ ; Ben Cheneb, in *Enc. Isl.*, II, $449_{2}$, 47°. Incipit : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره... اعلم ان الايمان والاسلام يجتمع فيهما الدين كله الخ ' Sans date. Copie collationnée sur l'original.

**CASIRI 1469; DERENBOURG 1474**

**137 folios**

~~N. [illegible]~~

1.

الحمد لله

من كتب عبد الله [illegible]

[illegible] الشيخ [illegible]

Ahmad ben Taimiah tractatus de fide Mahometanorum: ubi author suam probat sectam, aliasque refellit. Sine æra =

~~N. 794.~~

~~Cod 1331~~

Cod. 1474

وكان [illegible]

[illegible]

[illegible] ٩٨

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ الامام العالم العلامة بقية السلف الكرام شيخ الاسلام ومفتي الانام بحر العلوم نخبة الراسخين منبع الفهوم وكنز المستفيدين الرباني المجتهد تقي الدين ابو العباس احمد بن الشيخ الامام العالم العلامة عبد الحليم ابن الشيخ الامام العالم العلامة مجد الدين ابي البركات بن تيمية تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وسلم تسليما كثيرا دايما

اعلم ان الايمان والاسلام يجتمع فيهما الدين كله وقد كثر كلام الناس في حقيقة الايمان والاسلام ونزاعهم واضطرابهم وقد صنف في ذلك مجلدات والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامة الطوايف ونحن نذكر ما يستفاد من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع كلام الله سبحانه وتعالى فيصل المومن الى ذلك من نفس كلام الله تعالى ورسوله فان هذا هو المقصود فلا نذكر اختلاف الناس ابتدا بل نذكر من ذلك في ضمن بيان ما يستفاد من كلام الله ورسوله ما يبين ان رد موارد النزاع الى الله والى الرسول خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة في الدنيا والاخرة

فنقول قد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام بين مسمى الاسلام ومسمى الايمان ومسمى الاحسان فقال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا وقال الايمان ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره والفرق مذكور في حديث عمر الذي انفرد به مسلم وفي حديث ابي هريرة الذي اتفق البخاري ومسلم عليه وكلاهما فيه ان جبريل عليه الصلاة والسلام جاه في صورة انسان اعرابي يسال وفي حديث عمر انه جاه في صورة اعرابي وكذلك فسر الاسلام في حديث ابن عمر المشهور قال بني واقام الصلاة

وايتا الزكاة



وايتاء الزكوة وحج البيت وصوم رمضان وحديث جبريل يبين ان الاسلام المبني على خمس هو الاسلام نفسه ليس المبني غير المبني عليه بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم الدين ثلث درجات اعلاها الاحسان واوسطها الايمان ويليه الاسلام فكل محسن مومن وكل مومن مسلم وليس كل مومن محسنا ولا كل مسلم مومنا كما سياتي بيانه ان شا الله تعالى في ساير الاحاديث كالحديث الذي رواه حماد ابن زيد عن ايوب عن ابي قلابة عن رجل من اهل الشام عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له اسلم تسلم قال وما الاسلام قال ان تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فاي الاسلام افضل قال الايمان قال وما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت قال فاي الايمان افضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال ان تهجر السو قال فاي الهجرة افضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال ان تجاهد او تقاتل الكفار اذا لقيتهم ولا تغلل ولا تجبن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عملان هما افضل الاعمال الا من عمل بمثلهما قالها ثلثا حجة مبرورة او عمرة رواه احمد ومحمد بن نصر المروزي ٥

ولهذا يذكر هذه المراتب الاربعة فيقول المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمومن من امنه الناس على دمايهم واموالهم والمهاجر من هجر السيات والمجاهد من جاهد نفسه لله وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عبد الله ابن عمرو وفضالة ابن عبيد وغيرهما باسناد جيد وهو في السنن وبعضه في الصحيحين وقد ثبت عنه من غير وجه المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمومن من امنه الناس على دمايهم واموالهم ومعلوم ان من كان مومنا مامونا على الدماء والاموال كان المسلمون يسلمون من لسانه ويده ولولا سلامتهم منه لما ايتمنوه ٥ وكذلك في حديث عبيد ابن عمير عن عمرو ابن عبسة او عن ابيه عن جده انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما الاسلام قال اطعام الطعام وطيب الكلام قيل فما الايمان قال السماحة والصبر قيل فمن افضل المسلمين اسلاما قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قيل فمن افضل المومنين ايمانا قال احسنهم خلقا قيل فما افضل الهجرة قال من هجر ما حرم الله عليه قال اي الصلاة افضل قال طول القنوت قال اي الصدقة افضل قال جهد من مقل قال اي الجهاد افضل قال ان تجاهد بمالك ونفسك فيعقر جوادك ويراق دمك قال اي الساعات افضل قال

جوف الليل الغابر ٥ ومعلوم ان هذا كله مراتب بعضها فوق بعض والا فالمهاجر
لا بد له ان يكون مومنا وكذلك المجاهد ولهذا قال الايمان السماحة والصبر وقال في
الاسلام اطعام الطعام وطيب الكلام والاول مستلزم الثاني فان من كان خلقه
السماحة فعل هذا بخلاف الاول فان الانسان قد يفعل ذلك تخلقا ولا يكون في خلقه
سماحة وصبر وكذلك قال افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقال
افضل المومنين ايمانا احسنهم خلقا ومعلوم ان هذا يتضمن الاول فمن كان حسن
الخلق فعل ذلك ٥ قيل للحسن البصري ما حسن الخلق قال بذل الندى وكف الاذى
وطلاقة الوجه ٥ فكف الاذى جزء من حسن الخلق وستاتي الاحاديث الصحيحة بانه
جعل الاعمال الظاهرة من الايمان كقوله الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا
اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ٥ وقوله لوفد عبد القيس امركم
بالايمان بالله وحده اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واقام الصلاة وايتاء الزكوة وان تودوا خمس ما غنمتم ومعلوم انه لم يرد ان هذه الاعمال
تكون ايمانا بالله بدون ايمان القلب لما قد اخبر في غير موضع انه لا بد من ايمان القلب
فعلم ان هذه مع ايمان القلب هو الايمان ٥ وفي المسند عن انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان في القلب وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد الا وهي القلب فمن
صلح قلبه صلح قطعا بخلاف العكس ٥ وقال سفيان بن عيينة كان العلماء فيما مضى (جسده صح)
يكتب بعضهم الى بعض بهؤلاء الكلمات من اصلح سريرته اصلح الله علانيته ومن اصلح ما بينه
وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس ومن عمل لاخرته كفاه الله امر دنياه رواه
ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص ٥ فعلم ان القلب اذا صلح بالايمان صلح الجسد بالاسلام وهو
من الايمان يدل على ذلك انه قال في حديث جبريل عليه السلم هذا جبريل جاءكم
يعلمكم دينكم فجعل الدين هو الاسلام والايمان والاحسان فتبين ان ديننا يجمع الثلثة
لكن هو درجات ثلثة مسلم ثم مومن ثم محسن كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة بخلاف الظالم لنفسه وهكذا من اتى

بالاسلام



بالاسلام الظاهر مع تصديق القلب لكن لم يقم بما يجب عليه من الايمان الباطن فانه معرض
للوعيد كما سياتي بيانه ان شاء الله واما الاحسان فهو اعم من جهة نفسه واخص
من جهة اصحابه من الايمان والايمان اعم من جهة نفسه واخص من جهة اصحابه من الاسلام
فالاحسان يدخل فيه الايمان والايمان يدخل فيه الاسلام والمحسنون اخص من المومنين
والمومنون اخص من المسلمين وهذا كما نقول في الرسالة والنبوة فالنبوة داخلة
في الرسالة والرسالة اعم من جهة نفسها واخص من جهة اهلها فكل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا فالانبياء اعم والنبوة نفسها جزء من الرسالة فالرسالة تتناول النبوة وغيرها
بخلاف الرسل فانهم لا يتناولون الانبياء وغيرهم بل الامر بالعكس ٥ والنبي صلى الله
عليه وسلم فسر الاسلام والايمان بما اجاب به كما يجاب عن المحدود بالحد اذا قيل ما كذا
كما في الحديث الصحيح لما قيل ما الغيبة قال ذكرك اخاك بما يكره وفي الحديث الاخر
الكبر بطر الحق وغمط الناس وبطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس احتقارهم
وازدراؤهم وسنذكر ان شاء الله سبب تنوع اجوبته وانها كلها حق ولكن المقصود
ان قوله بني الاسلام على خمس كقوله الاسلام هو الخمس كما ذكر في حديث جبريل
فان الامر المركب من اجزاء تكون الهيئة الاجتماعية فيه مجمعة مبنية على تلك الاجزاء
ومركبة منها فالاسلام مبني على هذه الاركان وسنبين ان شاء الله تعالى اختصاص
بكونها هي الاسلام وعليها بني الاسلام ولم خصت بذلك دون غيرها من الواجبات
وقد فسر الايمان في حديث وفد عبد القيس بما فسر به الاسلام هنا لكنه لم يذكر
فيه الحج وهو متفق عليه فقال امركم بالايمان بالله وحده هل تدرون ما الايمان بالله
وحده قالوا الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده رسول الله
واقام الصلاة وايتاء الزكوة وصوم رمضان وان تودوا خمس ما غنمتم او خمسا من المغنم
وقد روي في بعض طرقه الايمان بالله وشهادة ان لا اله الا الله لكن الاول اشهر
وفي رواية ابي سعيد امركم باربع وانهاكم عن اربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وقد فسر في حديث شعب الايمان بما هو منها فقال الايمان بضع وستون او
بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق
والحياء شعبة من الايمان وثبت عنه من وجوه متعددة انه قال الحياء شعبة من الايمان

من حديث ابن عمر وابن مسعود وعمران ابن حصين وقال ايضا لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وقال لا يؤمن احد لم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من
يا رسول الله قال الذي لا يامن جاره بوايقه ٥ وقال من راى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وقال
ما بعث الله من نبي الا كان في امته قوم يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم انه
تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم
بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وهذا
من افراد مسلم وكذلك في افراد مسلم قوله والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا
ولا تومنوا حتى تحابوا او لا ادلكم على شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم ٥
وقال في الحديث المتفق عليه من رواية ابي هريرة ورواه البخاري من حديث ابن عباس
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يشرب الخمر
حين يشربها وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا ينتهب نهبة
ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مومن ٥ فصل فيقال الايمان
تارة يذكر مفردا غير مقرون باسم الاسلام ولا باسم العمل الصالح ولا غيرهما وتارة يذكر
مقرونا اما بالاسلام كقوله في حديث جبريل ما الاسلام وما الايمان وكقوله تعالى ان
المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات وقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا
ولكن قولوا اسلمنا وقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت
من المسلمين وكذلك ذكر الايمان مع العمل الصالح وذلك في مواضع من القران
كقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واما مقرونا بالذين اوتوا العلم كقوله
تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وحيث ذكر الذين امنوا فقد دخل فيهم الذين اوتوا العلم فانهم خيارهم قال تعالى
والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وقال لكن الراسخون في العلم منهم
والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك ويذكر ايضا لفظ المومنين مقرونا
بالذين هادوا والنصارى والصابيين ثم يقول من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل





صالحا فلهم اجرهم عند ربهم فالمومنون في ابتداء الخطاب غير الثلاثة والايمان الاخص
عمهم كما عمهم في قوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ٥
وسنبسط هذا ان شاء الله فالمقصود هنا العموم والخصوص بالنسبة الى معاني الاسما
والظاهر من الايمان واما العموم بالنسبة الى الملل فتلك مسلة اخرى فلما ذكر الايمان
مع الاسلام جعل الاسلام هو الاعمال الظاهرة الشهادتين والصلوة والزكوة والصيام
والحج وجعل الايمان ما في القلب من الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
وهكذا في الحديث الذي رواه احمد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام
علانية والايمان في القلب واذا ذكر اسم الايمان مجردا دخل فيه الاسلام والاعمال الصالحة
كقوله في حديث الشعب الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها قول لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق وكذلك ساير الاحاديث التي يجعل فيها اعمال البر من الايمان
ثم ان نفي الايمان عند عدمها دل على انها واجبة وان ذكر فضل ايمان صاحبها ولم ينف ايمانه
دل على انها مستحبة فان الله ورسوله لا ينفي اسم مسمى امر الله به ورسوله الا اذا ترك
بعض واجباته كقوله لا صلوة الا بام القران وقوله لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن
لا عهد له ونحو ذلك فاما اذا كان الفعل مستحبا في العبادة لم ينفها لانتفا المستحب فان
هذا لو جاز لجاز ان ينفى عن جمهور المومنين اسم الايمان والصلاة والزكوة والحج لانه ما
من عمل الا وغيره افضل منه وليس احد يفعل افعال البر مثل ما فعلها النبي صلى الله عليه
وسلم بل ولا ابو بكر ولا عمر فلو كان من لم يات بكمالها المستحب يجوز نفيها عنه لجاز
ان ينفى عن جمهور المسلمين من الاولين والاخرين وهذا لا يقوله عاقل فمن قال ان
المنفي هو الكمال فان اراد انه نفي الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويتعرض للعقوبة
فقد صدق وان اراد انه نفي الكمال المستحب فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله ولا
يجوز ان يقع فان من فعل الواجب كما وجب عليه لم ينتقص من واجبه شيا لم يجز ان
يقال ما فعله لا حقيقة ولا مجازا فاذا قال للاعرابي المسيء في صلوته ارجع فصل فانك
لم تصل وقال لمن صلى خلف الصف وقد امره بالاعادة لا صلاة لفذ خلف الصف كان
لترك واجب وكذلك قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فيبين ان الجهاد واجب

وترك الارتياب واجب والجهاد وان كان فرضا على الكفاية فجميع المومنين يخاطبون
به ابتداء فعليهم كلهم اعتقاد وجوبه والعزم على فعله اذا تعين ولهذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة نفاق رواه
مسلم فاخبر انه من لم يهم به كان على شعبة نفاق وايضا فالجهاد جنس تحته انواع
متعددة فلا بد ان يجب على المومن نوع من انواعه ولذلك قوله انما المومنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا هذا كله واجب
فان التوكل على الله تعالى واجب من اعظم الواجبات كما ان الاخلاص لله واجب
وحب الله ورسوله واجب وقد امر الله تعالى بالتوكل في غير اية اعظم مما امر
بالوضوء والغسل من الجنابة ونهى عن التوكل على غير الله قال تعالى فاعبده وتوكل عليه
وقال الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المومنون وقال تعالى ان ينصركم الله
فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المومنون
وقال تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين واما
قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فيقال
من احوال القلوب القلب واعمالها من لوازم الايمان الثابتة فيه بحيث اذا كان
الانسان مومنا لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له واذا لم يوجد دل على ان الايمان
الواجب لم يحصل في القلب وهذا كقوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك
كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه فاخبر انك لا تجد مومنا يواد المحادين لله ورسوله
فان نفس الايمان ينافي موادته كما ينفي احد الضدين الاخر فاذا وجد الايمان انتفى
ضده وهو موالاة اعداء الله تعالى فاذا كان الرجل يوالي اعداء الله بقلبه كان ذلك دليلا
على ان قلبه ليس فيه الايمان الواجب ومثله قوله تعالى في الاية الاخرى ترى كثيرا منهم
يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم
فاسقون فذكر جملة شرطية تقتضي انه اذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف لو

التي

انتفا المشروط
التي يقتضي مع الشرط اسفا الشرط فقال ولو كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما
اتخذوهم اولياء فدل على ان الايمان المذكور ينفي اتخاذهم اولياء ويضاده ولا يجتمع الايمان
واتخاذهم اولياء في القلب ودل ذلك على ان من اتخذهم اولياء ما فعل الايمان الواجب
من الايمان بالله والنبي وما انزل اليه ومثله قوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم فانه اخبر في تلك الايات
ان متوليهم لا يكون مومنا واخبر هنا ان متوليهم هو منهم فالقران يصدق بعضه بعضا
قال تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني ولذلك قوله انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه دليل على
ان الذهاب المذكور بدون استيذانه لا يجوز وانه يجب ان لا يذهب حتى يستاذنه
فمن ذهب ولم يستاذنه كان قد ترك بعض ما يجب من الايمان فلهذا نفي عنه الايمان
فان حرف انما يدل على اثبات المذكور ونفي غيره ومن الاصوليين من يقول ان الا للاثبات ان م
وما للنفي فاذا اجمع بينهما دلت على النفي والاثبات وليس كذلك عند اهل العربية ومن
يتكلم في ذلك بعلم فان ما هذه هي الكافة التي تدخل على ان واخواتها فتكفها عن العمل
لانها انما تعمل اذا اختصت بالجمل الاسمية فلما كفت بطل اختصاصها فصار يليها الجمل الفعلية
والاسمية فتغير معناها وعملها جميعا بانضمام ما اليها ولذلك كانما وغيرها وكذلك
قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما
اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم
الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم
ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ان يقولوا
سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون فان قيل اذا كان المومن حقا هو الفاعل للواجبات
التارك للمحرمات فقد قال اولئك هم المومنون حقا ولم يذكر الا خمسة اشيا وكذلك
قال في الاية الاخرى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا با موالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وكذلك قوله ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يومنون بالله ورسوله قيل عن هذا جوابان احدهما ان يكون ما ذكر مستلزما
لما ترك فانه ذكر وجل قلوبهم اذا ذكر الله وزيادة ايمانهم اذا تليت اياته مع التوكل عليه

واقام الصلوة على الوجه المامور به باطنا وظاهرا وكذلك الانفاق من المال والمنافع فكان
هذا مستلزما للباقي فان وجل القلوب عند ذكر الله تعالى يتضمن خشيته والخوف
منه وقد فسروا وجلت بفرقت وفي قراءة ابن مسعود اذا ذكر الله فرقت قلوبهم وهذا
صحيح فان الوجل في اللغة هو الخوف يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه قوله
تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ٥ قالت
عايشة يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويخاف ان يعاقب قال لا يا بنت الصديق
هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه ٥ وقال السدي في قوله
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فينزع عنه وهذا
كقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى وقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان قال مجاهد وغيره من المفسرين هو الرجل يهم بالمعصية
فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركها خوفا من الله واذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن
خشيته ومخافته فذلك يدعو صاحبه الى فعل المامور وترك المحظور قال سهل بن
عبد الله ليس بين العبد وبين الله حجاب اغلظ من الدعوى ولا طريق اقرب اليه من الافتقار
واصل كل خير في الدنيا والاخرة الخوف من الله ويدل على ذلك قوله تعالى ولما سكت عن موسى
الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون فاخبر ان الهدى
والرحمة للذين هم يرهبون الله ٥ قال مجاهد وابراهيم هو الرجل يريد ان يذنب الذنب فيذكر
مقام الله فيدع الذنب رواه ابن ابي الدنيا عن ابن الجعد عن شعبة عن منصور عنهما في قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وهولاء هم اهل الفلاح المذكورون في قوله تعالى اولئك على
هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وهم المومنون المتقون المذكورون في قوله
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين كما قال في اية البر اولئك الذين صدقوا
واولئك هم المتقون وهولاء هم المتبعون للكتاب كما في قوله تعالى فمن اتبع هداي
فلا يضل ولا يشقى واذا لم يضل فهو مهتد واذا لم يشق فهو مرحوم وهولاء هم
اهل الصراط المستقيم الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصا
غير المغضوب عليهم ولا الضالين فان اهل الرحمة ليسوا مغضوبا عليهم واهل الهدى
ليسوا ضالين فتبين ان اهل رهبة الله يكونون متقين لله مستحقين لجنته بلا عذاب

وهولاء



وهولاء هم الذين اتوا بالايمان الواجب ومما يدل على هذا المعنى قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء والمعنى انه لا يخشاه الا عالم فقد اخبر الله ان كل من خشي الله فهو
عالم كما قال في الاية الاخرى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجوا
رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والخشية ابدا متضمنة
للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطا كما ان الرجا يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان
امنا فاهل الخوف لله والرجا له هم اهل العلم الذين مدحهم الله وقد روي عن
ابي حيان التيمي انه قال العلماء ثلثة فعالم بالله ليس عالما بامر الله وعالم بامر الله ليس
عالما بالله وعالم بالله عالم بامر الله فالعالم بالله هو الذي يخافه والعالم بامر الله الذي
يعلم امره ونهيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والله اني لارجوا ان
اكون اخشاكم لله واعلمكم بحدوده واذا كان اهل الخشية هم العلماء الممدوحون في
الكتاب والسنة لم يكونوا مستحقين للذم وذلك لا يكون الا مع فعل الواجبات ويدل
عليه قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فوعد
بنصر الدنيا وثواب الاخرة لاهل الخوف وذلك انما يكون لانهم ادوا الواجب
فدل على ان الخوف يستلزم فعل الواجب ولهذا يقال للفاجر لا يخاف الله ويدل على
هذا المعنى قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
قال ابو العالية سالت اصحاب محمد عن هذه الاية فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل
وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وكذلك قال سائر المفسرين قال مجاهد كل عاص
فهو جاهل حين معصيته وقال الحسن وقتادة وعطا والسدي وغيرهم انما سموا
جهالا لمعاصيهم لا انهم غير مميزين وقال الزجاج ليس معنى الاية انهم يجهلون انه
سوء لان المسلم لو اتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سوءا وانما يحتمل امرين احدهما انهم
عملوه وهم يجهلون المكروه فيه والثاني انهم اقدموا على بصيرة وعلم بان عاقبته مكروهة
واثروا العاجل على الاجل فسموا جهالا لايثارهم القليل على الراحة الكثيرة والعافية
الدايمة فقد جعل الزجاج الجهل اما عدم العلم بعاقبة الفعل واما فساد الارادة
وقد يقال هما متلازمان وهذا مبسوط في الكلام مع الجهمية والمقصود هنا ان كل

عاصٍ لله فهو جاهل وكل خائف منه فهو عالم مطيع لله وإنما يكون جاهلاً لنقص
خوفه من الله إذ لو تم خوفه لم يعص ومنه قول ابن مسعود رضي الله عنه كفى
بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً وذلك لأن تصور المخوف يوجب الهرب
منه وتصور المحبوب يوجب طلبه فإذا لم يهرب من هذا ولم يطلب هذا دل على أنه
لم يتصوره تصوراً تاماً ولكن قد يتصور الخبر عنه وتصور الخبر وتصديقه وحفظ
حروفه غير تصور المخبر به وكذلك إذا لم يكن المتصور محبوباً له ولا مكروهاً فإن الإنسان
يصدق بما هو مخوف على غيره ومحبوب لغيره ولا يورثه ذلك هرباً ولا طلباً وكذلك
إذا أخبر بما هو محبوب له ومكروه ولم يكذب المخبر بل عرف صدقه لكن قلبه
مشغول بأمور أخرى عن تصور ما أخبر به فهذا لا يتحرك للهرب ولا للطلب وفي الكلام
المعروف عن الحسن البصري وروي مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم علمان
علم في القلب وعلم في اللسان فعلم القلب هو العلم النافع وعلم اللسان حجة الله على عباده
وقد أخرجا في الصحيحين عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمن الذي
يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن
مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة
ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر
ولا ريح لها وهذا المنافق الذي يقرأ القرآن يحفظه ويتصور معانيه وقد يصدق أنه
كلام الله وأن الرسول حق ولا يكون مؤمناً كما أن اليهود يعرفونه كما يعرفون
أبناءهم وليسوا مؤمنين وكذلك إبليس وفرعون وغيرهما لكن من كان كذلك لم يكن حصل
له العلم التام والمعرفة التامة فإن ذلك يستلزم العمل بموجبه لا محالة ولهذا صار يقال
لمن لم يعمل بعلمه إنه جاهل وكذلك لفظ العقل وإن كان هو في الأصل مصدر عقل يعقل كما تقدم مع
عقلاً وكثير من النظار جعله من جنس العلوم فلا بد أن يعتبر مع ذلك أنه علم يعمل بموجبه
فلا يسمى عاقلاً إلا من عرف الخير فطلبه والشر فتركه ولهذا قال أصحاب النار لو كنا
نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وقال تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم
لا يعقلون ومتى فعل ما يعلم أنه يضره فمثل هذا ما له عقل فكما أن الخوف من الله
تعالى يستلزم العلم به فالعلم به يستلزم خشيته وخشيته تستلزم طاعته فالخائف

اى



من الله ممتثل لأوامره مجتنب لنواهيه وهذا هو الذي قصدنا بيانه أولاً ويدل على ذلك
أيضاً قوله تعالى فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى
النار الكبرى فأخبر أن من يخشاه يتذكر والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال تعالى هو الذي
يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقاً وما يتذكر إلا من ينيب وقال تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب ولهذا قالوا في قوله سيذكر من يخشى سيتعظ بالقرآن من يخشى الله وفي
قوله وما يتذكر إلا من ينيب إنما يتعظ من يرجع إلى الطاعة وهذا لأن التذكر التام
يستلزم التأثر بما يذكر فإن ذكر محبوباً طلبه وإن تذكر مرهوباً هرب منه ومنه قوله
تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم وقال سبحانه إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
فنفى الإنذار عن غير هؤلاء مع قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم فأثبت لهم الإنذار من
وجه ونفاه عنهم من وجه فإن الإنذار هو الإعلام بالمخوف فالإنذار مثل التعليم والتخويف
فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه وآخر يقول علمته فلم يتعلم وكذلك من خوفته فخاف فهذا هو
الذي تم تخويفه وأما من خوف فما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى تم
هداه ومنه قوله هدى للمتقين ومن هديته فلم يهتد كما قال وأما ثمود فهديناهم
فاستحبوا العمى على الهدى كما تقول قطعته فانقطع وقطعته فما انقطع فالمؤثر التام يستلزم
أثره فمتى لم يحصل الأثر لم يكن تاماً والفعل إذا صادف محلاً قابلاً تم وإلا لم يتم والعلم بالمحبوب
يورث في طلبه والعلم بالمكروه يورث في تركه ولهذا يسمى هذا العلم الداعي ويقال الداعي
مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم بالمطلوب المستلزم لإرادة المعلوم المراد
مع صح وهذا كله مع صحة الفطرة وسلامتها وأما مع فسادها فقد يحس الإنسان باللذيذ
فلا يجد له لذة بل يؤلمه وكذلك يلتذ بالمؤلم لفساد الفطرة والفساد يتناول القوة العلمية
والقوة العملية جميعاً كالممرور الذي يجد العسل مراً فإنه فسد نفس إحساسه حتى كان
يحس به على خلاف ما هو عليه للمرة التي مازجته وكذلك من فسد باطنه قال تعالى وما
يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة
ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقال تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى وقالوا
قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وفي الآية الأخرى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم

والغلف جمع اغلف وهو ذو الغلاف الذي في غلاف مثل الاقلف كأنهم جعلوا المانع
خلقة اي خلقت القلوب عليها اغطية فقال تعالى بل لعنهم الله بكفرهم وطبع الله عليها
بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من
عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا
اهواءهم وكذلك قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وقال ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم واي لافهمهم ما سمعوه ثم قال ولو افهمهم مع هذه الحال التي هم
عليها لتولوا وهم معرضون فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو فهموا لم يعملوا
فنفى عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية وقال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون
بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون وقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقال عن المنافقين
صم بكم عمي فهم لا يرجعون ومن الناس من يقول لما لم يستفيدوا بالسمع والبصر والنطق
صاروا كانهم عميا [illegible] عن السمع والبصر صاروا كالصم والعمي وليس كذلك جعلوا
بل [illegible] قلوبهم عميت وبكمت كما قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور والقلب هو الملك والاعضاء جنوده واذا صلح صلح سائر
الجسد واذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالاذن الصوت كما تسمع البهائم
والمعنى لا يفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقها تاما فان الفقه التام يستلزم
تأثيره في القلب محبة المحبوب وبغض المكروه فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور التام
حاصلا فجاز نفيه لان ما لم يتم ينفى كقوله للذي اساء في صلاته صل فانك لم تصل ونفي
الايمان عمن نفى عنه من هذا الباب وقد جمع الله تعالى بين وصفهم بوجل القلب اذا
ذكر وبزيادة الايمان اذا سمعوا آياته قال الضحاك زادتهم يقينا وقال الربيع ابن انس
خشية وعن ابن عباس تصديقا وهكذا ذكر الله تعالى هذين الاصلين في مواضع قال تعالى هذين صح
الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون والخشوع

يتضمن



يتضمن معنيين احدهما التواضع والذل والثاني السكون والطمأنينة وذلك مستلزم
للين القلب المنافي للقسوة فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله تعالى وطمأنينته ايضا ولهذا
كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا التواضع والسكون وعن ابن عباس في قوله
والذين هم في صلاتهم خاشعون قال مخبتون اذلاء وعن الحسن وقتادة خائفون وعن مقاتل
متواضعون وعن علي الخشوع في القلب وان يلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت وقال مجاهد
غض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن ان يشد
الخشوع صح بصره الى شيء او ان يحدث نفسه بشيء من امر الدنيا وعن عمرو بن دينار ليس الركوع والسجود
ولكنه السكون وحسن الهيئة في الصلاة وعن ابن سيرين وغيره كان النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه يرفعون ابصارهم في الصلاة الى السماء ويلتفتون يمينا وشمالا حتى نزلت هذه الاية
فجعلوا بعد ذلك وجوههم حيث يسجدون وما رأى احدهم منهم بعد ذلك الا الى الارض
وعن عطاء [illegible] هو ان لا تعبث بشيء من جسدك وانت في الصلاة وابصر النبي صلى
الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ولفظ
الخشوع ان شاء الله يبسط في موضع اخر وخشوع الجسد تبع لخشوع القلب اذا لم يكن
الرجل مرائيا يظهر ما ليس في قلبه كما روي تعوذوا بالله من خشوع النفاق وهو ان يرى
الجسد خاشعا والقلب لاه فهو سبحانه وتعالى استبطأ المؤمنين بقوله الم يأن للذين امنوا
هم صح ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فدعاهم الى خشوع القلب لذكره وما نزل من
كتابه ونهاهم ان يكونوا كالذين طال عليهم الامد فقست قلوبهم وهؤلاء الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ولذلك قال في الاية الاخرى الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والذين يخشون ربهم هم الذين اذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم
فان قيل فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن الناس فيه على قسمين
مقتصد وسابق فالسابقون يختصون بالمستحبات والمقتصدون الابرار هم عموم المؤمنين
المستحقون للجنة ومن لم يكن من هؤلاء ولا من هؤلاء فهو ظالم لنفسه وفي الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع
ومن دعاء لا يسمع وقد ذم الله تعالى قسوة القلوب المنافية للخشوع في غير موضع فقال تعالى

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة قال الزجاج قست في اللغة
غلظت ويبست وعست فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسي
والعاسي الشديد الصلابة وقال ابن قتيبة قست وعست وعتت اي يبست وقوة
القلب المحمودة غير القسوة المذمومة وقال ابن فارس ينبغي ان يكون قويا من غير عنف قسوته صح
ولينا من غير ضعف وفي الاثر القلوب انية الله في ارضه فاحبها الى الله اصلبها وارقها
واصفاها وهذا كاليد فانها قوية لينة بخلاف ما يقسو من العقب فانه يابس لا لين فيه فانها
وان كان فيه قوة وهو سبحانه ذكر وجل القلب من ذكره ثم ذكر زيادة الايمان عند تلاوة
كتابه علما وعملا ثم لا بد من التوكل على الله فيما لا يقدر عليه ومن طاعته فيما يقدر
عليه واصل ذلك الصلاة والزكاة فمن قام بهذه الخمس كما امر لزم ان ياتي بسائر الواجبات
بل الصلاة نفسها اذا فعلها كما امر فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر كما روي عن ابن مسعود وابن
عباس ان في الصلاة منتهى ومزدجرا عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر
لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وقوله لم يزدد الا بعدا اذا كان ما ترك من الواجب منها اعظم من الواجب صح
مما فعله ابعده ترك الواجب الاكثر من الله اكثر مما قربه فعل الواجب الاقل وهذا كما
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك
صلاة المنافق يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر اربعا لا يذكر
الله فيها الا قليلا وقد قال تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ٥ وفي السنن عن عمار
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها الا نصفها
الا ثلثها الا حتى قال الا عشرها وعن ابن عباس قال ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها
وهذا وان لم يؤمر باعادة الصلاة عند اكثر العلماء لكن يؤمر بان ياتي من التطوعات بما يجبر
نقص فرضه ومعلوم ان من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن واعمالها الظاهرة وكان
يخشى الله الخشية التي امره بها فانه ياتي بالواجبات ولا ياتي كبيرة ومن اتى الكبائر
مثل الزنا او السرقة او شرب الخمر وغير ذلك فلا بد ان يذهب ما في قلبه من تلك الخشية
والخشوع والنور وان بقي اصل التصديق في قلبه وهذا من الايمان الذي ينزع منه عند فعل
الكبيرة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق

السارق



السارق حين يسرق وهو مؤمن فان المتقين كما وصفهم الله تعالى بقوله ان الذين
اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاذا طاف بقلوبهم
طيف من الشيطان تذكروا فيبصرون قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة
فيذكر الله فيكظم الغيظ وقال الليث عن مجاهد هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيدعه ليث صح
والشهوة والغضب مبدا السيئات فاذا ابصر رجع ثم قال واخوانهم يمدونهم في الغي
ثم لا يقصرون اي واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون
قال ابن عباس لا الانس تقصر عن السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم فاذا لم يبصر
بقي قلبه في عمى والشيطان يمده في غيه وان كان التصديق في قلبه لم يكذب فذلك
النور والابصار وتلك الخشية والخوف يخرج من قلبه وهذا كما ان الانسان يغمض
عينيه فلا يرى وان لم يكن اعمى فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق
وان لم يكن اعمى كعمى الكافر وهكذا جاء في الاثار قال احمد بن حنبل في كتاب الايمان ثنا
يحيى عن اشعث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزع منه الايمان فان تاب اعيد اليه
وقال ثنا يحيى عن عوف قال قال الحسن يجانبه الايمان ما دام كذلك فان راجع راجعه
الايمان وقال احمد ثنا معاوية عن ابي اسحق عن الاوزاعي قال وقد قلت للزهري حين ذكر
هذا الحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فانهم يقولون فان لم يكن مؤمنا
فما هو قال فانكر ذلك وكره مسالتي عنه وقال احمد حدثني ابن شبويه ثنا عبد الرحمن بن مهدي
عن سفين عن ابرهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس انه قال لغلمانه من اراد منكم الباءة ان صح
زوجناه لا يزني منكم زان الا نزع الله منه نور الايمان فان شاء ان يرده رده وان شاء ان يمنعه
منعه ٥ وفي الصحيح ~~عن السجستاني ثنا عبد الوهاب ابن نجدة ثنا بقية ابن الوليد~~ وقال ابو
وقال ابو داود
السجستاني الحي عن صفوان ابن عمرو عن عبد الله ابن ربيعة الحضرمي انه اخبره عن ابي هريرة
انه كان يقول انما الايمان كثوب احدكم يلبسه مرة ويقلعه اخرى وكذلك رواه باسناده
عن عمر وروي عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وفي حديث عن ابي هريرة مرفوع
الى النبي صلى الله عليه وسلم اذا زنا الزاني خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقطع رجع
اليه الايمان وهذا ان شاء الله يبسط في موضع اخر ٥ فصــــل وقد جاءت احاديث

تنازع الناس في صحتها مثل قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بوضوء ولا وضوء لمن لم
يذكر اسم الله عليه فاما الاول فهو كقوله لا صلوة الا بطهور وهذا متفق عليه بين المسلمين
فان الطهور واجب في الصلاة فانما نفى الصلاة لانتفاء واجب فيها واما ذكر اسم الله على
الوضوء ففي وجوبه نزاع معروف واكثر العلما لا يوجبونه وهو مذهب ملك وابي حنيفة
والشافعي واحد الروايتين عن احمد اختارها الخرقي وابو محمد وغيرهما والثاني يجب وهو
قول طايفة من اهل العلم وهو الرواية الاخرى عن احمد اختارها ابو بكر عبد العزيز والقاضي
ابو يعلى واصحابه وكذلك قوله لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد رواه الدارقطني ومن الناس
من يضعفه مرفوعا ويقول هو من كلام علي رضي الله عنه ومنهم من يثبته كعبد الحق
وكذلك قوله لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل قد رواه اهل السنن وقيل انه لم
يصح رفعه وانما يصح موقوفا عن ابن عمر وحفصة فليس لاحد ان يثبت لفظا عن الرسول
صلى الله عليه وسلم مع انه اريد به نفي الكمال المستحب فان صحت هذه الالفاظ دلت قطعا
على وجوب هذه الامور وان لم تصح فلا ينقض بها اصل مستقر من الكتاب والسنة وليس
لاحد ان يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه ان لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدل
على مراد الله ورسوله والا فاقوال العلما تابعة لقول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ليس
قول الله ورسوله تابعا لاقوالهم فاذا كان في وجوب شي نزاع بين العلما ولفظ الشارع
قد اطرد في معنى لم يجز ان ينقض الاصل المعروف من كلام الله ورسوله بقول فيه
نزاع بين العلماء ولكن من الناس من لا يعرف مذاهب اهل العلم وقد نشا على قول
لا يعرف غيره فيظنه اجماعا كمن يظن انه اذا ترك الانسان الجماعة وصلى وحده
برئت ذمته اجماعا وليس الامر كذلك بل للعلما قولان معروفان في اجزاء هذه الصلاه
وفي مذهب احمد فيها قولان ذكرهما طايفة من قدماء اصحابه حكاه عنهم القاضي ابو
يعلى في شرح المذهب ومن متاخريهم كابن عقيل وغيره يقولون من صلى المكتوبة وحده
من غير عذر يسوغ له ذلك فهو كمن صلى الظهر يوم الجمعة فان امكنه ان يودها في
جماعة بعد ذلك فعليه ذلك والا باء باثمه كما يبوء تارك الجمعة باثمه والتوبة
معروضة وهذا قول غير واحد من اهل العلم واكثر الاثار المروية عن السلف من الصحابة
والتابعين يدل على هذا وقد احتجوا بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من سمع الندا
ثم لم



ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له واجابوا عن حديث التفضيل بانه في المعذور
الذي يباح له الصلاة وحده كما ثبت عنه انه قال صلاة الرجل قاعدا على النصف من صلاة
القايم وصلاة المضطجع على النصف من صلاة القاعد والمراد به المعذور كما في الحديث
انه خرج وقد اصابهم وعك وهم يصلون قعودا فقال ذلك ولم يجوز احد من السلف
صلوة التطوع مضطجعا من غير عذر ولا يعرف ان احدا من السلف فعل ذلك وجوازه وجه
في مذهب الشافعي واحمد ولا يعرف لصاحبه سلف صدق مع ان هذه المسالة مما تعم
به البلوى فلو كان يجوز لكل مسلم ان يصلي التطوع على جنبه وهو صحيح لا مرض به كما
يجوز له ان يصلي التطوع قاعدا او على الراحلة لكان هذا مما بينه الرسول صلى الله عليه
وسلم لامته وكانت الصحابة تعلم ذلك ثم مع قوة الداعي الى الخير لا بد ان يفعل ذلك
بعضهم فلما لم يفعله احد منهم دل ذلك على انه لم يكن مشروعا عندهم وهذا مبسوط
في موضعه والمقصود هنا انه ينبغي للمسلم ان يقدر قدر كلام الله ورسوله بل ليس
لاحد ان يحمل كلام الله احد من الناس الا على ما عرف انه اراد لا على ما يحتمله ذلك
اللفظ في كلام كل احد فان كثيرا من الناس يتاول النصوص المخالفة لقوله يسلك مسلك
من يجعل التاويل كانه ذكر ما يحتمله اللفظ وقصده به دفع ذلك المحتج عليه بذلك النص
النص وهذا خطا بل جميع ما قاله الله ورسوله يجب الايمان به فليس لنا ان نومن ببعض
الكتاب ونكفر ببعض وليس الاعتناء بمراده في احد النصين دون الاخر باولى من العكس
فاذا كان النص الذي وافقه يعتقد انه اتبع فيه مراد الرسول فكذلك النص الاخر
الذي تاوله فيكون اصل مقصوده معرفة ما اراده الرسول صلى الله عليه وسلم
بكلامه وهذا هو المقصود بكل ما يجوز من تفسير وتاويل عند من يكون اصطلاحه
تغاير معناهما واما من يجعلهما بمعنى واحد كما هو الغالب على اصطلاح المفسرين
والتاويل عندهم هو التفسير واما التاويل في كلام الله ورسوله فله معنى ثالث غير
معناه في اصطلاح المفسرين وغير معناه في اصطلاح متاخري الفقها والاصوليين كما
قد بسط في موضعه والمقصود هنا ان كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى اسما الامور
الواجبة كاسم الايمان والاسلام والدين والصلاة والصيام والطهارة والحج وغير
ذلك فانما يكون لترك واجب في ذلك المسمى ومن هذا قوله تعالى فلا وربك لا يومنون

قدم

حه

بلغ مقابله

حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما
فلما نفى الايمان حتى توجد هذه الغاية دل على ان هذه الغاية فرض على الناس
فمن تركها كان من اهل الوعيد لم يكن قد اتى بالايمان الواجب الذي وعد اهله
بدخول الجنة بلا عذاب فان الله تعالى انما وعد بذلك من فعل ما أُمر به واما من
فعل بعض الواجبات وترك بعضها فهو معرض للوعيد ومعلوم باتفاق المسلمين
انه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في دينهم ودنياهم في اصول
دينهم وفروعه وعليهم كلهم اذا حكم بشيء ان لا يجدوا في انفسهم حرجا مما حكم
ويسلموا تسليما قال تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان
ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت
المنافقين يصدون عنك صدودا وقوله ما انزل الله وقد انزل الله الكتاب والحكمة وهي الى ما صح
السنة قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وقال
تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما
والدعاء الى ما انزل الله يستلزم الدعاء الى الرسول والدعاء الى الرسول يستلزم الدعاء
الى ما انزل الله وهذا مثل طاعة الله والرسول فانهما متلازمان فمن يطع الرسول
فقد اطاع الله ومن اطاع الله فقد اطاع الرسول وكذلك قوله تعالى ومن يشاقق
الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين فانهما متلازمان فكل
من شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وكل من اتبع
غير سبيل المؤمنين فقد شاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فان كان يظن انه متبع
سبيل المؤمنين وهو مخطئ فهو بمنزلة من ظن انه متبع الرسول وهو مخطئ وهذه
الاية تدل على ان اجماع المؤمنين حجة من جهة ان مخالفتهم مستلزمة لمخالفة الرسول صلى
الله عليه وسلم وان كل ما اجمعوا عليه فلا بد ان يكون فيه نص عن الرسول فكل مسألة يقطع
فيها بالاجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فانها مما بين الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا
الاجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البين واما اذا كان يظن الاجماع ولا يقطع به فهنا
قد لا يقطع ايضا بانها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف مثل هذا الاجماع قد لا

يكفر



يكفر بل قد يكون ظن الاجماع خطأ والصواب في خلاف هذا القول وهذا هو فصل الخطاب
فيما يكفر به من مخالفة الاجماع وما لا يكفر والاجماع هل هو قطعي الدلالة او ظني الدلالة فان
من الناس من يطلق الاثبات بهذا او هذا ومنهم من يطلق النفي لهذا او لهذا والصواب التفصيل
بين ما يقطع به من الاجماع ويعلم يقينا انه ليس فيه منازع من المؤمنين اصلا فهذا يجب القطع بانه
حق وهذا لا بد ان يكون مما بين فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الهدى كما قد بسط هذا
في موضع اخر ه ومن جهة انه اذا وصف الواجب بصفات متلازمة دل على ان كل صفة
من تلك الصفات متى ظهرت وجب اتباعها وهذا مثل الصراط المستقيم الذي امرنا الله
تعالى بسؤال هدايته فانه قد وُصف بانه الاسلام ووُصف بانه اتباع القران ووصف
بانه طاعة الله ورسوله ووصف بانه طريق العبودية ومعلوم ان كل اسم من هذه الا سماء
يجب اتباع مسماه ومسماها كلها واحد وان تنوعت صفاته فاي صفة ظهرت وجب
اتباع مدلولها فانه مدلول الاخرى وكذلك اسماء الله تعالى واسماء كتابه واسماء رسوله هي مثل
اسماء دينه وكذلك قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا قيل حبل الله هو دين الاسلا م
وقيل هو القران وقيل عهده وقيل طاعته وامره وقيل جماعة المسلمين وكل هذا حق
وكذلك اذا قلنا الكتاب والسنة والاجماع فمدلول الثلاث واحد فان كل ما في الكتاب
فالرسول موافق له والامة مجمعة عليه من حيث الجملة فليس في المؤمنين الا من يوجب اتباع
الكتاب وكذلك كل ما سنه الرسول صلى الله عليه وسلم فالقران يامر باتباعه فيه والمسلمو ن
مجمعون على ذلك وكذلك كل ما اجمع عليه المسلمون فانه لا يكون الا حقا موافقا لما في الكتاب
والسنة لكن المسلمون يتلقون دينهم كله عن الرسول واما الرسول صلى الله عليه وسلم فينزل
عليه وحي هو القران ووحي اخر هو الحكمة كما قال صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب
ومثله معه وقال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالسنة
فيعلمه اياها كما يعلمه القران فليس كل ما جاءت به السنة يجب ان يكون مفسرا في القران
بخلاف ما يقوله اهل الاجماع فانه لا بد ان يدل عليه الكتاب والسنة فان الرسول صلى الله
عليه وسلم هو الواسطة بينهم وبين الله تعالى في امره ونهيه وتحليله وتحريمه والمقصود
ذكر الايمان ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يبغض الانصار رجل يؤمن
بالله واليوم الاخر وقوله اية الايمان حب الانصار واية النفاق بغض الانصار فان

من علم ما قامت به الارض نصاً من نصر الله ورسوله من اول الامر وكان
محبا لله ولرسوله اجمعهم قطعاً فيكون محبته لم علامة الايمان الذي في قلبه ومن
ابغضهم لم يكن في قلبه الايمان الذي اوجبه الله عليه ولذلك من لم يكن في قلبه
بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرمه الله من الكفر والفسوق والعصيان
لم يكن في قلبه الايمان الذي يوجبه الله عليه فان لم يكن مبغضا لشيء من المحرمات اصلا
لم يكن معه ايمان اصلا كما سنبينه ان شاء الله وكذلك من لا يحب لاخيه المومن ما
يحبه لنفسه لم يكن معه ما اوجبه الله عليه من الايمان فحيث نفى الله الايمان عن شخص
فلا يكون الا لنقص ما يجب عليه من الايمان ويكون من المعرضين للوعيد ليس من المستحقين
للوعد المطلق وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل علينا السلاح
فليس منا كله من هذا الباب لا يقوله الا لمن ترك ما اوجب الله عليه او فعل ما
حرم الله ورسوله عليه فيكون قد ترك من الايمان المفروض عليه ما ينفي عنه الاسم
لاجله فلا يكون من المومنين المستحقين للوعد السالمين من الوعيد وكذلك
قوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما اولئك بالمومنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان
يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم الظالمون انما كان قول المومنين اذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون فهذا حكم ليحكم
اسم الايمان اذا اطلق في كلام الله ورسوله فانه يتناول فعل الواجبات وترك المحرمات
ومن نفى الله ورسوله عنه الايمان فلا بد ان يكون قد ترك واجبا او فعل محرما
فلا يدخل في الاسم الذي يستحق اهله الوعد دون الوعيد بل يكون من اهل الوعيد
ولذلك قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان اولئك هم الراشدون قال محمد بن نصر المروزي لما كانت المعاصي بعضها
كفر وبعضها ليس بكفر فرق بينها فجعلها ثلثة انواع نوع منها كفر ونوع منها
فسوق وليس بكفر ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق واخبر انه كرهها كلها
الى المومنين ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الايمان وليس فيها شي خارج عنه
لم



لم يفرق بينها فيقول حبب اليكم الايمان والفرائض وسائر الطاعات بل اجمل ذلك
فقال حبب اليكم الايمان فدخل في جميع الطاعات لانه قد حبب الى المومنين الصلوة ذلك
والزكوة وسائر الطاعات حبا يدين لان الله اخبر انه حبب ذلك اليهم وزينه في قلوبهم
لقوله حبب اليكم الايمان ويكرهون جميع المعاصي الكفر منها والفسوق وسائر المعاصي
كراهة دين لان الله اخبر انه كره ذلك اليهم ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مومن لان الله حبب الى المومنين الحسنات وكره
اليهم السيئات قلت ــــــــ وتكريه جميع المعاصي اليهم يستلزم حب جميع الطاعات
لان ترك الطاعات معصية ولانه لا يترك المعاصي كلها ان لم يتلبس بضدها فيكون
محبا لضدها وهو الطاعة اذ القلب لا بد له من ارادة فاذا لم يكن للشر كله فلا بد ان
يريد الخير والمباح بالنية الحسنة يكون خيرا وبالنية السيئة يكون شرا ولا يكون فعل اختياري
الا بارادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح احب الاسماء الى الله عبد الله
وعبد الرحمن واصدق الاسماء الحرث وهمام واقبحها حرب ومرة فاصدق الاسماء الحرث
وهمام لان كل انسان همام حرث والحرث الكاسب العامل والهمام الكثير الهم وهو
مبدا الارادة وهو حيوان وكل حيوان حساس متحرك بالارادة فاذا فعل شيا من المباحات
فلا بد له من غاية ينتهي اليها قصده وكل مقصود اما ان يقصد لنفسه واما ان يقصد لغيره
فان كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وهو الهه الذي يعبده
لا يعبد شيا سواه وهو احب اليه من كل ما سواه فارادته تنتهي الى ارادته وجه الله تعالى
فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على الطاعة كما في الصحيحين عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال نفقة الرجل على اهله يحتسبها صدقة وفي الصحيحين عنه انه قال
لسعد ابن ابي وقاص لما مرض بمكة انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت
بها درجة ورفعة حتى اللقمة ترفعها الى في امراتك وقال معاذ بن جبل لابي موسى اني احتسب
نومتي كما احتسب قومتي وفي الاثر نوم العالم عبادة لانه تسبيح وان كان اصل مقصوده عبادة
غير الله لم تكن الطيبات مباحة له فان الله تعالى انما اباحها للمومنين من عباده بل الكفار
يحاسبون يوم القيمة على نعم الله التي تنعموا بها فلم يشكروه ولم يعبدوه بها ويقال
لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما

لتنر تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون وقال تعالى ثم لتسالن يومئذ
عن النعيم اي عن شكره والكافر لم يشكر على النعم التي انعم الله عليه بها فيعاقبه على
ذلك والله تعالى انما اباحها للمومنين وامرهم معها بالشكر كما قال تعالى كلوا من
الطيبات ما رزقناكم واشكروا لله وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وفي سنن
ابن ماجه وغيره الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ولذلك قال للرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقال تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم
وقال الخليل ربنا وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر
فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فالخليل انما دعا بالطيبات للمومنين الله صح
خاصة والله انما اباح بهيمة الانعام لمن حرم ما حرمه الله من الصيد وهو محرم والمومنون
امرهم ان ياكلوا من الطيبات ويشكروه ولهذا ميز سبحانه وتعالى بين خطاب الناس
مطلقا وخطاب المومنين فقال تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فانما اذن للناس ان ياكلوا مما في الارض بشرطين
ان يكون طيبا وان يكون حلالا ثم قال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فاذن
للمومنين في الاكل من الطيبات ولم يشترط الحل واخبر انه لم يحرم عليهم الا ما ذكره فما سواه
لم يكن محرما على المومنين ومع هذا فلم يكن احله بخطابه بل كان عفوا كما في الحديث عن سلمان كما صح
موقوفا ومرفوعا الحلال ما احله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو
مما عفا عنه وفي حديث ابي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها
وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وسكت عن اشيا رحمة لكم غير نسيان
فلا تبحثوا عنها ولذلك قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة نفى التحريم عن غير المذكور فيكون الباقي مسكوتا عنه عن تحريمه عفوا والتحليل انما
يكون بخطاب ولهذا قال في سورة المائدة التي انزلت بعد هذا يسالونك ماذا احل لهم
قل



قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين الى قوله اليوم احل
لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ففي ذلك اليوم احل لهم لكم صح
الطيبات وقبله هذا لم يكن حرم عليهم الا ما استثناه وقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل
ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ولم يكن هذا نسخا للكتاب لان الكتاب لم يحل ذلك
ولكن سكت عن تحريمه وكان تحريمه ابتداء شرع ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
المروي من طرق من حديث ابي رافع وابي ثعلبة وابي هريرة وغيرهم لا الفين احدكم متكئا
على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القران فما
وجدنا فيه من حلال احللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه الا واني اوتيت الكتاب ومثله
معه وفي لفظ الا وانه مثل القران او اكثر الا واني حرمت كل ذي ناب من السباع فعلم انه
انزل عليه وحي اخر وهو الحكمة غير الكتاب وان الله تعالى حرم عليه في هذا الوحي ما اخبر بتحريمه
ولم يكن ذلك نسخا للكتاب فان الكتاب لم يحل هذه ابدا انما احل الطيبات وهذه ليست من الطيبات
وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فلم تدخل هذه في العموم لكنه لم يكن حرمها
فكانت معفوا عن تحريمها لا ماذونا في اكلها فاما الكافر فلم ياذن الله لهم في اكل شي ولا الكفار صح
احل لهم شيئا ولا عفا لهم عن شي ياكلونه بل قال يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فشرط
فيما ياكلونه ان يكون حلالا وهو الماذون فيه من جهة الله ورسوله والله تعالى لم ياذن
في الاكل الا للمومنين به فلم ياذن لهم في اكل شي الا اذا امنوا ولهذا لم يكن اموالهم مملوكة
لهم ملكا شرعيا لان الملك الشرعي هو القدرة على التصرف الذي اباحه الشارع والشارع
لم يبح لهم تصرفا في الاموال الا بشرط الايمان فكانت اموالهم على الاباحة فاذا قهر طايفة
منهم طايفة قهرا يستحلونه في دينهم واخذوها منهم صار هولاء فيها كما كان اوليك والمسلمون
اذا استولوا عليها فغنموها ملكوها شرعا لان الله تعالى اباح لهم الغنايم ولم يبحها لاحد
غيرهم ويجوز لهم ان يعاملوا الكفار فيما اخذه بعضهم من بعض بالقهر الذي يستحلونه في دينهم
ويجوز ان يشتري من بعضهم ما سباه من غيره لان هذا بمنزلة استيلائه على المباحات
ولهذا سمى الله تعالى ما عاد من اموالهم الى المسلمين فيئا لان الله تعالى افاءه الى مستحقه اي رده
الى المومنين به الذين يعبدونه ويستعينون برزقه على عبادته فانه تعالى انما خلق الخلق
ليعبدوه وانما خلق الرزق لهم ليستعينوا به على عبادته ولفظ الفي قد يتناول الغنيمة

كقول النبي صلى الله عليه وسلم في غنائم حنين ليس لي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس
مردود عليكم لكنه لما قال الله تعالى ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب صار لفظ الفيء اذا اطلق في عرف الفقهاء فهو ما اخذ من مال الكفار بغير ايجاف
خيل ولا ركاب والايجاف نوع من التحريك واما اذا فعل المومن ما ابيح له قاصدا العدول عن الحرام
الى الحلال صح
لحاجته اليه فانه يثاب على ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وفي بضع احدكم صدقة قالوا
يا رسول الله ياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في حرام اكان عليه
فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر وهذا كقوله في حديث ابن عمر عن النبي
ان صح
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يحب ان توخذ رخصه كما يكره ان توتى معصيته رواه احمد
وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما فاخبر ان الله تعالى يحب اتيان رخصه كما يكره فعل معصيته
وبعض الفقهاء يرويه كما يحب ان توتى عزائمه وليس هذا لفظ الحديث وذلك لان الرخص انما
اباحها الله تعالى لحاجة العباد اليها والمومنون يستعينون بها على عبادته فهو يحب الاخذ
بها لان الكريم يحب قبول احسانه كما قال في حديث القصر صدقة تصدق الله بها عليكم
اما صح
فاقبلوا صدقته ولانه بها تتم عبادته وطاعته وما لا يحتاج اليه الانسان من قول وعمل
بل يفعله عبثا فهذا عليه لا له كما قال في الحديث كل كلام ابن ادم عليه لا له الا امرا بمعروف
او نهيا عن منكر او ذكر الله وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليقل خيرا او ليصمت فامر المومن باحد امرين اما قول الخير او الصمات ولهذا
كان قول الخير خيرا من السكوت عنه والسكوت عن الشر خيرا من قوله ولهذا قال تعالى
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقد اختلف هل يكتب جميع اقواله فقال مجاهد
وغيره يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر
والقران يدل على انهما يكتبان الجميع فانه قال ما يلفظ من قول نكرة في الشرط موكدة بحرف
من فهذا يعم كل قول وايضا فكونه يوجر على قول معين او يوزر يحتاج الى ان يعرف
الكاتب ما امر به وما نهي عنه فلا بد في اثبات معرفة الكاتب به الى نقل وايضا فهو مامور
اما بقول الخير او بالصمات فاذا عدل عما امر به من الصمات الى فضول القول الذي ليس
بخير كان هذا عليه فانه يكون مكروها والمكروه ينقصه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فاذا خاض فيما لا يعنيه نقص من حسن اسلامه فكان
هذا



هذا عليه اذ ليس من شرط ما هو عليه ان يكون عذاب جهنم وغضب الله بل نقص
قدره ودرجته عليه ولهذا قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فما يعمل احد الا
عليه او له فان كان مما امر الله به كان له والا كان عليه ولو انه ينقص قدره والنفس
لكن صح
طبعها الحركة لا تسكن قط لكن عفى الله عما حدث به المومنون انفسهم ما لم يتكلموا به
او يعملوا به فاذا عملوا به دخل في الامر والنهي فاذا كان الله قد كره الى المومن جميع المعاصي
من
وهو قد حبب اليهم الايمان الذي يقتضي جميع الطاعات اذا لم يعارضه ضد باتفاق الناس
فان المرجية لا ينازع في ان الايمان الذي في القلب يدعو الى فعل الطاعة ويقتضي ذلك
والطاعة من ثمراته ونتائجه لكنها ينازع هل يستلزم الطاعة فانه وان كان يدعو الى الطاعة
فله معارض من النفس والشيطان فاذا كان قد كره الى المومن جميع المعارض كان المقتضي
للطاعة سالما عن هذا المعارض وايضا فاذا كرهوا جميع السيئات لم يبق الا حسنات
او مباحات والمباحات لم تبح الا لاهل الايمان الذين يستعينون بها على الطاعات والا
فالله تعالى لم يبح قط لاحد شيئا ان يستعين به على كفر ولا فسوق ولا عصيان ولهذا
لعن النبي صلى الله عليه وسلم عاصر الخمر ومعتصرها كما لعن شاربها والعاصر يعصر عنبا
يصير عصيرا يمكن ان ينتفع به في المباح لكن لما علم ان قصد العاصر ان يجعلها خمرا
لم يكن له ان يعينه بما جنسه مباح على معصية الله تعالى بل لعنه النبي صلى الله عليه وسلم
على ذلك لان الله لم يبح اعانة العاصي على معصيته ولا اباح له ما يستعين به في المعصية
فلا يكون مباحات لهم الا اذا استعانوا بها على الطاعات فيلزم من انتفاء السيئات انهم
لا يفعلون الا الحسنات ولهذا كان من ترك المعاصي كلها فلا بد ان يشتغل بطاعة
الله تعالى وفي الحديث الصحيح كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها
فالمومن لا بد ان يحب الحسنات ولا بد ان يبغض السيئات ولا بد ان يسره فعل الحسنة
ويسوءه فعل السيئة ومتى قدر انه في بعض الامور ليس كذلك كان ناقص الايمان
والمومن قد تصدر منه السيئة فيتوب منها او ياتي بحسنات تمحوها او يبتلى ببلاء يكفرها
عنه ولكن لا بد ان يكون كارها لها فان الله اخبر انه حبب الى المومنين الايمان وكره
اليهم الكفر والفسوق والعصيان فمن لم يكره الثلاثة لم يكن منهم ولكن محمد بن نصر
يقول الفاسق يكرهها تدينا فيقال ان اريد بذلك انه يعتقد ان دينه حرمها وهو

يحب دينه و هذه من جملته فهو لم يهواها وان كان يحب دينه مجملا وليس في قلبه
كراهة لما كان قد عدم من الايمان بقدر ذلك كما في الحديث الصحيح من راى منكم
منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
وفي الحديث الاخر الذي في الصحيح ايضا صحيح مسلم فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن
جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان
حبة خردل فعلم ان القلب اذا لم يكن فيه كراهية ما يكرهه الله لم يكن فيه من الايمان
ولا قدر حبة خردل والمعنى هذا اخر حد الايمان ما بقي بعد هذا من الايمان شيء ليس
مراده انه من لم يفعل ذلك لم يبق معه من الايمان شيء بل لفظ الحديث انما يدل على المعنى
الاول فصل ومن هذا الباب لفظ الكفر والنفاق فالكفر اذا ذكر مفردا
في وعيد الاخرة دخل فيه المنافقون كقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في
الاخرة من الخاسرين وقوله ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل
ضلالا بعيدا وقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقوله كلما القي فيها
فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان
انتم الا في ضلال كبير وقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاءوها فتحت
ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم
هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
فبئس مثوى المتكبرين وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
بالحق لما جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين وقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من
اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى وقوله ان الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية وامثال هذه
النصوص كثيرة في القران فهذه كلها يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفار
ليس معهم من الايمان شيء كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر بل المنافقون
في الدرك الاسفل من النار كما اخبر الله بذلك في كتابه ثم قد يقرن الكفر بالنفاق

يقرن

بلغ

الذي يسكن به القلب من الايمان الكامل اي من الايمان الكامل على المشاهد من الاعمال الح ايمانه



في مواضع ففي اول البقرة ذكر اربع ايات في صفة المؤمنين واثنتين في صفة الكافرين
وبضع عشرة اية في صفة المنافقين وقال تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين
في جهنم جميعا وقال يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس
من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب الى قوله
فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ٥
وقال تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم في سورتين وقال
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب الاية وكذلك لفظ
المشركين قد يقرن باهل الكتاب فقط وقد يقرن بالملل الخمس كما في قوله ان الذين
امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد والاول كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة وقوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية وقوله تعالى وقل للذين
اوتوا الكتاب والاميين ااسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ
وليس احد بعث بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الا من الذين اوتوا الكتاب والا ميين
وكل امة لم تكن من الذين اوتوا الكتاب فهم من الاميين كالاميين من العرب ومن
الخزر والصقالبة والهند والسودان وغيرهم من الامم الذين لا كتاب لهم فهؤلاء
كلهم اميون والرسول مبعوث اليهم كما بعث الى الاميين من العرب وقوله وقل
للذين اوتوا الكتاب وهو انما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل
ولا فرق بين اولادهم الى فدل على ان من دان بدين اليهود والنصارى فهو من الذين
اوتوا الكتاب لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل ولا
فرق بين اولادهم واولاد غيرهم فان اولادهم اذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن
اوتوا الكتاب فكذلك غيرهم اذ كانوا كلهم كفارا وقد جعلوا هم الذين اوتوا
الكتاب بقوله وقل للذين اوتوا الكتاب وهو لا يخاطب بذلك الا من بلغته رسالته
لا من مات فدل ذلك على ان قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب يتناول هؤلاء كلهم
كما هو مذهب الجمهور من السلف والخلف وهو مذهب مالك وابي حنيفة وهو المنصوص

عن أحمد في عامة أجوبته لم يختلف كلامه إلا في نصارى بني تغلب وآخر الروايتين عنه
أنهم تباح نساؤهم وذبائحهم كما هو قول جمهور الصحابة وقوله في الرواية الأخرى
لا تباح متابعة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن لأجل النسب بل لكونهم لم
يدخلوا في دين أهل الكتاب إلا فيما يستحلونه من شرب الخمر ونحوه ولكن بعض الناس
ظن أن ذلك لأجل النسب لنقل عن عطاء وقال بها الشافعي ومن وافقه من أصحاب
أحمد فرعوا على ذلك فروعا كمن أحد أبويه كتابي والآخر ليس بكتابي ونحو ذلك حتى
لا يوجد في طائفة من كتب أصحاب أحمد إلا هذا القول وهو خطأ على مذهبه مخالف لنصوصه
لم يعلق الحكم بالنسب في مثل هذا البتة كما قد بسط في موضعه ولفظ المشركين يذكر
مفردا في مثل قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وهل يتناول أهل الكتاب فيه
قولان مشهوران للسلف والخلف والذين قالوا إنها تعمهم منهم من قال هي محكمة كابن عمر
والجمهور الذين يبيحون نكاح الكتابيات كما ذكره الله تعالى في آية المائدة وهي متأخرة
عن هذه ومنهم من يقول نسخ منها تحريم نكاح الكتابيات ومنهم من يقول بل هو مخصوص
لم يرد باللفظ العام وقد أنزل الله تعالى بعد صلح الحديبية قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر
وهذا قد يقال إنما نهى عن التمسك بالعصمة من كان متزوجا كافرة ولم يكونوا إذ ذاك
متزوجين إلا بمشركة وثنية فلم يدخل في ذلك الكتابيات ٥ فصـــل وكذلك
لفظ الصالح والشهيد والصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل
وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقال وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة
لمن الصالحين وقال الخليل رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين وقال يوسف توفني مسلما
وألحقني بالصالحين وقال سليمان وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال النبي صلى الله
عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته لما كانوا يقولون في صلاتهم السلام على الله قبل عباده
السلام على فلان فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إن الله هو السلام فإذا
قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة
الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإذا قالها أصابت كل عبد صالح لله في
السماء والأرض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق
الله



الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فإذا أطلق فهو الذي صلح جميع أمره
فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله وأعماله على ما يرضي ربه
وهذا يتناول النبيين ومن دونهم ولفظ الصديق قد يجعل هنا معطوفا على النبيين
وقد وصف به النبيين في مثل قوله واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا وكذلك
الشهيد قد جعل هنا قرين الصديق والصالح وقد قال وجيء بالنبيين والشهداء وقضي
بينهم بالحق ولما قيدت الشهادة على الناس وصفت به الأمة كلها في قوله وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فهذه شهادة
مقيدة بالشهادة على الناس كالشهادة المذكورة في قوله لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء وقوله
واستشهدوا شهيدين من رجالكم وليست هذه الشهادة المطلقة في الآية بل ذلك كقوله
ويتخذ منكم شهداء ٥ فصـــل وكذلك لفظ المعصية والفسوق والكفر فإذا
أطلقت المعصية لله ورسوله دخل فيه الكفر والفسوق كقوله ومن يعص الله ورسوله فإن
له نار جهنم خالدين فيها أبدا وقال وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل
جبار عنيد فأطلق معصيتهم للرسل بأنهم عصوا هودا معصية تكذيب لجنس الرسل فكانت
المعصية لجنس الرسل كمعصية من قال ما أنزل الله من شيء ومعصية من كذب
وتولى قال تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى أي كذب بالخبر وتولى عن طاعة
الأمر وإنما على الخلق أن يصدقوا الرسل فيما أخبروا ويطيعوهم فيما أمروا وكذلك قال في
فرعون فكذب وعصى وقال في جنس الكافر فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى فالتكذيب
للخبر والتولي عن الأمر وإنما الإيمان تصديق الرسل فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ومنه قوله
تعالى كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول ولفظ التولي بمعنى التولي عن
الطاعة مذكور في مواضع من القرآن كقوله ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم
أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما
وذمه في غير موضع من القرآن من تولى دليل على وجوب طاعة الله ورسوله وأن
الأمر المطلق يقتضي وجوب الطاعة وذم المتولي عن الطاعة كما علق الذم بمطلق المعصية
في مثل قوله فعصى فرعون الرسول وقد قيل إن التأبيد لم يذكر في القرآن إلا في وعيد
الكفار ولهذا قال ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه

واعد له عذابا عظيما وقال فيمن يجور في المواريث ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين فهنا قيد المعصية بتعدي حدوده
فلم يذكرها مطلقة وقال وعصى ادم ربه فغوى فهي معصية خاصة وقال تعالى
حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون فاخبر عن معصية
واحدة معينة وهي معصية الرماة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث امرهم بلزوم ثغرهم وان
راوا المسلمين قد انتصروا فعصى من عصى منهم هذا الامر وجعل اميرهم يامرهم لما راوا
الكفار منهزمين واقبل من اقبل منهم على المغانم ولذلك قوله وكره اليكم الكفر والفسوق
والعصيان يجعل ذلك ثلاث مرات وقد قال ولا يعصينك في معروف فقيد المعصية
ولهذا فسرت بالنياحة قاله ابن عباس وروي ذلك مرفوعا ولذلك قال زيد بن اسلم لا
يدعون ويلا ولا يخدشن وجها ولا ينشرن شعرا ولا يشققن ثوبا وقد قال بعضهم
هو جميع ما امرهم به الرسول من شرائع الاسلام وادلته كما قاله ابو سليمان الدمشقي
ولفظ الاية عام انهن لا يعصينه في معروف ومعصيته لا تكون الا في معروف فانه
لا يامر بمنكر لكن هذا كما قيل فيه دلالة على ان طاعة ولي الامر انما تلزم في المعروف
كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطاعة في المعروف ونظير هذا قوله ثبت صح
استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وهو لا يدعو الا الى ذلك والتقييد هنا
لا مفهوم له فانه لا يقع دعاء لغير ذلك ولا امر بغير معروف وهذا كقوله تعالى ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا فانهن اذا لم يردن تحصنا امتنع الاكراه ولكن
في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ومنه قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به
فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقوله ويقتلون النبيين
بغير الحق فالتقييد في جميع هذا للبيان والايضاح لا للاحراج وصفا حق ولهذا نقول
من يقول من النحاة الصفات في المعارف للتوضيح لا للتخصيص كقوله سبح اسم ربك
الاعلى الذي خلق فسوى وقوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم والصفات
في النكرات اذا احتيج تكون للتوضيح ومع هذا فقد عطف المعصية على الكفر والفسوق
في قوله وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ومعلوم ان الفاسق عاص
ابضا



عاص لهما فصل ومن هذا الباب ظلم النفس فانه اذا اطلق تناول جميع الذنوب
فانها ظلم العبد نفسه قال تعالى ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما عنهم صح
ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر
ربك وما زادوهم غير تتبيب وقال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل
فتوبوا الى بارئكم وقال في قتل النفس رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وقالت
بلقيس رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال ادم عليه
السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ثم قد يقرن ببعض
الذنوب كقوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم وقوله ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما واما لفظ الظلم المطلق فيدخل فيه
الكفر وسائر الذنوب قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون ن
من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون قال عمر بن الخطاب
وضرباؤهم وهذا ثابت عن عمر وروي ذلك عنه مرفوعا ولذلك قال ابن عباس واشبا هم
ولذلك قال قتادة والكلبي كل من عمل بمثل عملهم فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا
مع اهل الزنا وعن الضحاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين كل كافر معه شيطانه في سلسلة
وهذا كقوله واذا النفوس زوجت قال عمر بن الخطاب الفاجر مع الفاجر والصالح مع
الصالح قال ابن عباس وذلك حين يكون الناس ازواجا ثلاثة وقال الحسن وقتادة الحق كل
امرئ بشيعته اليهودي مع اليهود والنصراني مع النصارى وقال الربيع بن خثيم
يحشر المرء مع صاحب عمله وهذا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له
الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال المرء مع من احب وقال الارواح جنود مجندة فما
تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال المرء على دين خليله فلينظر احدكم من
يخالل وزوج الشيء نظيره وسمي الصنف زوجا لتشابه افراده لقوله انبتنا فيها من كل
زوج بهيج وقال ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال غير واحد من المفسرين
صنفين ونوعين مختلفين السماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر
والسهل والجبل والشتاء والصيف والجن والانس والكفر والايمان والسعادة والشقاوة
والحق والباطل والذكر والانثى والنور والظلمة والحلو والمر واشباه ذلك لعلكم

تذكرون فتعلمون ان خالق الازواج واحد وليس المراد انه يحشر معهم زوجاتهم مطلقا
فان المراة الصالحة قد يكون زوجها فاجرا بل كافرا كامراة فرعون وكذلك الرجل الصالح
قد تكون امراته فاجرة بل كافرة كامراة نوح ولوط لكن ان كانت المراة على دين زوجها
دخلت في عموم الازواج ولهذا قال الحسن البصري وازواجهم المشركات فلا ريب ان
هذه الاية تناولت الكفار كما دل عليه سياق الاية وقد تقدم كلام المفسرين انه يدخل
فيها الزناة مع الزناة واهل الخمر مع اهل الخمر وكذلك الاثر المروي اذا كان يوم القيمة
قيل اين الظلمة واعوانهم او قال واشباههم فيجمعون في توابيت من نار ثم يقذف بهم
في النار وقد قال غير واحد من السلف اعوان الظلمة من اعانهم ولو انه لاق لهم دواة او
برى لهم قلما ومنهم من كان يقول بل من يغسل ثيابهم من اعوانهم واعوانهم هم من
ازواجهم المذكورين في الاية فان المعين على البر والتقوى من اهل ذلك والمعين
على الاثم والعدوان من اهل ذلك قال تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب
منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها والشافع الذي يعين غيره فيصير له صح
معه شفعا بعد ان كان وترا ولهذا فسرت الشفاعة الحسنة باعانة المومنين على
الجهاد والشفاعة السيئة باعانة الكفار على قتال المومنين كما ذكر ذلك ابن جرير
وابو سليمن وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الانسان للانسان ليجلب له
نفعا او يخلصه من بلاء كما قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد فالشفاعة الحسنة
اعانته على خير يحبه الله ورسوله من نفع من يستحق النفع ودفع الضرر عمن يستحق دفع
الضرر عنه والشفاعة السيئة اعانته على ما يكرهه الله ورسوله كالشفاعة التي فيها
ظلم الانسان او منع الاحسان الذي يستحقه وفسرت الشفاعة الحسنة بالاصلاح
بين اثنين وكل هذا صحيح فالشافع زوج المشفوع له اذ المشفوع عنده من الخلق
اما ان يعينه على بر وتقوى واما ان يعينه على اثم وعدوان وكان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتاه طالب حاجة قال لاصحابه اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان نبيه
ما شا وتمام الكلام في ان الاية وان تناولت الظالم الذي ظلم بكفر فهي ايضا متناولة
ما دون ذلك وان قيل فيها وما يعبدون فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة
تعس



تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش وثبت عنه في الصحيح انه قال ما من صاحب كنز
الا جعل له كنزه يوم القيمة شجاعا اقرع ياخذ بلهزمته انا مالك انا كنزك وفي لفظ
الا مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع يتبعه وهو يفر منه حتى يطوقه في عنقه وقرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وفي حديث اخر مثل
له يوم القيمة شجاعا اقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه هذا مالك الذي
كنت تبخل به فاذا راى انه لا بد له منه ادخل يده في فيه فيقضمها كما يقضم الفحل وفي
رواية فلا يزال يتبعه فيلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده وقد قال تعالى في الاية
الاخرى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون وقد ثبت في الصحيح وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من
جنباه صاحب كنز لا يودي زكوته الا احمي عليها في نار جهنم فيجعل صفايح فتكوى بها جبينه و
حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله
اما الى الجنة واما الى النار وفي حديث ابي ذر بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار
جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه
فهم حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ويكوى الجباه والجنوب والظهور حتى يلتقي الحر في اجوا
وهذا كما في القران ويدل على انه بعد دخول النار فيكون هذا لمن دخل النار ممن فعل
به ذلك اولا في الموقف فهذا الظالم المانع الزكوة يحشر مع اشباهه وماله الذي صار
عبده من دون الله فيعذب به وان لم يكن هذا من اهل الشرك الاكبر الذين يخلدون
في النار ولهذا قال في اخر الحديث ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار فهذا بعد
تعذيبه خمسين الف سنة مما تعدون ثم يدخل الجنة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب النمل قال ابن عباس واصحابه كفر دون كفر
وظلم دون ظلم وفسق دون فسق وكذلك قال اهل السنة كاحمد بن حنبل وغيره
كما سنذكره ان شا الله تعالى وقد قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون
وفي حديث عدي بن حاتم وهو حديث طويل حسن رواه احمد والترمذي وغيرهما

[illegible]

وكان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية قال
فقلت له انا لسنا نعبدهم قال أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم
الله فتحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم وكذلك قال ابو البختري اما انهم لم يصلوا
لهم ولو امروهم ان يعبدوهم من دون الله ما اطاعوهم ولكن امروهم فجعلوا حلال الله
حرامه وحرامه حلاله فاطاعوهم فكانت تلك الربوبية وقال الربيع بن انس قلت لابي
العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال كانت الربوبية انهم وجدوا
في كتاب الله ما امروا به وما نهوا عنه فقالوا لن نسبق احبارنا بشيء فاستنصحوا الرجال ونبذوا الكتاب
وراء ظهورهم فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ان عبادتهم اياهم كانت في تحليل
الحرام وتحريم الحلال لا انهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله فهذه عبادة
للرجال وتلك عبادة للاموال وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الله تعالى ان ذلك
شرك بقوله لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذا من الظلم الذي يدخل في
قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فان هؤلاء هم
الذين امروهم بهذا هم جميعا معذبون وقال انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم انتم لها واردون وانما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لان يعبد ويطاع في معصية
الله فهم الذين سبقت لهم الحسنى كالمسيح وعزير وغيرهما فاولئك عنها
مبعدون واما من رضي بان يعبد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد ولو لم
يامر بذلك فكيف اذا امر ولذلك من امر غيره بان يعبد غير الله وهذا من ازواجهم
فان ازواجهم قد يكونون رؤساءهم وقد يكونون اتباعا وهم ازواج واشباه
لتشابههم في الدين وسياق الآية يدل على ذلك فانه سبحانه قال احشروا الذين
ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم قال
ابن عباس دلوهم وقال الضحاك مثله دلوهم وقال ابن كيسان قدموهم
والمعنى قودوهم كما يقود الهادي لمن يهديه ولهذا تسمى الاعناق الهوادي
لانها تقود سائر البدن وتسمى اوائل الوحش الهوادي وقفوهم انهم مسؤولون
ما لكم لا تناصرون اي كما كنتم تتناصرون في الدنيا على الباطل بل هم اليوم مستسلمون
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا

مؤمنين



مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون
فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون وقال تعالى قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس
في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم
لاولاهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن
لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما
كنتم تكسبون وقال تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها
ان الله قد حكم بين العباد وقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم
لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد
اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا
الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وقوله في سياق
الآية انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون يعلم ان هذا يتناول الشرك
الاكبر والاصغر وتتناول ايضا من استكبر عما امره الله به من طاعته فان ذلك
من تحقيق قول لا اله الا الله فان الاله هو المستحق للعبادة فكل ما يعبد به الله فهو
من تمام تأله العباد له فمن استكبر عن بعض عبادته سامعا مطيعا في ذلك لغيره لم يحقق
قول لا اله الا الله في هذا المقام وهؤلاء الذين اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا حيث
اطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما احل الله يكونون على وجهين احدهما ان
يعلموا انهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم
ما احل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم انهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله
ورسوله شركا وان لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في
خلاف الدين مع علمه انه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله

مشركا مثل هولاء الثاني ان يكون اعتقادهم وايمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا
لكنهم اطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد
انها معاصي فهولاء لهم حكم امثالهم من اهل الذنوب كما قد ثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال انما الطاعة في المعروف وقال على المرء المسلم السمع والطاعة
فيما احب او كره ما لم يومر بمعصية وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال من امركم
بمعصية الله فلا تطيعوه ثم ذلك المحرم للحلال والمحلل للحرام ان كان مجتهدا قصده اتباع
الرسول لكن خفي عليه الحق في نفس الامر وقد اتقى الله ما استطاع فهذا لا يواخذه
الله بخطايه بل يثيبه على اجتهاده الذي اطاع به ربه ولكن من علم ان هذا اخطا فيما جا
به الرسول ثم اتبعه على خطايه وعدل عن قول الرسول فهذا له نصيب من هذا الشرك
الذي ذمه الله تعالى لا سيما ان اتبع في ذلك هواه ونصره باللسان واليد مع علمه انه
مخالف للرسول فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه ولهذا اتفق العلما على
انه اذا عرف الحق لا يجوز تقليد احد في خلافه وانما تنازعوا في جواز التقليد للقادر
على الاستدلال وان كان عاجزا عن اظهار الحق الذي يعلمه فهذا يكون كمن عرف ان
دين الاسلام حق وهو بين النصارى فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يواخذ بما عجز
عنه وهولاء كالنجاشي وغيره وقد انزل الله في هولاء ايات من كتابه كقوله تعالى وان
من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم وقوله ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وبه يعدلون وقوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق واما ان كان المتبع للمجتهد عاجزا عن معرفة الحق على التفصيل
وقد فعل ما يقدر عليه مثله من الاجتهاد في التقليد فهذا لا يواخذ ان اخطا كما في القبلة
واما ان قلد شخصا دون نظيره بمجرد هواه ونصره بيده ولسانه من غير علم ان معه الحق
فهذا من اهل الجاهلية وان كان متبوعه مصيبا لم يكن عمله صالحا وان كان متبوعه
مخطيا كان اثما كمن قال في القران برايه فان اصاب فقد اخطا وان اخطا فليتبوا مقعده
من النار وهولاء من جنس مانع الزكوة الذي تقدم فيه الوعيد ومن جنس عبد الدينار
والدرهم والقطيفة والخميصة فان ذلك لما احب المال منعه عن عبادة الله وطاعته
صار عبدا له وكذلك هولاء فيكون فيهم شرك اصغر ولهم من الوعيد بحسب ذلك

وفي



وفي الحديث ان يسير الريا شرك وهذا مبسوط عند النصوص التي فيها اطلاق
الكفر والشرك على كثير من الذنوب والمقصود هنا ان الظلم المطلق يتناول
الكفر ولا يختص بالكفر بل يتناول ما دونه ايضا وكل بحسبه كلفظ الذنب وا
والمعصية فان هذا يتناول الكفر والفسوق والعصيان كما في الصحيحين
عن عبد الله ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا
وهو خلقك قلت ثم اي قال ثم ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم
اي قال ثم ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها
اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق
اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب
وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا فهذا الوعيد بتمامه على الثلثة ولكل عمل
قسط منه فلو اشرك ولم يقتل ولم يزن كان عذابه دون ذلك ولو زنا وقتل
ولم يشرك كان له من العذاب نصيب ولهذا كما في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا
فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما ولم يذكر
ابدا وقد قيل ان لفظ التابيد لم يجي الا مع الكفر وقال تعالى ويوم يعض الظالم على
يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا
لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان للانسان خذولا فلا ريب ان
هذا يتناول الكافر الذي لم يومن بالرسول وسبب نزول الاية كان في ذلك
فان الظلم المطلق يتناول ذلك ويتناول ما دونه بحسبه فمن خال مخلوقا في خلاف
امر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى الاخلا يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب
وتقطعت بهم الاسباب قال الفضيل ابن عياض ثنا ليث عن مجاهد هي المودات التي
كانت لغير الله فان المخالة تجانب وتواد ولهذا قال المرء على دين خليله فان المتخاليين
يحب احدهما ما يحبه الاخر بحسب الحب فاذا اتبع احدهما صاحبه على محبة ما يبغضه الله
ورسوله نقص من دينهما بحسب ذلك الى ان ينتهي الى الشرك الاكبر قال تعالى

الخطيه

ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا
لله والذين فتنوا بمحبة المال الذي كنزوه والمخلوق الذي اتبعوه على محبة الله ورسوله
كان فيهم من الظلم والشرك بحسب ذلك ولهذا الزمهم محبوبهم كما في الحديث يقول
الله تعالى اليس عدلا مني ان اولي كل رجل منكم ما كان يتولاه في الدنيا وقد ثبت
في الصحيح يقول الله ليتبع كل قوم الى ما كانوا يعبدون فيتبع من كان يعبد الشمس
الشمس ومن كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الطواغيت الطواغيت
ويمثل للنصارى المسيح ولليهود عزير فيتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ويبقى هذه الامة
فيها منافقوها كما سياتي هذا الحديث ان شاء الله فهولاء اهل الشرك الاكبر
واما عبيد المال الذين كنزوه وعبيد الرجال الذين اطاعوهم في معاصي الله فاولئك
يعذبون عذابا دون عذاب اولئك المشركين اما في عرصة القيامة واما في جهنم
ومن احب شيئا دون الله تعالى عذب به وقال تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا مما
رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون
فالكفر المطلق هو الظلم المطلق ولهذا لا شفيع لاهله يوم القيامة كما نفى الشفاعة لام
في هذه الاية وفي قوله وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما
للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقال
فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين وقوله نسويكم لم يريدوا به انهم
جعلوهم مساوين لله تعالى من كل وجه فان هذا لم يقله احد من بني ادم ولا نقل قط عن
قوم من الكفار انهم قالوا ان هذا العالم له خالقان متماثلان حتى المجوس القائلين بالاصلين
النور والظلمة متفقون على ان النور خير يستحق ان يعبد ويحمد وان الظلمة شر يستحق
ان تذم وتلعن واختلفوا هل الظلمة محدثة او قديمة على قولين وبكل حال لم يجعلوها
مثل النور من كل وجه ولذلك مشركوا العرب كانوا متفقين على ان اربابهم لم تشارك
الله في خلق السموات والارض بل كانوا معترفين بان الله وحده خلق السموات والارض
وما بينهما كما اخبر الله عنهم بذلك في غير اية كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلق
السموات



السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يوفكون الله يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض
من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون وقال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا
وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا سدام
كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
وهذه الصفات من كلام الله ليست من تمام جوابهم قال تعالى قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله الايات وقال تعالى قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه
تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وكذلك قوله
الله خير اما يشركون امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء
فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها االه مع الله بل هم قوم
يعدلون امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزا االه مع الله فعل هذا وهذا استفهام انكار وهم مقرون بانه
لم يفعل هذا اله اخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله اله اخر فقد غلط
فانهم كانوا يجعلون مع الله الهة اخرى كما قال تعالى قل ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة
اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون وقال تعالى فما
اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء وقال تعالى عنهم اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وكانوا معترفين بان الهتهم لم تشارك الله في خلق
السموات والارض ولا خلق شيء بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط كما قال تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هولاء شفعاونا عند الله وقال عن صاحب
يس وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ااتخذ من دونه الهة ان يردن

ا اله مع الله

الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون وقال تعالى وانذر به
الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقال تعالى
الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال ادع الذين زعمتم من دون قال مجـ
الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك
وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فنفى عما سواه كل ما
يتعلق به المشركون فنفى ان يكون لغيره ملك او قسط من الملك او ان يكون عونا لله
ولم يبق الا الشفاعة فبين انها لا تنفع الا لمن اذن له الرب كما قال من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه وقال عن [illegible] الملائكة ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقال وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى فهذه الشفاعة شيأ مجـ
التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيمة كما نفاها القرآن واما ما اخبر به
النبي صلى الله عليه وسلم انه يكون فاخبر انه ياتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة
اولا فاذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه يقال له اي محمد ارفع راسك وقل يسمع
وسل تعطه واشفع تشفع فيقول اي رب امتي فيحد له حدا فيدخلهم الجنة وكذلك
في الثانية وكذلك في الثالثة وقال له ابو هريرة من اسعد الناس بشفاعتك يوم
القيمة قال من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه فتلك الشفاعة هي لاهل الاخلاص
باذن الله ليست لمن اشرك بالله ولا تكون الا باذن الله وحقيقته ان الله سبحانه هو
الذي يتفضل على اهل الاخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي
اذن له ان يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والا
خرون وصلى الله عليه وعلى آله وسلم كما كان في الدنيا يستسقي لهم ويدعو لهم وتلك
شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته واذا كان كذلك فالظلم ثلثة انواع
فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضا لا بد فيه من اعطاء المظلوم
حقه لا يسقط حق المظلوم لا شفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم
كما قد يغفر للظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من شفيع مطلق مطاع
واما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه في
الحقيقة



في الحقيقة اخلاصه لله فبه صار من اهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفي الشفاعة
نفي الشرك وهو ان احدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسال غيره ولا يتوكل على غيره
لا في شفاعة ولا غيرها فليس له ان يتوكل على غيره احد في ان يرزقه وان كان الله
ياتيه برزقه باسباب كذلك ليس له ان يتوكل على غير الله في ان يغفر له ويرحمه
في الآخرة وان كان الله يغفر له ويرحمه باسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاها
القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منفية مطلقا ولهذا اثبت الشفاعة باذنه
في مواضع وتلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لاهل التو
حيد
والاخلاص فهي من التوحيد ومستحقها اهل التوحيد واما الظلم المقيد
فقد يختص بظلم الانسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضا كقول ادم وحوا
ربنا ظلمنا انفسنا وقول موسى رب اني ظلمت نفسي وقوله تعالى والذين اذا ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم لكن قول ادم وموسى اخبار عن
واقع لا عموم فيه وذلك قد عرف ولله الحمد انه ليس كفرا واما قوله والذين اذا
فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم فهو نكرة في سياق الشرط يعم كل ما فيه ظلم
الانسان نفسه فيدخل فيه كل ذنب كبير او صغير مع الاطلاق وقال تعالى
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات فهذا الظلم لنفسه مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرك الاكبر
وفي الصحيح عن ابن مسعود انه لما نزلت هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك الم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم
عظيم والذين شق ذلك عليهم ظنوا ان الظلم المشروط هو ظلم العبد نفسه وانه
لا يكون الامن والاهتداء الا لمن لم يظلم نفسه فشق ذلك عليهم فبين النبي صلى الله عليه
وسلم لهم ما دلهم على ان الشرك ظلم في كتاب الله تعالى وحينئذ فلا يحصل الامن
والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم ومن لم يلبسه بهذا كان من اهل الامن والا هتداء
كما كان من اهل الاصطفاء في قوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله جنات عدن يدخلونها وهذا لا ينفي ان يؤاخذ احدهم بظلمه نفسه

[illegible]

إذا لم يتب كما قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وقال من يعمل سوءا يجز به وقد سأل أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال
يا رسول الله وأينا لم يعمل سوءا فقال يا أبا بكر ألست تنصب ألست تحزن ألست
تصيبك اللأواء فذلك ما تجزون به فبين أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة
قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه كما في الصحيحين عنه صلى
الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة
وتميلها أخرى ومثل المنافق كشجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة
واحدة وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا
نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه
وفي حديث سعد بن أبي وقاص قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء
ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة
زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي
على الأرض وليس عليه خطيئة رواه أحمد والترمذي وغيرهما وقال المرض حطة
يحط الله به الخطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها والأحاديث في هذا
الباب كثيرة فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة كان له الأمن التام والاهتداء التام
ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقا بمعنى أنه لا بد أن يدخل الجنة
كما وعد بذلك في الآية الأخرى وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته
فيه إلى الجنة ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه
نفسه ليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنما هو الشرك أن من لم يشرك الشرك
الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن
تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذي
يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم بل معهم أصل الاهتداء
إلى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بد لهم من دخول الجنة وقوله صلى الله
عليه وسلم إنما هو الشرك إن أراد به الشرك الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله
فهو



فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك
وإن كان مراده جنس الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب
هو شرك أصغر وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك
أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف
يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار. فصل ومن هذا
الباب لفظ الصلاح والفساد فإذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد
يتناول جميع الشر كما تقدم في اسم الصالح وكذلك اسم المفسد والمصلح قال تعالى
في قصة موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا
في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي
وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين وقال تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا
إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون والضمير عائد على المنا فقين
في قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وهذا متناول
مطلق يتناول من كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن سيكون بعدهم ولهذا
قال سلمان الفارسي إنه عنى بهذه الآية قوما لم يكونوا خلقوا حين نزلت وكذا قال
السدي عن أشياخه الفساد الكفر والمعاصي وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر
واجتناب النواهي والقولان معناهما واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول
من قال النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين وعن أبي العالية
ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضا عام كالأول وقولهم إنما نحن مصلحون فسر بإنكار
ما أقروا به أي إنما نفعل ما أمرنا به الرسول وفسر بأن الذي نفعله صلاح ونقصد به
الصلاح وكلا القولين يروى عن ابن عباس وكلاهما حق فإنهم يقولون هذا وهذا يقولون
الأول لمن لم يطلع على بواطنهم ويقولون الثاني لأنفسهم ولمن اطلع على بواطنهم لكن
الثاني يتناول الأول فإن من جملة أفعالهم إسرار خلاف ما يظهرون وهم يرون
هذا صلاحا قال مجاهد أرادوا أن مصافاة الكفار صلاح لا فساد وعن السدي أن فعلنا
هذا هو الصلاح وتصديق محمد فساد وقيل أرادوا أن هذا صلاح في الدنيا فإن الدولة إن
كانت للنبي فقد أمنوا بمتابعته وإن كانت للكفار فقد أمنوهم بموالاتهم ولأجل

القولين قيل في قوله الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون اي لا يشعرون
ان ما فعلوه فساد لا اصلاح وقيل لا يشعرون ان الله يطلع نبيه على فسادهم
والقول الاول يتناول الثاني فهو المراد كما يدل عليه لفظ الاية وقال تعالى
ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقال قال موسى ما
جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقول يوسف
توفني مسلما والحقني بالصالحين وقد يقرن احدهما بما هو اخص منه لقوله واذا
تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد قيل
بالكفر وقيل بالظلم وكلاهما صحيح وقال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا وقد تقدم قوله ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها
شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين
وقال تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكانما قتل الناس جميعا وقتل النفس الاول من جملة الفساد لكن الحق في القتل
لولي المقتول وفي الردة والمحاربة والزنا الحق فيها لعموم الناس ولهذا يقال هو حق
لله تعالى ولهذا لا يعفى عن هذا كما يعفى عن الاول لان فساده عام قال تعالى
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا
او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض الاية وقيل سبب نزول هذه
الاية العرنيون الذين ارتدوا وقتلوا واخذوا المال وقيل سببها ناس معاهدون
نقضوا العهد وحاربوا وقيل المشركون فقد قرن بالمرتدين والمحاربين وناقضي العهد
المحاربين وبالمشركين المحاربين وجمهور السلف والخلف على انها تتناول
قطاع الطريق من المسلمين والاية تتناول ذلك كله ولهذا كان من تاب قبل القدرة
عليه من جميع هؤلاء فانه يسقط عنه حد الله تعالى وقرن الصلاح والاصلاح بالايمان
في مواضع كثيرة لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات فمن امن واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ومعلوم ان الايمان افضل الاصلاح وافضل العمل الصالح كما جاء
في الحديث الصحيح انه قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال ايمان بالله وقال تعالى واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقال الا من تاب وامن وعمل صالحا فاولئك

يدخلون



يدخلون الجنة وقال الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وقال في القذف الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم وقال في السارق
فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله ~~غفور رحيم~~ يتوب عليه وقال واللذان ياتيانها منكم
فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ولهذا شرط الفقهاء في احد قوليهم في قبول شهادة
القاذف ان يصلح وقد رواه بسنة كما فعل عمر بصبيغ بن عسل لما اجله سنة وبذلك
اخذ احمد في توبة الداعي الى البدعة انه يؤجل سنة كما اجل عمر صبيغ بن عسل ٥
فصل فان قيل ماذا من تنوع دلالة اللفظ بالاطلاق والتقييد
في كلام الله ورسوله وكلام كل احد من ظاهر لا يمكن دفعه لكن يقول دلالة لفظ
الايمان على الاعمال مجاز فقوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق مجاز وقوله الايمان ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه الحديث حقيقة وهذا عمدة المرجئة والجهمية والكرامية وكل من لم يدخل
الاعمال في اسم الايمان ونحن نجيب بجوابين احدهما كلام عام في لفظ الحقيقة والمجاز
والثاني ما يختص بهذا الموضع فنقول بتقدير ان يكون احدهما مجازا ما هو الحقيقة من ذلك من
المجاز هل الحقيقة هو المطلق او المقيد او كلاهما حقيقة حتى يعرف ان الدلالة لفظ
الايمان اذا اطلق على ماذا يحمل فيقال اولا تقسيم الالفاظ الدالة على
معانيها الى حقيقة ومجاز او تقسيم دلالتها او المعاني المدلول عليها ان استعمل لفظ
الحقيقة والمجاز في المدلول او في الدلالة فان هذا كله قد يقع في كلام المتأخرين ولكن
المشهور ان الحقيقة والمجاز من عوارض الالفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو
اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به احد من الصحابة ولا التابعين
لهم باحسان ولا احد من الائمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والاوزاعي وابي
حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به ائمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وابي عمرو بن
العلاء ونحوهم واول من عرف انه تكلم بلفظ المجاز ابو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه
ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وانما عنى بمجاز الاية ما يعبر به عن الاية ولهذا
من قال من الاصوليين كابي الحسين البصري وامثاله انه يعرف الحقيقة من المجاز
بطرق منها نص اهل اللغة على ذلك بان يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فقد تكلم بلا

علم فانه ظن ان اهل اللغة قالوا هذا او لم يقل ذلك احد من اهل اللغة ولا من سلف
الامة وعلمائها وانما هذا اصطلاح حادث والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم
من المتكلمين فانه لم يوجد هذا في كلام احد من اهل الفقه والاصول والتفسير
والحديث ونحوهم من السلف وهذا الشافعي هو اول من جرد الكلام في اصول الفقه
لم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك محمد بن الحسن له المسايل
المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز
وكذلك ساير الايمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام احد منهم الا في كلام احمد بن حنبل فانه
قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله انا ونحن ونحو ذلك في القران هذا من مجاز
اللغة يقول الرجل انا سنعطيك انا سنفعل فذكر ان هذا من مجاز اللغة وبهذا احتج
على مذهبه من اصحابه من قال ان في القران مجازا كالقاضي ابي يعلى وابن عقيل وابي الخطاب
وغيرهم واخرون من اكابر اصحابه منعوا ان يكون في القران مجاز كابي الحسين الخرزي وابي
عبد الله ابن حامد وابي الفضل التميمي ابن ابي الحسن التميمي وكذلك منع ان يكون في القران
مجاز محمد بن خويز منداد وغيره من المالكية ومنع منه داود ابن علي وابنه ابو بكر ومنذر
ابن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفا وحكى بعض الناس عن احمد في ذلك روايتين واما
ساير الايمة فلم يقل احد منهم ولا من قدماء اصحاب احمد ان في القران مجازا لا مالك ولا
ابو حنيفة ولا الشافعي فان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز انما اشتهر في المائة
الرابعة وظهرت اوايله في المائة الثالثة وما علمته موجودا في المائة الثانية اللهم الا
ان يكون في اواخرها والذين انكروا ان يكون احمد وغيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا ان
معنى قول احمد من مجاز اللغة اي مما يجوز في اللغة ان يقول الواحد العظيم
الذي له اعوان نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحو ذلك قالوا ولم يرد احمد بذلك ان اللفظ
استعمل في غير ما وضع له وقد انكر طايفة ان يكون في اللغة مجاز لا في القران ولا غيره
كابي اسحق الاسفرايني وقال المنازعون له النزاع معه لفظي فانه اذا سلم ان في اللغة
لفظا مستعملا في غير ما وضع له لا يدل على معناه الا بقرينة فهذا هو المجاز وان لم يسمه
مجازا فيقول من ينصره ان الذين قسموا اللفظ الى حقيقة ومجاز قالوا الحقيقة هو اللفظ
المستعمل فيما وضع له والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له كلفظ الاسد والحمار
إذا



اذا اريد بهما البهيمة واذا اريد بهما الشجاع والبليد وهذا التقسيم والتحديد يستلزم
ان يكون اللفظ قد وضع اولا لمعنى ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه
وقد يستعمل في غير موضوعه ولهذا كان المشهور عند اهل التقسيم ان كل مجاز فلا بد
له من حقيقة وليس لكل حقيقة مجاز فاعترض عليهم بعض متاخريهم وقال اللفظ الموضوع
قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز فاذا استعمل في غير موضعه فهو مجاز لا حقيقة له
وهذا كله انما يصح لو علم ان الالفاظ العربية وضعت اولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت
فيها فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال وهذا انما يصح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية
فيدعي ان قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على ان يسموا هذا بكذا وهذا بكذا في جميع
اللغات وهذا القول لا نعرف احدا من المسلمين قاله قبل ابي هاشم الجبائي فانه وابا الحسن
الاشعري كلاهما قرا على ابي علي الجبائي لكن الاشعري رجع عن مذهب المعتزلة وخالفهم
في القدر والوعيد وفي الاسماء والاحكام وفي صفات الله تعالى وبين تناقضهم وفساد
مذهبهم قولهم ما هو معروف عنه فتنازع الاشعري وابو هاشم في مبدا اللغات
فقال ابو هاشم هي اصطلاحية وقال الاشعري هي توقيفية ثم خاض الناس بعدهما
في هذه المسالة فقال اخرون بعضها توقيفي وبعضها اصطلاحي وقال فريق رابع
بالوقف والمقصود هنا انه لا يمكن احدا ان ينقل عن العرب بل ولا عن امة من الامم
انه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الاسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع
وانما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الالفاظ فيما عنوه بها من المعاني فان
ادعى مدع انه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل فان هذا لم ينقله احد من الناس
ولا يقال نحن نعلم ذلك بالدليل فانه ان لم يكن اصطلاح متقدم لم يمكن الاستعمال
قيل ليس الامر كذلك بل نحن نجد ان الله تعالى يلهم الحيوان من الاصوات ما به يعرف
بعضها مراد بعض وقد سمى ذلك منطقا وقولا في قول سليمان علمنا منطق الطير
وفي قوله قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وفي قوله يا جبال اوبي معه والطير
وكذلك الادميون فالمولود اذا ظهر منه التمييز سمع ابويه او من يربيه ينطق باللفظ
ويشير الى المعنى فصار يفهم ان ذلك اللفظ يستعمل في ذلك المعنى اي اراد المتكلم
به ذلك المعنى ثم هذا يسمع لفظا بعد لفظ حتى يعرف لغة القوم الذين نشا بينهم

من غير ان يكونوا قد اصطلحوا معه على وضع متقدم بل ولا وقفوه على معاني الاسماء
وان كان احيانا قد يسال عن مسمى بعض الاشيا فيوقف عليها كما يترجم للرجل اللغة
التي لا يعرفها فيوقف على معاني الفاظها وان باشر اهلها مدة علم ذلك بلا توقيف
من احد نعم قد يضع الناس الاسم لما يحدث مما لم يكن من قبلهم يعرفه فيسميه كما يولد
لاحدهم ولد فيسميه اسما اما منقولا واما مرتجلا وقد يكون المسمى واحدا لم يصطلح
مع غيره وقد يستوون فيما يسمونه به وكذلك قد يحدث للرجل الة من صناعة
او يصنف كتابا او يبني مدينة ونحو ذلك فيسميه باسم لانه ليس من الاجناس
المعروفة حتى يكون له اسم في اللغة العامة وقد قال تعالى الرحمن علم القران
خلق الانسان علمه البيان وقالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وقال الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى فهو يلهم الانسان المنطق كما يلهمه غيره وهو سبحانه اذا كان (سبحانه)
قد علم ادم الاسما كلها وعرض المسميات على الملائكة كما اخبر بذلك في كتابه فمن اين نعلم
انه لم يعلم ادم جميع اللغات التي يتكلم بها جميع الناس الى يوم القيمة وان تلك اللغات
اتصلت الى اولاده فلا يتكلمون الا بها فان دعوى هذا كذب ظاهر فان ادم عليه
السلام انما نقل عنه بنوه وقد اغرق الله عام الطوفان جميع ذريته الا من في السفينة
واهل السفينة انقطعت ذريتهم الا اولاد نوح ولم يكونوا يتكلمون بجميع ما تكلمت
به الامم بعدهم فان اللغة الواحدة كالفارسية والعربية والرومية والتركية فيها
من الاختلاف والانواع ما لا يحصيه الا الله والعرب انفسهم لكل قوم لغات
لا يفهمها غيرهم فكيف يتصور ان ينقل هذا جميعه عن اولئك الذين كانوا في السفينة
واولئك جميعهم لم يكن لهم نسل وانما النسل لنوح وجميع الناس من ولده وهم ثلثه
سام وحام ويافث كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فلم يجعل باقيا الا ذريته
وكما روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اولاده ثلثه رواه احمد وغيره ومعلوم ان
الثلثه لا يطيقون ان يعلموا هذا كله ويمتنع نقل ذلك كله عنهم فان الذين يعرفون هذه اللغة (يمكن ان)
لا يعرفون هذه واذا كان الناقل ثلثه فهم قد علموا اولادهم واولادهم علموا اولادهم ولو
كان كذلك لاتصلت ونحن نجد بني الاب الواحد يتكلمون يتكلم كل قبيلة منهم بلغة
لا يعرفها الاخرى والاب الواحد لا يقال انه علم احد ابنيه لغة وابنه الاخر لغة فان الاب

فذ



قد لا يكون له الا ابنان واللغات في ولده اضعاف ذلك والذي اجرى الله عليه
عادة بني ادم انهم انما يعلمون اولادهم لغتهم التي يخاطبونهم بها او يخاطبهم بها غيرهم
فاما لغات لم يخلق الله من يتكلم بها فلا يعلمونها اولادهم وايضا فانه يوجد بنو ادم يتكلمون
بالفاظ ما سمعوها قط من غيرهم والعلما من المفسرين وغيرهم لهم في الاسما التي علمها
ادم قولان معروفان عن السلف احدهما انه انما علمه اسما من يعقل واحتجوا بقوله
وعرضهم على قالوا وهذا الضمير لا يكون الا لمن يعقل وما لا يعقل يقال فيها عرضها ولهذا
قال ابو العالية علمه اسما الملائكة لانه لم يكن حينئذ من يعقل الا الملائكة ولم يكن له ذرية
ولا كان ابليس قد انفصل عن الملائكة ولا كان له ذرية وقال عبد الرحمن بن زيد ابن
اسلم علمه اسما ذريته وهذا يناسب الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان ادم سال ربه ان يريه صور الانبيا من ذريته فراهم فراى فيهم
من يبص فقال يا رب من هذا قال ابنك داود فيكون قد اراه صور ذريته او بعضهم
واسماهم وهذه اسما اعلام لا اجناس والثاني ان الله علمه اسما كل شي وهو قول الاكثر
كابن عباس واصحابه وقال ابن عباس علمه حتى الفسوة والفسية والقصعة والقصيعة
اراد اسما الاعراض والاعيان مكبرها ومصغرها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حديث الشفاعة ان الناس يقولون يا ادم انت ابو
البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وعلمك اسما كل شي وايضا فقوله الاسما
كلها لفظ عام مؤكد فلا يجوز تخصيصه بالدعوى وقوله ثم عرضهم لانه اجتمع من
يعقل ومن لا يعقل فغلب من يعقل كما قال فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي
على رجلين ومنهم من يمشي على اربع قال عكرمة علمه اسما الاجناس دون انواعها كقولك
انسان وجن وملك وطاير وقال مقاتل وابن السايب وابن قتيبة علمه اسما ما خلق
في الارض من الدواب والهوام والطير ومما يدل على ان هذه اللغات ليست متلقاة
عن ادم ان اكثر اللغات ناقصة عن اللغة العربية ليس عندهم اسما خاصة للاولاد
والبيوت والاصوات وغير ذلك مما يضاف الى الحيوان بل انما يستعملون في ذلك الاضافة
فلو كان ادم علم الجميع لعلمها متناسبة وايضا فان كل امة ليس لها كتاب ليس في
لغتها ايام الاسبوع وانما يوجد في لغتها اسم اليوم والشهر والسنة لان ذلك عرف

بالحس والعقل فوضعت له الاسما الا ان التعيين بسمع النفوس واما الاسبوع
فلم يعرف الا بالسمع لم يعرف ان الله خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش الا باخبار الانبيا الذين شرع لهم ان يجتمعوا
في الاسبوع يوما يعبدون الله فيه ويحفظون به الاسبوع الاول الذي بدا
الله فيه خلق هذا العالم ففي لغة العرب والعبرانيين ومن تلقى عنهم ايام الاسبوع
بخلاف الترك ونحوهم فانه ليس في لغتهم ايام الاسبوع لانهم لم يعرفوا ذلك
فلم يعبروا عنه فعلم ان الله الهم النوع الانساني ان يعبر عما يتصوره ويريده بلفظه
وان اول من علم ذلك ابوهم ادم وهم علموا كما علم وان اختلفت اللغات وقد
اوحى الله الى موسى بالعبرية والى محمد بالعربية والجميع كلام الله وقد بين الله بذلك
ما اراد من خلقه وامره وان كانت هذه اللغة ليست الاخرى مع ان العبرية من
اقرب اللغات الى العربية حتى انها اقرب اليها من لغة بعض العجم الى بعض وبالجملة
نحن ليس غرضنا اقامة الدليل على عدم ذلك بل يكفينا ان نقول هذا غير معلوم
وجوده بل الالهام كاف في النطق باللغات من غير مواضعة متقدمة واذا سمي
هذا توقيفا فليسم توقيفا فمن ادعى وضعا متقدما على استعمال جميع الاجناس
فقد قال ما لا علم له به وانما المعلوم بلا ريب هو الاستعمال ثم هولاء يقولون تميز
الحقيقة من المجاز بالاكتفاء باللفظ فاذا دل اللفظ مجردا فهو حقيقة واذا لم يدل
الا مع القرينة فهو مجاز وهذا وهذا امر يتعلق باستعمال اللفظ في المعنى لا بوضع
متقدم ثم يقال ثانيا هذا التقسيم لا حقيقة له وليس لمن فرق بينهما حد صحيح يميز
به بين هذا وهذا فعلم ان هذا التقسيم باطل وهو تقسيم من لم يتصور ما يقول
بل يتكلم بلا علم فهم مبتدعة في الشرع مخالفون للعقل وذلك انهم ان قالوا
الحقيقة اللفظ المستعمل فيما وضع له والمجاز هو المستعمل في غير ما وضع له احتاجوا
الى اثبات ذلك الوضع السابق على الاستعمال وهذا يتعذر ثم هم يقسمون
الحقيقة الى لغوية وعرفية واكثرهم يقسمها الى ثلثة لغوية وشرعية وعرفية فالحقيقة
العرفية هي ما صار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة وذلك المعنى يكون
تارة اعم من اللغوي وتارة اخص وتارة لا يكون مباينا له لكن بينهما علاقة اشتهر

لاجلها

لهم صح

وحينئذ صح

ان صح

اعم بيان



لاجلها فالاول مثل لفظ الرقبة والراس ونحوهما كان يستعمل في العضو المخصوص
ثم صار يستعمل في جميع البدن مثل لفظ الدابة ونحوها كان يستعمل في كل ما دب
ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات الاربع وفي عرف الناس في الفرس
وفي عرف بعضهم في الحمار والثالث مثل لفظ الغايط والظعينة والراوية والمزاد
فان الغايط في اللغة هو المكان المنخفض من الارض فلما كانوا ينتابونه لقضاء حوايجهم
سموا ما يخرج من الانسان باسم محله والظعينة اسم للدابة ثم سموا المراة التي تركبها
باسمها والمقصود ان هذه الحقيقة العرفية لم تصر حقيقة بجماعة تواطوا على نقلها
ولكن تكلم بها بعض الناس واراد بها ذلك المعنى العرفي ثم شاع الاستعمال
فصارت حقيقة عرفية بهذا الاستعمال ولهذا زاد من زاد منهم في حد الحقيقة
في اللغة التي بها التخاطب ثم هم يعلمون ويقولون انه قد يغلب الاستعمال على
بعض الالفاظ فيصير المعنى العرفي اشهر فيه ولا يدل عند الاطلاق الا عليه
فتصير الحقيقة العرفية ناسخة للحقيقة اللغوية واللفظ مستعمل في هذا الاستعمال
الحادث العرفي وهو حقيقة من غير ان يكون لما استعمل فيه ذلك تقدم وضع فعلم
ان تفسير الحقيقة بهذا لا يصح وان قالوا نعني بما وضع له لما استعملت فيه اولا فعلى
من اين يعلم ذلك ومن اين يعلم ان هذه الالفاظ التي كانت العرب تخاطب بها عند نزول
القران وقبله لم تستعمل قبل ذلك في معنى شي اخر واذا لم يعلموا هذا النفي
فلا يعلم انها حقيقة وهذه خلاف ما اتفقوا عليه وايضا فيلزم من هذا ان لا يقطع
بشي من الالفاظ انه حقيقة وهذا لا يقوله عاقل ثم هولاء الذين يقولون
هذا تجد احدهم ياتي الى الفاظ لم يعلم انها استعملت الا مقيدة فينطق بها مجردة
عن جميع القيود ثم يدعي ان ذلك هو حقيقتها من غير ان يعلم انها نطق بها مجردة
ولا وضعت مجردة مثل ان يقول حقيقة العين هو العضو المبصر ثم سميت به عين
الشمس والعين النابعة وعين الذهب للمشابهة لكن اكثرهم يقولون ان هذا
من باب المشترك لا من باب الحقيقة والمجاز ومثل نحو مثل لفظ الراس يقولون هو
حقيقة في راس الانسان ثم قالوا راس الدرب لاوله وراس العين لمنبعها وراس
القوم لسيدهم وراس الامر لاوله وراس الشهر وراس الحول وامثال ذلك على

بعض

ل صح

طرق المجاز وهو لا يعرف قط ان لفظ الراس استعمل مجردًا المعروف انه استعمل
بالقيود في راس الانسان كقوله تعالى وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين ونحوه
وهذا القيد يمنع ان يدخل فيه تلك المعاني فاذا قيل راس العين وراس الدرب وراس
الناس وراس الامر فهذا المقيد غير ذلك المقيد ومجموع اللفظ الدال هنا غير مجموع
اللفظ الدال هناك لكن اشتركا في بعض اللفظ كاشتراك كل الاسماء المعرفة في لام
التعريف ولو قدر ان الناطق باللغة نطق بلفظ راس الانسان اولا لان الانسان
يتصور راسه قبل غيره والتعبير اولا هو عن تصوره اولا فالنطق بهذا المضاف اولا لا
يمنع ان ينطق به مضافا الى غيره ثانيا ولا يكون هذا من المجاز كما في سائر المضافات فاذا
قيل ابن ادم اولا لم يكن قولنا ابن الفرس وابن الحمار مجازا وكذلك اذا قيل بنت الانسان
لم يكن قولنا بنت الفرس مجازا ولذلك اذا قيل راس الانسان اولا لم يكن قولنا راس
الفرس مجازا وكذلك في سائر الصفات المضافات قيل يده او رجله فاذا قيل هو حقيقة
فيما اضيف الى الحيوان قيل ليس جعل هذا حقيقة هو الحقيقة باولى من ان يجعل ما
اضيف الى الانسان ثم قد يضاف الى ما لا يتصوره اكثر الناس من الحيوانات الصغار
التي لم يخطر ببال عامة الناطقين باللغة فاذا قيل انه حقيقة في هذا فلم لا اذا لا يكون
حقيقة في راس الجبل والطريق والعين وكذلك سائر ما يضاف الى الانسان من اعضائه
واولاده ومساكنه يضاف مثله الى غيره ويضاف ذلك الى الجمادات فيقال راس الجبل وراس
العين وخطم الجبل اي انفه وفم الوادي وبطن الوادي وظهر الجبل وبطن الارض
وظهرها ويستعمل مع الالف واللام لفظ الظاهر والباطن في امور كثيرة والمعنى في الجميع
ان الظاهر لما ظهر منه والباطن لما بطن وخفي ويسمى ظهر الانسان ظهرا لظهوره
وبطنه بطنا لبطونه فاذا قيل ان هذا حقيقة وذاك مجاز لم يكن هذا اولى من العكس
وايضا من الاسماء ما يتكلم به اهل اللغة مفردا كلفظ الانسان ونحوه ثم قد يستعمل مقيدا
بالاضافة كقولهم انسان العين وابرة الذراع ونحو ذلك وسنقدر ان يكون في اللغة
حقيقة ومجاز فقد ادعى بعضهم ان هذا من المجاز وهو غلط فان المجاز هو اللفظ المستعمل
في غير ما وضع له اولا وهذا لم يستعمل اللفظ بل ركب مع لفظ اخر فصار وضعا اخر
بالاضافة فلو استعمل مضافا في معنى ثم استعمل بتلك الاضافة في غيره كان مجازا بل

اذا



اذا قيل بعلبك وحضرموت ونحوهما مما ركب تركيب مزج بعد ان كان الاصل فيه الاضافة
لا يقال انه مجاز فما لم يتعلق به الا مضافا اولى ان لا يكون مجازا واما من فرق بين الحقيقة
والمجاز بان الحقيقة ما يفيد المعنى مجردا عن القراين والمجاز ما لا يفيد الا مع القيد
ذلك المعنى الا مع قرينة او قال الحقيقة ما يفيد اللفظ المطلق والمجاز ما لا يفيد الا مع القيد
او قال الحقيقة هو المعنى الذي يسبق الى الذهن عند الاطلاق والمجاز ما لا يسبق
الى الذهن او قال المجاز ما صح نفيه والحقيقة ما لم يصح نفيها فانه يقال ما تعني بالتجريد
عن القراين والاقتران بالقراين او ما تعني ان عنيت بذلك القراين اللفظية مثل كون الاسم
يستعمل مقرونا بالاضافة او لام التعريف ويقيد بكونه فاعلا ومفعولا ومسندا او خبرا
فلا يوجد قط في الكلام المؤلف اسم الا مقيدا وكذلك الفعل ان عنيت تقييده انه لا بد
له من فاعل وقد يقيد بالمفعول به وظرفي الزمان والمكان والمفعول له ومعه
والحال فالفعل لا يستعمل قط الا مقيدا واما الحرف فابلغ فان الحرف اتى به لمعنى في
غيره فهذه الجملة لا يوجد قط في كلام تام اسم ولا فعل ولا حرف الا مقيدا بقيود تزيل
عنه الاطلاق فان كانت القرينة مما يمنع الاطلاق عن كل قيد فليس في الكلام الذي
الكلمة
يتكلم به جميع الناس لفظ مطلق عن كل قيد سواء كانت الجملة اسمية او فعلية ولهذا كان
لفظ الكلام في لغة العرب بل وفي لغة غيرهم لا يستعمل الا في المقيد وهو الجملة
التامة اسمية كانت او فعلية او ندائية ان قيل انها قسم ثالث فاما مجرد الاسم او الفعل
او الحرف الذي جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل فهذا لا يسمى في كلام العرب قط كلمة
وانما تسمية هذا كلمة اصطلاح نحوي كما سموا بعض الالفاظ فعلا وقسموه الى فعل ماض
ومضارع وامر والعرب لم تسم قط اللفظ فعلا بل النحاة اصطلحوا على هذا فسموا
اللفظ باسم مدلوله فاللفظ الدال على حدوث وحدث فعل في زمن ماض سموه
فعلا ماضيا وكذلك سائرها وكذلك حيث وجد في الكتاب والسنة بل وفي كلام العرب
نظمه ونثره لفظ كلمة فانما يراد به المفيد التي يسميها النحاة جملة تامة كقوله تعالى وينذر
الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون
الا كذبا وقوله تعالى وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا وقوله تعالى
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ٥

والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وقول النبي صلى الله عليه وسلم
اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وقوله كلمتان
خفيفتان على اللسان ثقيلتان على اللسان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم وقوله ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن
ان تبلغ بها ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة به صح
من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم القيمة وقوله
لقد قلت بعدك كلمات لو وزنت بما قلتيه الى يوم القيمة وقوله منذ اليوم لوزنتهن سبحان اربع صح
الله عدد خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضى نفسه سبحان الله مداد كلماته
واذا كان كل اسم وفعل وحرف يوجد في الكلام فانه مقيد لا مطلق لم يجز ان يقال
اللفظ الحقيقة ما دل مع الاطلاق والتجرد عن كل قرينة تقارنه فان قيل اريد بعض
القرائن دون بعض قيل له فاذكر الفصل بين القرينة التي يكون معها حقيقة والقرينة
التي يكون معها مجازا ولن تجد الى ذلك سبيلا تقدر به على تقسيم صحيح معقول ومما
يدل على ذلك ان الناس اختلفوا في العام اذا خص هل يكون استعماله فيما بقي حقيقة
او مجازا وكذلك لفظ الامر اذا اريد به الندب هل يكون حقيقة او مجازا وفي ذلك قولان
لاكثر الطوائف لاصحاب احمد قولان واصحاب الشافعي قولان ولاصحاب مالك قولان ومن
الناس من ظن ان هذا الخلاف يطرد في التخصيص المتصل كالصفة والشرط والغاية
والبدل وجعل يحكي في ذلك اقوال من يفصل كما يوجد في كلام طائفة من المصنفين
في اصول الفقه وهذا اما لم يعرف ان احدا قاله فجعل اللفظ العام المقيد بالصفات والغايات
والشروط مجازا بل لما اطلق بعض المصنفين ان اللفظ اذا خص يصير مجازا ظن هذا
الناقل انه عني التخصيص المتصل واولئك لم يكن في اصطلاحهم عام مخصوص الا اذا العام صح
خص بمنفصل واما المتصل فلا يسمون اللفظ عاما مخصوصا البتة فانه لم يدل الا متصلا
والاتصال منعه العموم وهذا اصطلاح كثير من الاصوليين وهو الصواب لا يقال لما
قيد بالشرط والصفة ونحوهما انه داخل فيما خص من العموم ولا في العام المخصوص
لكن يقيد فيقال تخصيص متصل وهذا المقيد لا يدخل في التخصيص المطلق وبالجملة
فيقال اذا كان هذا مجازا فيكون تقييد الفعل المطلق بالمفعول به وبظرف الزمان والمكان
مجازا



مجازا وكذلك بالحال وكذلك كلما قيد بقيد فمعلوم ان يكون الكلام كله مجازا فاين
الحقيقة فان قيل نفرق بين القرائن المتصلة والمنفصلة فما كان مع القرينة المتصلة
فهو حقيقة وما كان مع المنفصلة كان مجازا قيل تعني بالمتصل ما كان في اللفظ
او ما كان موجودا حين الخطاب فان عنيت الاول لزم ان يكون ما علم من حال المتكلم
او المستمع او لا قرينة منفصلة فما استعمل بلام التعريف لما يعرفانه كما يقول قال
النبي وهو عند المسلمين رسول الله او قال الصديق وهو عندهم ابو بكر واذا قال الرجل
لصاحبه اذهب الى الامير او القاضي او الوالي يريد ما يعرفانه ان يكون مجازا وكذلك
الضمير يعود الى معلوم غير مذكور كقوله انا انزلناه وقوله حتى توارت بالحجاب وامثال
ذلك ان يكون هنا مجازا وهذا لا يقوله احد وايضا فاذا قال للشجاع هذا الاسد فعل اليوم
كذا وللبليد هذا الحمار قال اليوم كذا او للعالم او الجواد هذا البحر جرى منه اليوم كذا
ان يكون حقيقة لان قوله هذا قرينة لفظية فلا يبقى قط مجازا وان قال المتصل اعم من
ذلك وهو ما كان موجودا حين الخطاب قيل له فهذا اشد عليك من الاول فكل فان
كل متكلم بالمجاز لا بد ان يقترن به حال الخطاب ما يبين مراده والا لم يجز التكلم به
فان قيل انا اجوز تاخير البيان عن مورد الخطاب الى وقت الحاجة قيل اكثر الناس لا
يجوزون ان يتكلم بلفظ يدل على معنى وهو لا يريد ذلك المعنى الا اذا بين
وانما يجوزون تاخير بيان ما لم يدل اللفظ عليه كالمجملات ثم يقول اذا جوزت تاخير
البيان ما لم يدل اللفظ الذي فالبيان قد يحصل بجملة تامة وبافعال من الرسول وبغير ذلك
ولا يكون البيان المتاخر الا مستقلا بنفسه لا يكون متصلا باقترانه بغيره فان جعلت
هذا مجازا لزم ان يكون ما يحتاج في العمل به الى بيان مجازا كقوله خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها ثم يقال هب ان هذا جائز عقلا لكن ليس واقعا في الشريعة اصلا
وجميع ما يدعى من ذلك باطل كما قد بسط في موضعه فان الذين قالوا الظاهر الذي
لم يرد به ما يدل عليه ظاهره قد تأخر بيانه احتجوا بقوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
وادعوا انها كانت معينة واخر بيان التعيين وهذا خلاف ما استفاض عن السلف من الصحابة
والتابعين لهم باحسان من انهم امروا ببقرة مطلقة فلو اخذوا اي بقرة من البقر فذبحوها
اجزا عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاية تدل على سياق الاثبات فهي مطلقة

الاقبال فانه يقال صح

والقرآن بين يديه فاتفق على ان السؤال باق ولو كان المامور به
معيناً لما كانوا ملومين ثم ان مثل هذا لم يقع قط في امر الله ورسوله ان يامر عباده
بشي معين ويبهمه عليهم مرة بعد مرة ولا يذكره بصفات تختص به ابتداء ولا احتجوا
بان الله اخبر بان لفظ الصلوة والزكوة والحج وان هذه الفاظ لها معاني في اللغة
خلاف الشرع وهذا غلط فان الله انما امرهم بالصلوة بعد ان عرفوا ما المامور به ولذلك
الصيام والزكوة والحج ولم يؤخر الله قط بيان شي من هذه الى المامورات ولبسط هذه
المسالة موضع اخر واما قول من يقول ان الحقيقة اذا كان اللفظ لم يقترن به
الا معنى فانه يسبق الى الذهن في كل موضع منه ما دل عليه ذلك الموضع واما اذا اطلق
فهو لا يستعمل في الكلام مطلقا قط فلم يبق له حال اطلاق محض حتى يقال ان الذهن
يسبق اليه ام لا وايضا فاي ذهن فان العربي الذي يفهم كلام العرب يسبق الى ذهنه
من اللفظ ما لا يسبق الى ذهن النبطي الذي صار يستعمل الالفاظ في غير معانيها ومن
هنا غلط كثير من الناس فانهم قد تعودوا ما اعتادوه اما من خطاب عامتهم واما من
خطاب علمائهم باستعمال اللفظ في معنى فاذا سمعوه في القرآن والحديث ظنوا انه مستعمل
في ذلك المعنى فيحملون كلام الله ورسوله على لغتهم النبطية وعادتهم الحادثة
وهذا مما دخل به الغلط على طوائف بل الواجب ان تعرف اللغة والعادة والعرف الذي
نزل به القرآن والسنة وما كان الصحابة يفهمون من الرسول عند سماع تلك الالفاظ فبتلك
اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله لا بما حدث بعد ذلك وايضا فقد تبينا
في غير هذا الموضع ان الله ورسوله لم يدع شيا من القرآن والحديث الا بين معناه للمخاطبين
ولم يحوجهم الى شي اخر كما قد بسطنا القول فيه في غير هذا الموضع فقد تبين ان ما
يدعيه هولاء من اللفظ المطلق من جميع القيود لا يوجد الا مقدرا في اللسان لا موجودا
في الكلام المستعمل كما ان ما يدعيه المنطقيون من المعنى المطلق من جميع القيود
لا يوجد الا مقدرا في الذهن لا يوجد في الخارج شي موجود خارج عن كل قيد ولهذا كان
ما يدعونه من تقسيم العلم الى تصور وتصديق وان التصور هو تصور المعنى الساذج
الخالي عن كل قيد لا يوجد ولذلك ما يدعونه من البسايط التي تتركب منها الانواع وانها
امور مطلقة عن كل قيد لا يوجد وما يدعونه من ان وجود واجب الوجود هو وجود مطلق

عن

بلغ



عن كل امر ثبوتي لا يوجد وهذه المطلقات عن جميع القيود ينبغي ان يعرفها
لمن نظر في هذه العلوم فانه بسبب ظن وجودها ضلت طوائف في العقليات والسمعيات
بل اذا قال العلماء مطلق ومقيد انما يعنون به مطلق عن ذلك القيد ومقيد بذلك
القيد كما يقولون الرقبة مطلقة في اية كفارة اليمين ومقيدة في اية القتل اي مطلقة
عن قيد الايمان والا فقد قيل فتحرير رقبة فقيدت بانها رقبة واحدة وانها موجودة وانها
تقبل التحرير والذين يقولون بالمطلق المحض يقولون هو الذي لا يتصف بوجه
ولا لثبوت ولا وجود ولا عدم ولا غير ذلك بل هو الحقيقة من حيث هي كما يذكره
الرازي تلقيا له عن ابن سينا وامثاله من المتفلسفة وقد بسطنا الكلام في هذا
الاطلاق والتقييد والكليات والجزئيات في مواضع غير هذا وبينا من غلط هولاء
في ذلك ما ليس هذا موضعه وانما المقصود هنا الاطلاق اللفظي وهو ان يتكلم
باللفظ مطلقا عن كل قيد وهذا لا وجود له وحينيذ فلا يتكلم احد الا بكلام مولف
مقيد مرتبط بعضه ببعض فتكون تلك القيود تمنعه الاطلاق فتبين انه ليس
لمن فرق بين الحقيقة والمجاز فرق معقول يمكن التمييز بين نوعين فعلم ان هذا بوجه
التقسيم باطل وحينيذ فكل لفظ موجود في كتاب الله وسنة رسوله فانه مقيد بما
يبين معناه فليس في شي من ذلك مجاز بل كله حقيقة ولهذا ادعى كثير من المتاخرين ان لما
في القرآن مجازا وذكروا ما يشهد لهم رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه فمن اشهر ما
ذكروه قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض قالوا والجدار ليس بحيوان والارادة انما تكون للحيوان
فاستعمالها في ميل الجدار مجاز فقيل لهم لفظ الارادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه
شعور وهو ميل الحي وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجماد وهو من مشهور اللغة
يقال هذا السقف يريد ان يقع وهذه الارض تريد ان تحرث وهذا الزرع يريد ان يسقى
وهذا الثمر يريد ان يقطف وهذا الثوب يريد ان يغسل وامثال ذلك واللفظ اذا
استعمل في معنيين فصاعدا فاما ان يجعل حقيقة في احدهما مجازا في الاخر او حقيقة فيما
يختص به كل منهما فيكون مشتركا اشتراكا لفظيا او حقيقة في القدر المشترك بينهما وهي
الاسماء المتواطية وهي الاسماء العامة كلها وعلى الاول يلزم المجاز وعلى الثاني يلزم الاشتراك ك
وكلاهما خلاف الاصل فوجب ان يجعل من المتواطية وبهذا يعرف عموم الاسماء العامة

كليا والاخلو فقال تقابل هو في مثل الجماد حقيقة وفي مثل الحيوان مجاز لم يكن بين العموم
فرق لا كثرة الاستعمال في مثل الحيوان لكن يستعمل مقيدا بما يبين انه اريد مثل
الحيوان وهنا استعمل مقيدا بما يبين انه اريد مثل الجماد والقدر المشترك بين
مسميات الاسما المتواطية امر كلي عام لا يوجد كليا عاما الا في الذهن وهو مورد
التقسيم بين الانواع لكن ذلك المعنى العام الكلي كان اهل اللغة لا يحتاجون الى
التعبير عنه لانهم انما يحتاجون الى ما يوجد في الخارج والى ما يوجد في القلوب في
العادة وما لا يكون في الخارج الا مضافا الى غيره لا يوجد في الذهن مجردا بخلاف
لفظ الانسان والفرس فانه لما كان يوجد في الخارج غير مضاف يتصوره الاذهان
تصور مسمى الانسان ومسمى الفرس بخلاف تصور مسمى الارادة ومسمى العلم
ومسمى القدرة ومسمى الوجود المطلق العام فان هذا لا يوجد له في اللغة لفظ مطلق — بيان العام
بدلالته بل لا يوجد لفظ الارادة الا مقيدا بالمريد ولا لفظ العلم الا مقيدا بالعالم
ولا لفظ القدرة الا مقيدا بل وهكذا سائر الاعراض لما لم يوجد الا في محالها مقيدة
بها لم يكن لها في اللغة لفظ الا كذلك فلا يوجد في اللغة لفظ السواد والبياض والطول — اللغة صح
والقصر الا مقيدا بالاسود والابيض والطويل والقصير ونحو ذلك لا مجردا عن كل
قيد وانما يوجد مجردا في كلام المصنفين في اللغة لانهم فهموا من كلام اهل اللغة
لانهم فهموا من كلام اهل اللغة ما يريدون به من القدر المشترك ومنه قوله
تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فان من الناس من يقول الحقيقة الذوق
حقيقة في الذوق بالفم واللباس مما يلبس على البدن وانما استعير هنا وهذا وليس
كذلك بل قال الخليل لفظ الذوق في لغة العرب والاستعمال يدل
على ذلك قال الله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وقال ذق
انك انت العزيز الكريم وقال فذاقت وبال امرها وقال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
فذوقوا عذابي ونذر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا الا حميما وغساقا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وفي بعض الادعية اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك
ولفظ الذوق يستعمل في كل ما يحس به ويجد المه او لذته فدعوى المدعي اختصاص

لفظ



لفظ الذوق بما يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت
هذا الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على انه ذوق بالفم واذا كان الذوق
مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه او بظاهره حتى الماء الحميم يقال ذاقه فالشرب
اذا كان باردا او حارا يقال ذقت حره وبرده واما لفظ اللباس فهو مستعمل في كل
ما يغشى الانسان فيلتبس به قال تعالى وجعلنا الليل لباسا وقال ولباس التقوى
ذلك خير وقال هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومنه يقال لبس الحق بالباطل اذا
خلطه به حتى غشاه فلم يتميز فالجوع الذي يشمل المه جميع الجائع نفسه وبدنه وكذلك — حتى صح
الخوف الذي يلبس البدن لو قيل فاذاقها الله الجوع والخوف لم يدل ذلك
على انه شامل لجميع اجزاء الجائع بخلاف ما اذا قيل لباس الجوع والخوف ولو قال فالبسهم
لم يكن فيه ما يدل على انهم ذاقوا ما يولمهم الا بالعقل ومن حيث انه يعرف ان الجائع
الخائف يألم بخلاف لفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس بالمولم
واذا اضيف الى الملذ دل على الاحساس به كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان
من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يوصف نعيم الجنة بالذوق
قيل لان الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان
لم ياكله واهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمل لفظ الذ — وق
في النفي كما قال عن اهل النار لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا اي لا يحصل لهم
من ذلك ولا ذوق وقال عن اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ن
وكذلك ما ادعوا انه مجاز في القرآن لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف
الى الله تعالى وزعموا انه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات
هذه الاسماء اذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له واما اذا فعلت بمن فعلها
بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلا كما قال تعالى كذلك كدنا ليوسف فكاد
له كما كادت اخوته لما قال له ابوه لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا
وقال تعالى انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا وقال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون
فانظر كيف كان عاقبة مكرهم وقال الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ولهذا كان

الاستهزاء بهم فعلا يستحق هذا الاسم كما روى عن ابن عباس انه يفتح لهم
باب الجنة وهم فى النار فيسرعون اليه فيغلق ثم يفتح لهم باب اخر فيسرعون
اليه فيغلق فيضحك منهم المؤمنون قال تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ه وعن الحسن البصرى
اذا كان يوم القيامة خمدت النار لهم كما تخمد الاهالة من القدر فيمشون فيخسف
بهم وعن مقاتل اذا ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب فيبقون فى الظلمة فيقال لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
وقال بعضهم استهزاؤه استدراجه لهم وقيل ايقاع استهزائهم ورد خداعهم
ومكرهم عليهم وقيل انه يظهر لهم فى الدنيا خلاف ما ابطن فى الاخرة وقيل هو تجهيلهم
وتخطيتهم فيما فعلوه وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة ومن الامثلة المشهورة
لمن يثبت المجاز فى القران قوله واسأل القرية قالوا المراد به اهلها فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فقيل لهم لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وامثال
هذه الامور التى فيها الحال والمحل كلاهما داخل فى الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك فى
النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل
وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت امنة
مطمئنة وقوله وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم
اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين وقال فى اية اخرى افامن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون فجعل القرى هم السكان وقال وكاين من قرية هى اشد
قوة من قريتك التى اخرجتك اهلكناهم فلا ناصر لهم وهم السكان وكذلك قوله وتلك
القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا وقال تعالى او كالذى مر على قرية
وهى خاوية على عروشها فهذا المكان لا السكان لكن لابد ان يلحظ انه كان مسكونا
فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى ماخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريت
الماء فى الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم
الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب اهلها
خربت واذا خربت كان عذابا لاهلها فما يصيب احدهما من الشر ينال الاخر كما

ينال



ينال البدن والروح ما يصيب احدهما فقوله واسأل القرية مثل قوله قرية كانت
امنة مطمئنة فاللفظ هنا اريد به السكان من غير اضمار ولا حذف فهذا بتقدير
ان يكون فى اللغة مجاز فلا مجاز فى القران وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز تقسيم
مبتدع محدث لم ينطق به السلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظيا
بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كل ما يذكرونه
من الفروق تبين انها فروق باطلة وكلما ذكر بعضهم فرقا ابطله الثانى كما يدعى
المنطقيون ان الصفات القائمة بالموصوفات تنقسم الى لازم لها الى داخل فى
ماهيتها الثابتة فى الخارج والى خارج عنها لازم للماهية ولازم خارج للوجود وذكروا
ثلثة فروق كلها باطلة لان هذا التقسيم باطل لا حقيقة له بل ما يجعلونه داخلا يمكن جعله
خارجا وبالعكس كما قد بسط فى موضعه وقولهم اللفظ ان دل بلا قرينة فهو حقيقة
وان لم يدل الا معها فهو مجاز فقد تبين بطلانه وانه ليس فى الالفاظ الدالة ما يدل مجردا
عن جميع القرائن ولا فيها ما يحتاج الى جميع القرائن واشهر امثلة المجاز لفظ الاسد والحمار
والبحر ونحو ذلك مما يقولون انه استعير للشجاع والبليد والجواد وهذه لا تستعمل
الا مؤلفة مركبة مقيدة بقيود لفظية كما تستعمل الحقيقة كقول ابى بكر الصديق عن
ابى قتادة لما طلب غيره سلب القتيل لاها الله اذا تعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله
ورسوله ووصف فيعطيك سلبه فقوله تعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله ورسوله
وصف له بالقوة للجهاد فى سبيله وقد عينه تعيينا ازال اللبس ولذلك قول النبى
صلى الله عليه وسلم ان خالدا سيفا من سيوف الله سله الله على المشركين وامثال ذلك وان قال
القائل القرائن اللفظية موضوعة ودلالتها على المعنى حقيقة لكن القرائن الحالية
مجاز قيل اللفظ لا يستعمل قط الا مقيدا بقيود لفظية موضوعة والحال حال المتكلم
والمستمع لابد من اعتباره فى جميع الكلام فانه اذا عرف المتكلم فهم من معنى كلامه
ما لا يفهم اذا لم يعرف لانه بذلك يعرف عادته فى خطابه واللفظ انما يدل على
ما اذا عرف لغة المتكلم التى بها يتكلم وهى عادته وعرفه التى يعتادها فى خطابه ودلالة
اللفظ على المعنى دلالة قصدية ارادية اختيارية فالمتكلم يريد دلالة اللفظ على المعنى
فاذا اعتاد ان يعبر باللفظ عن المعنى كانت تلك لغته ولهذا كل من كان له عناية

بالفاظ الرسول ومراده بها عرف عادته في خطابه وتبين له من مراده ما لا يستبين
لغيره ولهذا ينبغي ان يقصد اذا ذكر لفظ من القران والحديث ان يذكر نظاير ذلك
اللفظ ماذا عنى بها الله ورسوله فيعرف بذلك لغة القران والحديث وسنة الله
ورسوله التي يخاطب بها عباده وهي العادة المعروفة من كلامه ثم اذا كان لذلك نظاير
في كلام غيره وكانت النظاير كثيرة عرف ان تلك العادة واللغة مشتركة عامة
لا يختص بها هو صلى الله عليه وسلم بل هي لغة قومه ولا يجوز ان يحمل كلامه على غير عادات
حدثت بعده في الخطاب لم تكن معروفة في خطابه وخطاب اصحابه كما يفعله كثير
من الناس وقد لا يعرفون انتفا ذلك في زمانه ولهذا كان استعمال القياس في اللغة
وان جاز في الاستعمال فانه لا يجوز في الاستدلال فانه قد يجوز للانسان ان يستعمل
هو اللفظ في نظير المعنى الذي استعملوه فيه مع بيان ذلك على ما فيه من النزاع لكن
لا يجوز ان يعمد الى الفاظ قد عرف استعمالها في معاني فيحملها على غير تلك المعاني ويقول
انهم ارادوا تلك بالقياس على تلك بل هذا تبديل وتحريف فاذا قال الجار احق بسقبه
فالجار هو الجار ليس هو الشريك فان هذا لا يعرف في لغتهم لكن ليس في اللفظ ما
يقتضي انه يستحق الشفعة لكن يدل على ان البيع له اولى واما الخمر فقد ثبت بالنصوص
الكثيرة والنقول الصحيحة انها كانت اسما لكل مسكر لم يسموا النبيذ خمرا بالقياس وكذلك
النباش كانوا يسمونه سارقا كما قالت عايشة سارق موتانا كسارق احيانا واللايط
كان عندهم اغلظ من الزاني بالمراة ولا بد في تفسير القران والحديث من ان يعرف
ما يدل على مراد الله ورسوله من الالفاظ وكيف يفهم كلامه فمعرفة العربية التي
خوطبنا بها مما يعين على ان نفقه مراد الله ورسوله بكلامه وكذلك معرفة دلالة
الالفاظ على المعاني فان عامة ضلال اهل البدع كان بهذا السبب فانهم صاروا يحملون
كلام الله ورسوله على ما يدعون انه دال عليه ولا يكون الامر كذلك ويجعلون
هذه الدلالة حقيقة وهذه مجازا كما اخطا المرجية في اسم الايمان جعلوا لفظ الايمان
حقيقة في مجرد التصديق وتناوله للاعمال مجازا فيقال ان لم يصح التقسيم الى حقيقة
ومجاز فلا حاجة الى هذا وان صح فهذا لا ينفعكم بل هو عليكم لا لكم لان الحقيقة
هي اللفظ الذي يدل باطلاقه بلا قرينة والمجاز انما يدل بالقرينة وقد تبين ان لفظ

الايمان



الايمان حيث اطلق في الكتاب والسنة دخلت فيه الاعمال وانما يدعى خروجها منه عند
التقييد وهذا يدل على ان الحقيقة قوله الايمان بضع وستون شعبة واما حديث جبريل
فان كان اراد بالايمان ما ذكر مع الاسلام فهو كذلك وهذا الذي اراده النبي صلى الله عليه
وسلم قطعا كما انه لما ذكر الاحسان اراد الاحسان مع الايمان والاسلام لم يرد
ان الاحسان مجرد عن ايمان واسلام ولو قدر انه اريد بلفظ الايمان مجرد التصديق فلم
يقع ذلك الا مع قرينة فيلزم ان يكون مجازا وهذا معلوم بالضرورة لا يمكننا المنازعة فيه
بعد تدبر القران والحديث بخلاف كون لفظ الايمان في اللغة مرادفا للتصديق ودعوى ان
الشارع لم يغيره ولم ينقله بل اراد به ما كان يريده اهل اللغة بلا تخصيص ولا تقييد فان
هاتين المقدمتين لا يمكن الجزم بواحدة منهما فلا يعارض المتيقن بامر محتمل كيف وقد عرف
فساد كل واحدة من المقدمتين وانها من افسد الكلام وايضا فليس لفظ الايمان في دلالته
على الاعمال المامور بها بدون لفظ الصلوة والزكوة والصيام والحج في دلالته على الصلوة
الشرعية والصيام الشرعي والحج الشرعي سوا قيل ان الشارع نقله او زاد الحكم دون
الاسم او زاد الاسم وتصرف فيه تصرف اهل العرف او خاطب بالاسم مقيدا لا مطلقا
فان قيل الصلوة والحج ونحوهما لو ترك بعضها بطلت بخلاف الايمان فانه لا يبطل عند
الصحابة واهل السنة والجماعة بمجرد الذنب قيل ان اريد بالبطلان انه لا تبرا الذمة منها
علما فكذلك الايمان الواجب اذا ترك منه شيا لم تبرا الذمة منه كله وان اريد به
وجوب الاعادة فهذا ليس على الاطلاق فان في الحج واجبات اذا تركها لم يعد
بل يجبر بدم وكذلك في الصلوة عند اكثر العلما اذا تركها سهوا او مطلقا وحيث
وجبت الاعادة فانما تجب اذا امكنت الاعادة والا فاذا تعذرت اعادته بقي مطالبا به
كالجمعة ونحوها وان اريد بذلك انه لا يثاب على ما فعله فليس كذلك بل قد بين النبي
صلى الله عليه وسلم في حديث المسي في صلوته انه اذا لم يتمها يثاب على ما فعل ولا يكون
بمنزلة من لم يصل وفي غيره من الاحاديث ان الفرايض تكمل يوم القيمة من النوافل فاذا كانت
الفرايض مجبورة بثواب النوافل دل على انه يعتد له بما فعل منها فكذلك الايمان فانه اذا
ترك منه شيا كان عليه فعله ان كان محرما تاب منه وان كان واجبا فعله فاذا لم يفعله
لم تبرا ذمته منه واثيب على ما فعله كساير العبادات وقد دلت النصوص على انه يخرج

من الناس من في قلبه مثقال حبة من الايمان وقد عدلت المرجئة في هذا الاصل عن بيان
الكتاب والسنة واقوال الصحابة والتابعين لهم باحسان واعتمدوا على رايهم وعلى ما
تاولوه بفهمهم اللغة وهذه طريقة اهل البدع ولهذا كان الامام احمد يقول اكثر ما
يخطي الناس من جهة التاويل والقياس ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم
من اهل البدع يفسرون القران برايهم ومعقولهم وما تاولوه من اللغة ولهذا تجدهم لا
يعتمدون على احاديث النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وائمة المسلمين فلا يعتمدون
لا على السنة ولا على اجماع السلف واثارهم وانما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا
يعتمدون على كتب التفسير الماثورة والاحاديث واثار السلف وانما يعتمدون على كتب
الادب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة ايضا انما ياخذون
ما في كتب الفلسفة وكتب الادب واللغة واما كتب القران والحديث
والاثار فلا يلتفتون اليها هولاء يعرضون عن نصوص الانبيا اذ هي عندهم لا تفيد العلم
واولئك يتاولون القران برايهم وفهمهم بلا اثار عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وقد ذكرنا كلام احمد وغيره في انكار هذا وجعله طريقة اهل البدع واذا تدبرت حججهم
وجدت دعاوى لا يقوم عليها دليل والقاضي ابو بكر ابن الباقلاني نصر قول جهم في
مسالة الايمان متابعة لابي الحسن الاشعري وكذلك اكثر اصحابه فاما ابو العباس القلانسي
وابو علي الثقفي وابو عبد الله ابن مجاهد شيخ القاضي ابي بكر وصاحب ابي الحسن فانهم
نصروا مذهب السلف وابن كلاب نفسه والحسين ابن الفضل البجلي ونحوهما كانوا
يقولون هو التصديق والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقها الكوفيين كحماد ابن
ابي سليمان ومن اتبعه مثل ابي حنيفة وغيره فصل وابو الحسن الاشعري
نصر قول جهم في الايمان مع انه نصر المشهور عن اهل السنة من انه يستثنى في الايمان
فيقول انا مومن ان شا الله تعالى لانه نصر مذهب اهل السنة في انه لا يكفر احد من
اهل القبلة ولا يخلدون في النار وتقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك وهو دائما ينصر
في المسايل التي يتنازع فيها اهل الحديث وغيرهم قول اهل الحديث لكنه
لم يكن خبيرا بماخذهم فينصره على ما يراه هو من الاصول التي تلقاها عن غيرهم فيقع في
ذلك من التناقض ما ينكره هولاء وهولاء كما فعل في مسالة الايمان ونصر فيه قول جهم
مع



مع نصره للاستثناء ولهذا خالفه كثير من اصحابه في الاستثناء كما سنذكر ماخذه في ذلك
واتبعه اكثر اصحابه على نصر قول جهم في ذلك ومن لم يقف الا على كتب الكلام ولم
يعرف ما قاله السلف وائمة السنة في هذا الباب فيظن ان ما ذكره هو قول اهل السنة
وهو قول لم يقله احد من ائمة السنة بل قد كفر وكيع واحمد بن حنبل وغيرهما من قال بقول
جهم في الايمان الذي نصره ابو الحسن وهو عندهم شر من قول المرجئة ولهذا صار
من يعظم الشافعي من الزيدية والمعتزلة ونحوهم يطعن في كثير ممن ينتسب
اليه بقولهم كون الشافعي لم يكن فيلسوفا ولا مرجئا وهولاء فلاسفة اشعرية مرجئة
وعرضهم ذم الارجاء ونحن نذكر حججهم لكونه مشهورا عند كثير من المتاخرين المنتسبين
الى السنة قال القاضي ابو بكر في التمهيد فان قالوا فخبرونا ما الايمان عندكم
قيل الايمان هو التصديق بالله وهو العلم والتصديق يوجد بالقلب فان قال فما الدليل
على ما قلتم قيل اجماع اهل اللغة قاطبة على ان الايمان قبل نزول القران وبعثة النبي
صلى الله عليه وسلم هو التصديق لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك ويدل على ذلك
قوله وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا ومنه قولهم فلان يومن بالشفاعة وفلان
لا يومن بعذاب القبر اي لا يصدق بذلك فوجب ان الايمان في الشريعة هو الايمان
المعروف في اللغة لان الله ما غير اللسان ولا قلبه ولو فعل ذلك لتواترت الاخبار
بفعله وتوفرت دواعي الامة على نقله ولغلب اظهاره على كتمانه وفي علمنا بانه لم
يفعل ذلك بل اقر اسما الاشيا والتخاطب باسره على ما كان دليل على ان الايمان في
الشريعة هو الايمان اللغوي ومما يبين ذلك قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه وقوله انا جعلناه قرانا عربيا فاخبر انه انزل القران بلغة العرب وسمى الاسماء
بمسمياتهم ولا وجه للعدول بهذه الايات عن ظواهرها بغير حجة لا سيما مع القول
بالعموم وحصول التوقيف على ان القران نزل بلغتهم فدل على ما قلناه من ان الايمان
ما وصفنا دون ما سواه من سائر الطاعات من النوافل والمفروضات هذا لفظه
وهذا عمدة من نصر قول الجهمية في مسالة الايمان وللجمهور من اهل السنة وغيرهم
عن هذا اجوبة احدها قول من ينازعه في ان الايمان في اللغة مرادف للتصديق ويقول
هو بمعنى الاقرار وغيره والثاني قول من يقول وان كان في اللغة هو التصديق فالتصديق

يكون بالقلب واللسان والجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والفرج يصدق
ذلك او يكذبه والثالث ان يقال ليس هو مطلق التصديق بل تصديق خاص مقيد
بقيود اتصل اللفظ بها وليس هذا نقلا للفظ ولا تغييرا له فان الله لم يامرنا بايمان
مطلق بل بايمان خاص وصفه وبينه الرابع ان يقال وان كان هو التصديق فالتصديق
التام القايم بالقلب مستلزم لما وجب من اعمال القلب والجوارح فان هذه لوازم الايمان
التام وانتفا اللازم دليل على انتفا الملزوم ونقول ان هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ
تارة وتخرج عنه اخرى الخامس قول من يقول ان اللفظ باق على معناه في اللغة
ولكن الشارع زاد فيه احكاما السادس قول من يقول ان الشارع استعمله في معناه
المجازي فهو حقيقة شرعية مجاز لغوي السابع قول من يقول انه منقول فهذه
سبعة اقوال القول الاول قول من نازع في ان معناه في اللغة ليس هو التصديق بل بمعنى الاول
الاقرار وغيره فقوله اجماع اهل اللغة قاطبة على ان الايمان قبل نزول القران هو
التصديق فيقال له من نقل هذا الاجماع ومن اين تعلم هذا الاجماع وفي اي كتاب ذكر
هذا الاجماع الثاني ان يقال اتعني باهل اللغة نقلتها كابي عمرو والاصمعي والخليل ونحوهم
او المتكلمين بها فان عنيت الاول فهولا لا ينقلون كل ما كان قبل الاسلام باسناد
وانما ينقلون ما سمعوه من العرب في زمانهم وما سمعوه في دواوين الشعر وكلام
العرب وغير ذلك بالاسناد ولا نعلم فيما نقلوا لفظ الايمان فضلا عن ان يكونوا
اجمعوا عليه وان عنيت المتكلمين بهذا اللفظ قبل الاسلام فهولا لم نشهدهم
ولا نقل لنا احد عنهم ذلك الثالث انه لا يعرف عن هولا جميعهم انهم قالوا الايمان في
اللغة هو التصديق بل ولا عن بعضهم وان قدر انه قاله واحد او اثنان فليس هذا
اجماعا الرابع ان يقال هولا لا ينقلون الكلام المسموع من العرب وانه يفهم منه
كذا وكذا وحينيذ فلو قدر انهم نقلوا كلاما عن العرب يفهم منه ان الايمان هو
التصديق لم يكن ذلك ابلغ من نقل المسلمين كافة للقران عن النبي صلى الله عليه وسلم
واذا كان مع ذلك قد يظن بعضهم انه اريد به معنى ولم يرد فظن هولا فيما ينقلونه
عن العرب اولى الخامس انه لو قدر انهم قالوا هذا فهم احاد لا يثبت بنقلهم التواتر
والتواتر من شرطه استواء الطرفين والواسطة واين التواتر الموجود عن العرب قاطبة

قبل

قبل نزول القران انهم كانوا لا يعرفون للايمان معنى غير التصديق فان قيل هذا
يقدح في العلم باللغة قبل نزول القران قيل فليكن ونحن لا حاجة بنا مع بيان الرسول
صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله به من القران ان نعرف اللغة قبل نزول القران والقران
نزل بلغة قريش والذين خوطبوا به كانوا عربا وقد فهموا ما اريد به وهم الصحابة به
ثم الصحابة بلغوا لفظ القران ومعناه الى التابعين حتى انتهى الينا فلم يبق بنا حاجة
الى ان يتواتر عندنا تلك اللغة من غير طريق تواتر القران لكن لما تواتر القران لفظا
ومعنى وعرفنا انه نزل بلغتهم عرفنا انه كان في لغتهم لفظ السما والارض والليل والنهار
والشمس والقمر ونحو ذلك على ما هو معناها في القران والا فلو كلفنا متواتر الاحاد نقلا
هذه الالفاظ من غير القران لتعذر علينا ذلك في جميع الالفاظ لا سيما اذا كان المطلوب
ان جميع العرب كانت تريد باللفظ هذا المعنى فان هذا يتعذر العلم به والعلم بمعاني
القران ليس موقوفا على شي من ذلك بل الصحابة بلغوا معاني القران كما بلغوا لفظه
ولو قدرنا ان قوما سمعوا كلاما عجميا وترجموه لنا بلغتنا لم نحتج الى معرفة اللغة التي
خوطبوا بها اولا السادس انه لم يذكر شاهدا من كلام العرب على ما ادعاه
عليهم وانما استدل من غير القران بقول الناس فلان يومن بالشفاعة فلان يومن
بالجنة والنار فلان يومن بعذاب القبر وفلان لا يومن به ومعلوم ان هذا ليس من الفاظ
العرب قبل نزول القران بل هو مما تكلم الناس به بعد عصر الصحابة لما صار من
اهل البدع من يكذب بالشفاعة وعذاب القبر ومرادهم بذلك هو مرادهم بقوله فلان
يومن بالجنة والنار وفلان لا يومن بذلك والقايل لذلك وان كان يصدق القلب داخلا
في مراده فليس مراده ذلك وحده بل مراده التصديق بالقلب واللسان فان مجرد تصديق
القلب دون اللسان لا يعلم حتى يخبر به عنه السابع ان يقال من قال ذلك فليس
مراده التصديق بما يرجا ويخاف دون خوف ورجا بل يصدق بعذاب القبر ويخافه
ويصدق بالشفاعة ويرجوها والا فلو صدق بانه يعذب في قبره ولم يكن في قلبه خوف
من ذلك اصلا لم يسموه مومنا كما انهم لا يسمون مومنا بالجنة والنار الا من رجا
الجنة وخاف النار دون المعرض عن ذلك بالكلية مع علمه بانه حق كما لا يسمون
ابليس مومنا بالله وان كان عالما بان الله بعث موسى وانه هو الذي انزل الايات وقد

استيقنت بها انفسهم مع جحدهم لما استيقنوه ولا يسمون اليهود مومنين بالقران
والرسول وان كانوا يعرفون انه حق كما يعرفون ابناهم فلا يوجد قط في كلام
العرب ان من علم وجود شي مما يخاف ويرجا ويجب حبه وتعظيمه وهو مع ذلك لا
يحبه ولا يعظمه ولا يخافه ولا يرجوه بل يجحد به ويكذب بلسانه انهم يقولون هو مومن
به بل ولو عرف بقلبه وكذب به بلسانه لم يقولوا هو مصدق به ولو صدق به مع العمل
بخلاف مقتضاه لم يقولوا مومن به فلا يوجد في كلام العرب شاهد واحد يدل
على ما ادعوه وقوله وما انت بمومن لنا قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع فان هذا
استدلال بالقران وليس في الاية ما يدل على ان المصدق مرادف للمومن فان
صحة المعنى باحد اللفظين لا يدل على انه مرادف للاخر كما قد بسطناه في موضعه
الوجه الثامن قوله لا يعرفون في اللغة ايمانا غير ذلك من اين له هذا النفي
الذي لا يمكن الاحاطة به بل هو قول بلا علم التاسع قول من يقول اصل الايمان
ماخوذ من الامن كما سياتي ان شا الله وقد نقلوا في اللغة
الايمان بغير هذا المعنى كما قاله الشيخ ابو البيان في قول
الوجه العاشر انه لو فرض ان الايمان في اللغة التصديق فمعلوم ان الايمان
ليس هو التصديق بكل شي بل بشي مخصوص وهو ما اخبر به الرسول صلى الله عليه
وسلم وحينيذ فيكون الايمان في كلام الشارع اخص من الايمان في اللغة ومعلوم ان
الخاص ينضم اليه قيود لا توجد في جميع العام كالحيوان اذا اخذ بعض انواعه
وهو الانسان كان فيه المعنى العام ومعنى اختص به وذلك المجموع ليس هو المعنى
العام فالتصديق الذي هو الايمان ادنى احواله ان يكون نوعا من التصديق العام
فلا يكون مطابقا له في العموم والخصوص من غير تغيير اللسان ولا قلبه بل يكون
الايمان في كلام الشارع مولفا من العام والخاص كالانسان الموصوف بانه حيوان
وانه ناطق الحادي عشر ان القران ليس فيه ذكر ايمان مطلق
غير مفسر بل لفظ الايمان فيه اما مقيد واما مطلق مفسر فالمقيد كقوله يومنون
بالغيب وقوله فما امن لموسى الا ذرية من قومه والمطلق المفسر كقوله تعالى انما
المومنون الذين امنوا اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الايه وقوله انما المومنون
الذين

36.

الذين اذا امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
اوليك هم الصادقون ونحو ذلك وقوله فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وامثال هذه الايات فكل ايمان مطلق
في القران فقد بين فيه انه لا يكون الرجل مومنا الا بالعمل مع التصديق فقد بين القران
ان الايمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك في اسم الصلوة والصيام
والزكوة والحج فان قيل تلك الاسما باقية ولكن ضم الى المسمى اعمال في الحكم
لا في الاسم كما يقوله القاضي ابو يعلى وغيره قيل ان كان هذا صحيحا قيل مثله في الايمان
وقد اورد هذا السوال بعضهم ثم لم يجب عنه بجواب صحيح بل زعم ان الايمان لم
يذكر فيه ذلك وليس كذلك بل القران والسنة مملو بما يدل على ان الرجل لا يثبت
له حكم الايمان الا بالعمل مع التصديق وهذا في القران اكثر بكثير من معنى الصلوة والزكوة
فان تلك انما فسرتها السنة والايمان بين معناه الكتاب والسنة واجماع السلف
الثاني عشر انه اذا قيل ان الشارع خاطب الناس بلغة العرب فانما خاطبهم
بلغتهم المعروفة وقد جرى عرفهم ان الاسم يكون مطلقا وعاما ثم يدخل فيه قيد اخص
من معناه كما يقولون اذهب الى القاضي والوالي والامير يريدون شخصا معينا معروفا
به دلت عليه اللام مع معرفتهم به وهذا الاسم في اللغة اسم جنس لا يدل على خصوص
شخص وامثال ذلك فلذلك الايمان والصلوة والزكاة انما خاطبهم بهذه الاسما بلام
التعريف وقد عرفهم قبل ذلك ان المراد الايمان الذي صفته كذا وكذا والدعا
الذي صفته كذا وكذا فبتقدير ان يكون في لغتهم التصديق فانه قد بين انه لا يكتفى
بتصديق القلب واللسان فضلا عن تصديق القلب وحده بل لا بد ان يعمل بموجب
ذلك التصديق كما في قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفي قوله صلى الله عليه وسلم لا يومنوا حتى يكون كذا وفي
قوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وفي قوله ولو
كانوا يومنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة
كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقوله لا يومن من لا يامن جاره بوايقه
وامثال ذلك فقد تبين لهم ان التصديق الذي لا يكون الرجل مومنا الا به هو ان يكون

تصديقا على هذا الوجه وهذا ابين في القران والسنه من غير تغيير للغه ولا
نقل لها ان الثالث عشر ان يقال بل نقل وغير قوله لو فعل لتواتر قيل
نعم وقد تواتر انه اراد بالصلوه والزكوه والصيام والحج معانيها المعروفه واراد
بالايمان ما بينه بكتابه وسنه رسوله من ان العبد لا يكون مومنا الا به كقوله انما
المومنون وهذا متواتر في القران والسنن ومتواتر ايضا انه لم يكن يحكم لاحد
بحكم الايمان الا ان يودي الفرايض ومتواتر عنه انه اخبر ان من مات مومنا دخل
الجنه ولم يعذب وان المنافق لا يستحقون ذلك بل هم معرضون للعذاب
فقد تواتر عنه من معاني اسم الايمان واحكامه ما لم يتواتر عنه في غيره فاي تواتر
ابلغ من هذا وقد توفرت الدواعي على ذلك واظهاره ولله الحمد ولا يقدر احد ان نقل صح
ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلا يناقض هذا لكن اخبارا يخرج منها من كان معه
شي من الايمان ولم ينقل ان المومن يدخلها ولا قال ان المنافق مومنون لكن ادخلهم
في مسمى الايمان في مواضع كما ادخل المنافق في اسم الايمان في مواضع مع القيود
واما الاسم المطلق الذي وعد اهله بالجنه فلم يدخل فيه لا هولاء ولا هولاء ٥
الرابع عشر قوله ولا وجه للعدول بالكلمات التي تدل على انه عربي عن
ظاهرها فيقال له الايات التي فسرت المومن وسلبت الايمان عمن لم يعمل اصرح
واكثر من هذه الايات ثم اذا دلت انه عربي فماذا لم لا تخرجه عن كونه عربيا ولهذا
لما خاطبهم بلفظ الصلوه والحج وغير ذلك لم يقولوا هذا ليس بعربي بل خاطبهم باسم
المنافق وقد ذكر اهل اللغه ان هذا الاسم لم يكن يعرف في الجاهليه ولم يقولوا
انه ليس بعربي لان المنافق مشتق من نفق اذا خرج فاذا كان اللفظ مشتقا
من لغتهم وقد تصرف فيه المتكلم به كما جرت عادتهم في لغتهم لم يخرج ذلك
عن كونه عربيا الوجه الخامس عشر انه لو فرض ان هذه الالفاظ
ليست عربيه فليس تخصيص عموم هذه الالفاظ باعظم من اخراج لفظ الايمان عما
دل عليه الكتاب والسنه واجماع السلف فان النصوص التي تنفي الايمان عمن لا يحب
الله ورسوله ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيا من الواجب ولا يترك شيا
من المحرم كثيره صريحه فاذا قدر انها عارضها ايه كان تخصيص اللفظ القليل العام

اولى



الرسول صح

اولى من رد النصوص الكثيره الصريحه ٥ السادس عشر ان هولاء وافقه
في الفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسلف يقولون وقفنا على معاني الايمان وبينه
لنا وعلمنا مراده منه بالاضطرار وعلمنا من مراده علما ضروريا ان من قيل انه صدق ولم
يتكلم بلسانه بالايمان مع قدرته على ذلك ولا صلى ولا صام ولا احب الله ورسوله
ولا خاف الله بل كان مبغضا للرسول معاديا له يقاتله ان هذا ليس بمومن كما
علمنا ان الكفار من المشركين واهل الكتاب الذين كانوا يعلمون انه رسول الله وفعلوا

معلومه صح

ذلك معه كانوا عنده كفارا لا مومنين فهذا عندنا بالاضطرار اعظم من علمنا بان القران
كله ليس فيه لفظ غير عربي فلو قدر التعارض لكان تقديم ذلك العلم الضروري
اولى فان قالوا من علم ان الرسول لم يعلم ان التصديق من قلبه قيل لهم هذه مكابره

معه علم

ان ارادوا انهم كانوا شاكين مرتابين واما ان عنى التصديق الذي لم يحصل فهو
ناقص كالمعدوم فهذا صحيح ثم انما ثبت اذا ثبت ان الايمان مجرد تصديق
القلب وعلمه وذلك انما ثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا فلا تثبت
الدعوى بالدعوى مع لزوم صاحبها ثم يقال قد علمنا بالاضطرار ان اليهود وغيرهم
كانوا يعرفون ان محمدا رسول الله وكان يحكم بكفرهم فقد علمنا من دينه ضروره
انه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب اذا لم يعمل بهذا التصديق
بحيث يحبه ويعظمه ويسلم لما جاء به ومتابعا رضي به ان يقال هذا الذي ذكرتمو
ان كان صحيحا فهو دال على قول المرجيه بل على قول الكراميه منه على قولكم وذلك

ل

ان الايمان اذا كان هو التصديق كما ذكرتم فالتصديق نوع من انواع الكلام فاستعما
لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في المعنى واللفظ بل في اللفظ الدال على المعنى اكثر
في اللغه من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ بل لا يوجد قط اطلاق اسم الكلام
ولا انواعه كالخبر والتصديق والتكذيب والامر والنهي على مجرد المعنى من غير
شي يقترن به من عباره ولا اشاره ولا غيرهما وانما تستعمل مقيدا واذا كان الله انما
انزل القران بلغه العرب فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الاقوال الا
ما كان معنى ولفظا او لفظا يدل على معنى ولهذا لم يجعل الله احدا مصدقا للرسل
بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بالسنتهم ولا يوجد في كلام

الايمان

العرب ان يقال فلان اصدق فلانا او كذبه اذا كان يعلم بقلبه انه صادق او كاذب
ولم يتكلم بذلك كما لا يقال امره ونهاه اذا قام بقلبه طلب مجرد عما يعرف
به من لفظ او اشارة او نحوهما ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان صلاتنا هذه
لا يصلح فيها شي من كلام الناس وقال ان الله يحدث من امره ما شا وان مما احدث
ان لا تكلموا في الصلوة اتفق العلما على انه اذا تكلم في الصلوة عامدا لغير
مصلحتها بطلت صلوته واتفقوا كلهم على ان ما يقوم بالقلب من تصديق بامور
دنيويه وطلب لا يبطل الصلوة وانما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على ان
هذا ليس بكلام وايضا في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز
لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل به فقد اخبر ان الله عفا عن
حديث النفس الا ان تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام واخبر انه لا
يواخذ به حتى يتكلم به والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلما فعلم ان هذا
هو الكلام في اللغه لان الشارع كما قرر انما خاطبنا بلغة العرب وايضا ففي
السنن ان معاذا قال يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال وهل يكب الناس
في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم فبين ان الكلام انما هو ما يكون باللسان
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد
الا كل شي ما خلا الله باطل وفي الصحيحين عنه انه قال كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقد قال
تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابايهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الكلام
بعد القران اربع وهن من القران سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر رواه
مسلم وقال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومثل هذا كثير
وفي الجمله حيث ذكر الله في كتابه عن احد من الخلق من الانبيا او اتباعهم او مكذبيهم
انهم قالوا ويقولون وذلك قولهم وامثال ذلك انما يعني به المعنى مع اللفظ فهذا
اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وامر ومصدر واسم فاعل من لفظ
القول والكلام ونحوهما انما يعرف في القران والسنه وسائر كلام العرب اذا
كان



كان لفظا ومعنى ولذلك انواعه كالتصديق والتكذيب والامر والنهي وغير ذلك وهذا
مما لا يمكن احدا جحده فانه اكثر من ان يحصى ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابه والتابعين
لهم باحسان وتابعيهم لا من اهل السنه ولا من اهل البدعه بل اول من عرف في الاسلام انه
جعل مسمى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كلاب وهو متاخر في زمن
محنة احمد بن حنبل وقد انكر ذلك عليه علما اهل السنه وعلما البدعه فيمتنع ان يكون
الكلام الذي هو اظهر صفات بني ادم كما قال تعالى فورب السما والارض انه لحق
مثل ما انكم تنطقون ولفظه لا يحصى وجوهه كثرة لم يعرفه احد من الصحابه والتابعين
وتابعيهم حتى جا من قال فيه قولا لم يسبقه احد اليه من المسلمين ولا غيرهم فان قالوا
فقد قال تعالى ويقولون في انفسهم وقال واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ونحو
ذلك قيل ان كان المراد انهم قالوه بالسنتهم سرا فلا حجة فيه وهذا هو الذي ذكره المفسرون
قالوا كانوا يقولون سام عليك فاذا خرجوا يقولون في انفسهم اي يقول بعضهم لبعض
لو كان نبيا عذبنا بقولنا له ما نقول وان قدر انه اريد بذلك انهم قالوه في قلوبهم فهذا
قول مقيد بالنفس مثل قوله عما حدثت به انفسها ولهذا قالوا لولا يعذبنا الله بما نقول
وان قدر انه اريد بذلك انهم قالوه في قلوبهم فهذا قول مقيد ولم يطلقوا لفظ القول هنا
والمراد به ما قالوه بالسنتهم لانه النجوى والتحيه التي نهوا عنها كما قال تعالى الم تر الى الذين
نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول مع ان
الاول هو الذي عليه المفسرون وعليه تدل نظايره فان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير
منهم ليس المراد انه لا يتكلم به بلسانه بل المراد انه ذكر الله بلسانه ولذلك قوله واذكر ربك
في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول هو الذكر باللسان والذي يقيد
بالنفس لفظ الحديث يقال حديث النفس ولم يوجد عنهم انهم قالوا كلام النفس وقول
النفس كما قالوا حديث النفس ولهذا يعبر بلفظ الحديث عن الاحلام التي يرى
في المنام كقول يعقوب صلى الله عليه وسلم ويعلمك من تاويل الاحاديث وتلك في النفس
لا تكون باللسان فلفظ الحديث قد يقيد بما في الانسان النفس بخلاف لفظ الكلام فانه

لم يعرف انه اريد به ما في النفس فقط واما قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به
انه عليم بذات الصدور فالمراد به القول الذي تارة يسر به فلا يسمعه الانسان وتارة
يجهر به فيسمعونه كما يقال اسر القراءة وجهر بها وصلاة السر وصلاة الجهر ولهذا
لم يقل قولوه بالسنتكم او بقلوبكم وما في النفس لا يتصور الجهر به وانما يجهر بما في اللسان
وقوله انه عليم بذات الصدور من باب التنبيه يقول انه يعلم ما في الصدور فكيف لا يعلم
القول كما قال في الاية الاخرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فنبه بذلك
على انه يعلم الجهر ويدل على ذلك انه قال اسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات
الصدور فلو اراد بالقول ما في النفس لكونه ذكر علمه بذات الصدور لم يكن قد ذكر
علمه بالنوع الاخر وهو الجهر وان قيل نبه قيل بل نبه على القسمين وقوله ايتك ان لا
تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا قد دل هذا في قوله ثلث ليال سويا وهناك لم يستثن
شيا والقصة واحدة وهذا يدل على ان الاستثنا منقطع والمعنى ايتك ان لا تكلم الناس
لكن ترمز اليهم رمزا كالخطاب في القران وقوله فاوحى اليهم هو الترمز ولو قدر ان
الرمز استثنا متصل لكان قد دخل في الكلام المقيد بالاستثناء كما في قوله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
ولا يلزم من ذلك ان يدخل في لفظ الكلام المطلق وليس في لغة القوم اصلا ما يدل
على ان ما في النفس يتناوله لفظ الكلام والقول المطلق فضلا عن التصديق والتكذيب
فعلم ان من لم يصدق بلسانه مع القدرة لا يسمى في لغة القوم مصدقا فليس مومنا كما
اتفق على ذلك سلف الامة من الصحابة والتابعين لهم باحسان وقول عمر رضي الله
عنه زورت في نفسي مقالة اردت ان اقولها حجة عليهم قال ابو عبيد التزوير اصلاح
الكلام وتهيئته قال وقال ابو زيد المزور من الكلام والمزوق واحد وهو المصلح الحسن
وقال غيره زورت في نفسي مقالة اي هياتها لاقولها فلفظه يدل على انه قدر في نفسه
ما يريد ان يقوله ولم يقله فعلم انه لا يكون قولا الا اذا قيل باللسان وقبل ذلك لم
يكن قولا لكن كان مقدرا في النفس يراد ان يقال كما يقدر الانسان في نفسه انه يحج
وانه يصلي وانه يسافر الى غير ذلك فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة
في النفس ولكن لا يسمى قولا وعملا الا اذا وجد في الخارج كما انه لا يكون حاجا ومصليا

الا



الا اذا حدث ووجدت هذه الافعال في الخارج ولهذا كان ما يهم به المومن من الاقوال المحرمه
والافعال المحرمه لا يكتب عليه حتى يقوله او يفعله وما هم به من القول الحسن والعمل
الحسن انما يكتب له به حسنة واحدة فاذا صار قولا وفعلا كتب له به عشر حسنات
الى سبعمائة حسنة وعوقب عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عفا لامتي
عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل واما البيت الذي يحكى عن الاخطل انه قال

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا ٥

فمن الناس من انكر ان يكون هذا من شعره وقالوا انهم فتشوا ديوانه فلم يجدوه وهذا
يروى عن ابي محمد الخشاب ٥ وقال بعضهم لفظه ان البيان لفي الفؤاد ولو احتج محتج في
مسالة بحديث اخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا هذا خبر واحد ويكون
مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله
باسناد لا واحد ولا اكثر من واحد ولا تلقاه اهل العربية بالقبول فكيف يثبت به ادنى
شي من اللغة فضلا عن مسمى الكلام ثم يقال مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج
فيه الى قول شاعر فان هذا مما تكلم به الاولون والاخرون من اهل اللغة وعرفوا
معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الراس واليد والرجل وايضا فالناطقون باللغة
يحتج باستعمالهم للالفاظ في معانيها لا بما يذكرونه من الحدود فان اهل اللغة الناطقين
لا يقول احدهم ان الراس كذا واليد كذا والكلام واللون كذا بل ينطقون
بهذه الالفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم فعلم ان الاخطل لم يرد
بهذا ان يذكر مسمى الكلام ولا احد من الشعراء يقصد ذلك البتة وانما اراد ان كان قال
ذلك ما فسره به المفسرون للشعر اي اصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى فاذا
قال الانسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا يثق به وهذا كالاقوال التي ذكرها الله تعالى
عن المنافقين وذكر انهم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ولهذا قال ٥

لا يعجبنك من اثير خطه حتى يكون من الكلام اصيلا
ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

مع صح

نهاه ان يعجب

بقول له الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الاصل ولهذا قال حتى يكون مع الكلام اصيلا وقوله
مع الكلام دليل على ان اللفظ الظاهر قد سماه كلاما وان لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه

وهذه الحجة عليهم فقد اشتمل شعرهم على هذا وهذا بل قوله مع الكلام مطلق
وقوله ان الكلام لفي الفؤاد اراد به اصله ومعناه المقصود به واللسان دليل
على ذلك وبالجمله فمن احتاج الى ان يعرف مسمى الكلام في لغه العرب والفرس
والروم والترك وساير اجناس بني ادم بقول شاعر فانه من ابعد الناس عن
معرفه طرق العلم ثم هو من المولدين ليس من الشعرا القدماء وهو نصراني كافر
مثلث واسمه الاخطل والخطل فساد في الكلام وهو نصراني والنصارى قد اخطاوا
في مسمى الكلام فجعلوا المسيح القايم بنفسه هو نفس كلمه الله فمن انه كان الايمان ان صح
في اللغه هو التصديق والقران انما اراد به مجرد التصديق الذي هو قول وليس
العمل تصديقا فليس الصواب الا قول المرجيه انه اللفظ والمعنى او قول الكراميه
انه قول باللسان فقط فان تسميه قول اللسان قولا اشهر في اللغه من تسميه معنى
في القلب قولا لقوله تعالى يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وقوله ومن الناس
من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين وامثال ذلك بخلاف ما في النفس
فانه انما سمي حديثا والكراميه يقولون المنافق مومن وهو مخلد في النار لانه امن ظاهرا
لا باطنا وانما يدخل الجنه من امن باطنا وظاهرا قالوا والدليل على شمول الايمان له انه
يدخل في الاحكام الدنيويه المعلقه باسم الايمان كقوله تعالى فتحرير رقبه مومنه
ويخاطب في الظاهر بالجمعه والطهاره وغير ذلك مما خوطب به الذين امنوا واما من صدق
بقلبه ولم يتكلم بلسانه فانه لا يعلق به شي من احكام الايمان لا في الدنيا ولا في
الاخره ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله يا ايها الذين امنوا فقيل ان قول الكراميه
في الايمان وان كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم اليه احد فقول الجهميه ابطل منه
واولى باقرب الى الاستدلال باللغه والقران والعقل لعقل من الجهميه والكراميه
توافق المرجيه والجهميه في ان ايمان الناس كلهم سوا ولا يستثنون في الايمان
بل يقولون هو مومن حقا لمن اظهر الايمان واذا كان منافقا فهو مخلد في النار عندهم
فانه انما يدخل الجنه من امن باطنا وظاهرا ومن حكى عنهم انهم يقولون المنافق يدخل
الجنه فقد كذب عليهم بل يقولون المنافق مومن لان الايمان هو القول الظاهر كما
يسميه غيرهم مسلما اذ الاسلام هو الاستسلام الظاهر ولا ريب ان قول الجهميه
افسد



افسد من قولهم من وجوه متعدده شرعا ولغه وعقلا واذا قيل قول الكراميه قول
خارج عن اجماع المسلمين قبلهم قيل وقول الجهميه في الايمان قول خارج عن اجماع المسلمين قبله
بل السلف كفروا من يقول بقول جهم في الايمان وقد احتج الناس على فساد قول جهم و
الكراميه بحجج صحيحه والحجج من جنسها على فساد قول الجهميه اكثر مثل قوله تعالى ومن
الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين قالوا فقد نفى الله الايمان عن
المنافقين فيقول هذا حق فان المنافق ليس بمومن وقد ضل من سماه مومنا ولكن
من كان بقلبه علم وتصديق وهو يجحد الرسول ويعاديه كاليهود وغيرهم ممن
اسه لهم لم يسمهم مومنين قط ولا دخلوا في شي من احكام الايمان بخلاف المنافق
فانه يدخل في احكام الايمان الظاهره في الدنيا بل قد نفى الله الايمان عمن قال بقلبه ولسا له
انه لم يعمل كما قال تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا الى
قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اوليك هم الصادقون فنفى الايمان عمن سوى هولاء وقال تعالى ويقولون
امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اوليك بالمومنين
والتولي هو التولي عن الطاعه كما قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم
عذابا اليما وقال تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى فعلم ان التولي ليس
هو التكذيب وقال تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وكذلك قول
موسى وهرون انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى فدل على ان التولي
ليس هو التكذيب بل هو التولي عن الطاعه فان الناس عليهم ان يصدقوا الرسول فيما
اخبر ويطيعوه فيما امر وضد التصديق التكذيب وضد الطاعه التولي فلهذا قال
قال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى وقد قال تعالى ويقولون امنا بالله وبالر سول
واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اوليك بالمومنين فنفى الايمان
عمن تولى عن العمل وان كان قد اتى بالقول وقال تعالى انما المومنون الذين امنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه وقال انما المومنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ففي القران والسنه من نفي الايمان عمن لم يات بالعمل

مواضع كثيرة كما فيها من نفي الايمان عن المنافق واما العالم بقلبه مع المعاداة
والمخالفة الظاهرة فهذا لم يسم قط مومنا وعند الجهمية اذا كان العلم في قلبه فهو
مومن كامل الايمان ايمانه كايمان النبيين ولو قال وعمل ماذا عسى ان يقول
ويعمل ولا يتصور عندهم ان ينتفي عنه الايمان الا اذا زال ذلك العلم من قلبه ثم
اكثر المتاخرين الذين نصروا قول جهم يقولون بالاستثناء في الايمان ويقول
الايمان في الشرع هو ما يوافي به العبد ربه وان كان في اللغة اعم من ذلك فجعلوا
في مسالة الاستثناء مسمى الايمان ما ادعوا انه مسماه في الشرع وعدلوا عن اللغة
فهلا فعلوا هذا في الاعمال ودلالة الشرع على ان الاعمال الواجبة من تمام الايمان
لا تحصى كثرة بخلاف دلالته على انه لا يسمى ايمانا الا ما مات الرجل عليه فانه ليس في الشرع
ما يدل على هذا وهو قول محدث لم يقله احد من السلف لكن هولاء ظنوا ان الذين
استثنوا في الايمان من السلف كان هذا ماخذهم لان هولاء وامثالهم لم يكونوا
خبيرين بكلام السلف بل ينصرون ما يظهر من اقوالهم بما تلقوه عن المتكلمين من الجهمية
ونحوهم من اهل البدع فيبقى الظاهر قول السلف والباطن قول الجهمية الذين هم
افسد الناس مقالة في الايمان وسنذكر ان شا الله تعالى اقوال السلف في الاستثناء
ولهذا المصار يظهر لبعض اتباع ابي الحسن فساد قول جهم في الايمان فخالفه كثير منهم
فمنهم من اتبع السلف قال ابو القسم الانصاري شيخ الشهرستاني في شرح الارشاد
لابي المعالي بعد ان ذكر قول اصحابه قال وذهب اهل الاثر الى ان الايمان جميع
الطاعات فرضها ونفلها وعبروا عنه بانه اتيان ما امر الله به فرضا ونفلا والانتها
عما نهى عنه تحريما وادبا قال وبهذا كان يقول ابو علي الثقفي من متقدمي اصحابنا
وابو العباس القلانسي وقد قال مال الى هذا المذهب ابو عبد الله ابن مجاهد
قال وهذا قول مالك ابن انس امام دار الهجرة ومعظم ايمة السلف رضوان الله عليهم
اجمعين وكانوا يقولون الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ومنهم
من يقول قال يقول المرجية انه التصديق بالقلب واللسان ومنهم من قال اذا ترك
التصديق باللسان عنادا كان كافرا بالشرع وان كان في قلبه التصديق والعلم ٥
قلت وهذان القولان ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بانه ليس
مجرد



الى
فقال الخروف انه من الكباير لا يخرج المرء المخالفة فيه عن الايمان وكذلك قال ابو
اسحاق الاسفراي قال الانصاري رايت في تصانيفه ان المومن انما يكون مومنا حقا
اذا حقق الايمان ايمانه بالاعمال الصالحة كما ان العالم انما يكون عالما حقا اذا اعلم
واستشهد بقول الله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا الى قوله اولئك هم المومنون حقا وقال ايضا
ابو اسحق حقيقة الايمان في اللغة التصديق ولا يتحقق ذلك الا بالمعرفة والايثار
ويقوم الانقياد والاستسلام مقام العبادة ٥ وقال ايضا ابو اسحق في كتاب الاسماء
والصفات اتفقوا على ان ما يستحق به المكلف اسم الايمان في الشريعة اوصاف
كثيرة وعقايد مختلفة مختلفة وان اختلفوا فيها على تفصيل ذكروه واختلفوا في اضافة
ما لا يدخل في جملة التصديق اليه لصحة الاسم فمنها ترك قتل الرسول وترك تعظيمه
وترك تعظيم الاصنام فهذا من التروك ومن الافعال نصرة الرسول والذب
عنه فقالوا ان جميعه يضاف الى التصديق شرعا قال وهذا قول مالك ابن انس امام
دار الهجرة ومعظم ايمة السلف رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا يقولون الايمان
معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان ومنهم من قال يقول
المرجية انه التصديق بالقلب واللسان ومنهم من قال اذا ترك التصديق باللسان
عنادا كان كافرا بالشرع وان كان في قلبه التصديق والعلم ٥ قلت
وهذان القولان قول ليسا قول جهم لكن من قال ذلك فقد اعترف بانه ليس مجرد
تصديق القلب وهو ليس هو شيا واحدا او قال ان الشرع تصرف فيه وهذا يفيد هم
اصلهم ولهذا كان حذاق هولا جهم والصالحي وابي الحسن والقاضي ابي بكر على انه
لا يزول عنه اسم الايمان الا بزوال العلم من قلبه قال قال ابو المعالي ٥
باب في ذكر الاحكام والاسماء اعلم ان غرضنا في هذا الباب يستدعي
تقديم ذكر حقيقة الايمان قال وهذا ما تباينت فيه مذاهب الاسلاميين ثم ذكر
قول الخوارج والمعتزلة والكرامية ثم قال واما مذهب اصحابنا فصار اهل التحقيق
من اصحاب الحديث مشهورا والنظار منهم الى ان الايمان وطلوعهم هو التصديق وبه
قال شيخنا ابو الحسن رحمه الله عليه واختلف رايه في معنى التصديق فقال مرة هو

المعرفة بوجوده وقدمه والهيته وقال من التصديق قول في النفس غير انه يتضمن
المعرفة ولا يصح ان يوجد دونها وهذا ما ارتضاه فان التصديق والكذب والصدق
والكذب بالاقوال اجدر فالتصديق اذاً قول في النفس يعبر عنه باللسان فتوصف
العبارة بانها تصديق لانها عبارة عن التصديق قال وقال بعض اصحابنا التصديق لا
يتحقق الا بالقول جميعا فاذا اجتمعا كانا تصديقا واحدا ومنهم من اكتفى بترك العناد
ثم يجعل الاقرار احد ركني الايمان فيقول الايمان هو التصديق بالقلب واوجب
ترك العناد بالشرع وعلى هذا الاصل يجوز ان يعرف الكافر الله وانما يكفر بالعناد لا
لانه ترك ما هو الاسم في الايمان وعلى هذا الاصل يقال ان اليهود كانوا عالمين بالله
وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا انهم كفروا عنادا وبغيا وحسدا قال وعلى قول شيخنا
يجوز ان يقال ابي الحسن كل من حكمنا بكفره فنقول انه لا يعرف الله اصلا ولا عرف رسوله
ولا دينه قال ابو القاسم الانصاري تلميذه كان المعنى لا علم لا بايمانه ولا لمعرفته شرعا
قلت ـــــ وليس الامر على هذا القول كما قاله الانصاري هذا ولكن
القول على قولهم المعاند شرعا فيجعل للكفر تارة ما نافى الايمان الذي في القلب وتارة كافر صح
بالعناد ويجعل هذا كافرا في الشرع وان كان معه حقيقة الايمان الذي هو التصديق
ويلزمه ان يكون كافرا في الشرع من ان معه الايمان الذي هو مثل ايمان الانبياء والملائكة
والحذاق من هذا المذهب كابي الحسن والقاضي ومن قبلهم من اتباع جهم عرفوا ان
هذا تناقض يفسد الاصل فقالوا لا يكون احد كافرا الا اذا ذهب ما في قلبه من التصديق
والتزموا ان كل من حكم الشرع بكفره فانه ليس في قلبه شيء من التصديق بمعرفة الله ولا
معرفة رسوله ولهذا انكر هذا عليهم جماهير العقلاء وقالوا هذا مكابرة وسفسطة
وقد احتجوا على قولهم بقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد
الله ورسوله الى قوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان الاية قالوا ومفهوم هذا ان من لم يعمل
بمقتضاه لم يكتب في قلوبهم الايمان قالوا فان قيل معناه لا يؤمنون ايمانا مجزيا معتدا به
او يكون المعنى لا يوادون حقوق الايمان ولا يعملون بمقتضاه قلنا هذا عام لا يختص الا
بدليل فيقال لهم هذه الاية فيها نفي الايمان عمن يواد المحادين لله ورسوله وفيه ان من لا
يواد المحادين لله ورسوله فان الله كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه وهذا يدل على
مذهب



مذهب السلف انه لا بد في الايمان من محبة القلب لله ولرسوله ومن بغض من حاد
الله ورسوله ثم لم يدل الاية على ان العلم الذي في قلوبهم بان محمدا رسول الله مرتفع لا يبقى
منه شيء والايمان الذي كتب ليس هو مجرد العلم والتصديق بل هو تصديق القلب وعمل
القلب ولهذا قال وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي
الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون فقد وعدهم بالجنة
وقد اتفق الجميع على ان الوعيد بالجنة لا يكون الا مع الاتيان بالمامور به وترك المحظور
فعلم ان هؤلاء الذي كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه قد ادوا الواجبات
التي بها يستحقون ما وعد الله به الابرار المتقين ودل هذا على ان الفساق لم يدخلوا
في هذا الوعد ودلت هذه الاية على انه لا يوجد مؤمن يواد الكفار ومعلوم ان خلقا من
الناس يعرف من نفسه ان التصديق في قلبه لم يكذب الرسول وهو مع هذا يواد بعض
الكفار فالسلف يقولون ترك الواجبات الظاهرة دليل على انتفاء الايمان الواجب من
القلب لكن قد يكون ذلك بزوال عمل القلب الذي هو حب الله ورسوله وخشية الله
ونحو ذلك لا يستلزم ان لا يكون في القلب شيء من التصديق وعند هؤلاء كل من
نفى الشرع ايمانه دل على انه ليس في قلبه شيء من التصديق اصلا وهذا سفسطة
عند جماهير العقلاء وكذلك حكى ابن فورك عن ابي الحسن قال الايمان هو اعتقاد
صدق المخبر فيما يخبر به اعتقاد هو علم ومنه ما ليس بعلم والايمان بالله هو اعتقاد
صدقه وانما يصح اذا كان عالما بصدقه في اخباره وانما يكون كذلك اذا كان عالما بانه
متكلم والعلم بانه متكلم بعد العلم بانه حي والعلم بانه حي بعد العلم بانه فاعل والعلم بانه
فاعل بعد العلم بالفعل وهو كون العالم فعلا له قال ولذلك يتضمن العلم بكونه قادرا
وله قدرة وعالما وله علم ومريدا وله ارادة وسائر ما لا يصح العلم بالله الا بعد العلم به من
شرائط الايمان ه قلت ـــــ هذا مما اختلف فيه قول الاشعري وهو ان
الجهل ببعض الصفات هل يكون جهلا بالموصوف ام لا على قولين والصحيح الذي عليه
الجمهور وهو اخر قوليه انه لا يستلزم الجهل بالموصوف وجعل اثبات الصفات
من الايمان مما خالف فيه الاشعري جهما فان جهما غال في نفي الصفات بل وفي نفي الاسماء
قال ابو الحسن ثم السمع ورد بضم شرائط اخر اليه وهو ان لا يقترن به ما يدل

على الكفر من يأتيه فعلا وتركا وهو ان الشرع امر بترك العبادة والسجود للصنم
فلو اتى به دل على كفره وكذلك من قتل نبيا او استخف به دل على كفره وكذلك لو ترك
تعظيم المصحف او اللعب به دل على كفره قال واجمعنا استدلالنا به على كفره ما منع
الشرع ان يقرنه بالايمان او اوجب ضمه الى الايمان لو وجد دلنا ذلك على ان التصديق
الذي هو الايمان مفقود من قلبه ولذلك كلما كفر به المخالف من طريق التاويل فانما
كفرناه به لدلالته على فقد ما هو ايمان في قلبه لاستحالة ان يقضي الشرع بكفر من معه
الايمان والتصديق بقلبه فيقال لا ريب ان الشارع لا يقضي بكفر من
معه الايمان بقلبه لكن دعواكم ان الايمان هو التصديق وان تجرد عن جميع اعمال
القلب غلط ولهذا قالوا اعمال التصديق والمعرفة من قلبه الا ترى ان الشريعة حكمت
بكفر والشريعة لا تحكم بكفر المؤمن المصدق ولهذا نقول ان كفر ابليس لعنه الله كان
اشد من كفر كل كافر وانه لم يعرف الله صفاته قط ولا امن به ايمانا حقيقيا باطنا
وان وجد منه القول والعبادة لذلك اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكفرة
لم يوجد في قلوبهم حقيقة الايمان المصدق به في حال حكمنا لهم بالكفر قال الله تعالى ولو
كانوا يؤمنون بالله وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء وقوله فلا وربك لا يؤمنون والنبي صح
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فجعل الله تعالى هذه الامور شرطا في ثبوت حكم الكامل
الايمان فثبت ان الايمان المعرفة بشرائط لا يكون معتدا بها دونها فيقال ان قلتم انه ضم
الى معرفة القلب شروطا في ثبوت الحكم اي الاسم لم يكن هذا قول جهم بل يكون هذا
قول من جعل الايمان كالصلاة والحج هو وان كان في اللغة بمعنى الدعاء والقصد لكن الشارع
ضم اليه امورا اما في الحكم واما في الحكم والاسم وهذا القول قد سلم صاحبه ان حكم الايمان المذكور
في الكتاب والسنة لا يثبت بمجرد تصديق القلب بل لا بد من تلك الشرائط وعلى هذا فالمكفر
جعل الفاسق مؤمنا لا بد له من دليل يدل عليه على ذلك لا بمجرد قوله ان معه تصديق القلب
ومن جعل الايمان هو تصديق القلب يقول كل كافر في النار ليس معهم من التصديق بالله
شيء لا مع ابليس ولا مع غيره وقد قال تعالى واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين
استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا
كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا
جاوها



جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم
لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين فقد اعترفوا ان الرسل
اتتهم وتلت عليهم ايات ربهم وانذرتهم لقاء يومهم هذا فقد عرفوا الله ورسله واليوم
الاخر وهم في الاخرة كفار وقال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا
بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء فقد اقروا بوجوده ولكنوا بتنزيله واما
في الاخرة فقد عرفوا الجميع وقال تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق
قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وقال تعالى وجاءت سكرة الموت
بالحق ذلك ما كنت منه تحيد الى قوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد الى ايات اخر لهم تدل على ان الكفار في الاخرة يعرفون ربهم فان كان مجرد
المعرفة ايمانا كانوا مؤمنين في الاخرة فان قالوا الايمان في الاخرة لا ينفع وانما الثواب
على الايمان في الدنيا قيل هذا صحيح لكن اذا لم يكن الايمان الا مجرد العلم فهذه الحقيقة لا تختلف
فان لم يكن العمل من الايمان فالعارف في الاخرة لم يفته شيء من الايمان لكن الثواب يدعونه
انه حيث مات لم يكن في قلبه من التصديق بالرب شيء ونصوص القران في غير موضع تدل
على ان الكفار كانوا في الدنيا مصدقين بالرب حتى فرعون الذي اظهر التكذيب كان في الباطن
مصدقا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال موسى لفرعون لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السماوات والارض بصائر ومع هذا لم يكن مؤمنا قال موسى
لي ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال الله تعالى
قد اجيبت دعوتكما ولما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
قال الله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فوصفه بالمعصية لم يصفه بعدم
العلم في الباطن كما قال فعصى فرعون الرسول وكما قال عن ابليس فسجد الملائكة
ر كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين فلم يصفه الا بالاباء والاستكبار
والمعارضة للامر لم يصفه بعدم العلم واخبر الله تعالى عن المشركين في غير موضع انهم
كانوا معترفين بالصانع ثم يقال لهم اذا قلتم هو التصديق بالقلب او باللسان او بهما
فهل هو التصديق المجمل او لا بد فيه من التفصيل فلو صدق ان محمدا رسول الله ولم
يعرف صفات الحق هل يكون مؤمنا فان جعلوه مؤمنا قيل فاذا كان بلغه ذلك فكذب

به لم يكن مؤمنا باتفاق المسلمين فصار بعض الايمان اكمل من بعض وان قالوا لا يكون
مؤمنا لزمهم ان لا يكون احد مؤمنا حتى يعرف تفصيل كل ما اخبر به الرسول ومعلوم ان
اكثر الامة لا يعرفون ذلك وعندهم الايمان لا يتفاضل الا بالدوام فقط قال
ابو المعالي فان قال قايل اصلكم يلزم ان يكون ايمان المنهمك في فسقه كايمان النبي
صلى الله عليه وسلم قلنا النبي يفضل ايمانه ايمان من عداه باستمرار تصديقه وعصمة الله اياه
من مخامرة الشكوك واختلاج الريب والتصديق عرض من الاعراض لا يبقى وهو متوال
للنبي صلى الله عليه وسلم ثابت لغيره في بعض الاوقات وزايل عنه في اوقات الفترات فثبت
للنبي صلى الله عليه وسلم اعداد من التصديق لم تثبت لغيره الا بعضها فيكون ايمانه
لذلك اكثر وافضل قال ولو وصف الايمان بالزيادة والنقصان واريد به ذلك لكان
مستقيما قلت فهذا الذي يفضل به النبي غيره في الايمان ومعلوم
ان هذا في غاية الفساد من وجوه كثيرة كما بسط في موضع اخر فصل
قال الذين نصروا مذهب جهم في الايمان من المتاخرين كالقاضي ابي بكر وهذا لفظه
فان قال قايل وما الاسلام عندكم قيل له الاسلام الانقياد والاستسلام وكل طاعة
انقاد العبد بها لربه واستسلم فيها لامره فهي اسلام والايمان خصلة من خصال الاسلام
فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام ايمانا فان قال فلم قلتم ان معنى الاسلام ما وصفتم
قيل لاجل قوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فنفى عنهم الايمان واثبت
لهم الاسلام وانما اراد بما اثبته الانقياد والاستسلام ومنه قولهم السلم وكل من استسلم لشيء
فقد اسلم وان كان اكثر ما يستعمل ذلك في المستسلم لله ولنبيه قلت وهذا
الذي ذكره مع بطلانه ومخالفته للكتاب والسنة هو مناقض فانهم لما جعلوا الايمان
خصلة من خصال الايمان الاسلام والطاعات كلها اسلام فليس فيها ايمان الا التصديق
والمرجئة وان قالوا الايمان بعض الاسلام فهم يقولون الايمان تصديق القلب واللسان
واما الجهمية فيجعلونه تصديق القلب فلا يكون الشهادتين ولا الصلاة ولا الزكاة ولا
غيرهن من الايمان وقد تقدم ما بينه الله تعالى ورسوله من ان الاسلام داخل في الايمان
فلا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون مسلما كما ان الايمان داخل في الاحسان فلا يكون محسنا
حتى يكون مؤمنا واما التناقض فانهم يقولون اذا قالوا الايمان خصلة من خصال الايمان

الاسلام



الاسلام كان من اتى بالايمان انما اتى بخصلة من خصال الاسلام لا بالاسلام الواجب
جميعه فلا يكون مسلما حتى ياتي بالاسلام كله كما لا يكون عندهم مؤمنا ولا فيه
شيء من الايمان فلذلك يجب ان يقولوا في الاسلام وقد قالوا كل ايمان اسلام وليس كل
اسلام ايمانا وهذا الذي ارادوا به ان كل ايمان هو الاسلام الذي امر الله به ناقض قولهم
ان الايمان خصلة من خصاله فجعلوا الايمان بعضه ولم يجعلوه اياه وان قالوا كل ايمان
فهو اسلام اي هو طاعة لله وهو جزء من الاسلام الواجب وهذا مرادهم قيل لهم فعلى
هذا يكون الاسلام متعددا بتعدد الطاعات ويكون الشهادتان وحدهما اسلاما
والصلاة وحدها اسلاما والزكاة اسلاما بل كل درهم يعطيه للفقير اسلاما وكل
سجدة اسلاما وكل يوم يصومه اسلاما وكل تسبيحة يسبحها في الصلاة او غيرها اسلاما
ثم المسلم ان كان لا يكون مسلما الا بفعل كل ما سميتموه اسلاما لزم ان يكون الفساق ليسوا
مسلمين مع كونهم مؤمنين فجعلتم المؤمن الكامل في الايمان عندكم ليسوا مسلمين وهذا
شر من قول الكرامية ويلزم ان الفساق من اهل القبلة ليسوا مسلمين وهذا شر من قول
الخوارج والمعتزلة وغيرهم بل وان يكون من ترك التطوعات ليس مسلما اذ كانت التطوعات
طاعة لله ان جعلتم كل طاعة فرضا او نفلا اسلاما ثم هذا خلاف ما احتججتم به من قوله للاعراب
لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فاثبت لهم الاسلام دون الايمان وايضا فاخراجكم الفساق
من اسم الاسلام ان اخرجتموهم اعظم شناعة من اخراجهم من اسم الايمان فوقعتم في
اعظم مما عبتموه على المعتزلة فان الكتاب والسنة نفى عنهم اسم الايمان اعظم مما نفى اسم
الاسلام واسم الايمان في الكتاب والسنة اعظم وان قلتم بل كل من فعل طاعة سمي مسلما
لزم ان يكون كل من فعل طاعة من الطاعات ولم يتكلم بلسانه بالشهادتين مسلما ومن
صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه ان يكون مسلما عندكم لان الايمان عندكم اسلام فمن اتى
به فقد اتى باسلام فيكون مسلما عندكم ومن لم يتكلم بالشهادتين ولا اتى بشيء من الاعمال
واحتجاجكم بقوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فلم ينف عنهم
الايمان واثبت لهم الاسلام فيقال هذه الاية حجة عليكم لانه لما اثبت الاسلام مع انتفاء
الايمان دل ذلك على ان الايمان ليس جزءا من الاسلام اذ لو كان بعضه لما كانوا
مسلمين ان لم ياتوا به وان قلتم اردنا بقولنا اثبت لهم الاسلام اي اسلاما ما فان كل طاعة

من الاسلام اسلاما معنه انا لو علم ما نقص من ان يكون صوم يوم اسلاما وصدقه درهم
اسلاما وامثال ذلك وهم يقولون كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا قالوا هذا من
حيث الاطلاق والا فالتفصيل ما ذكرناه من ان الايمان خصله من خصال الاسلام والدين
وليس هو جميع الاسلام والدين فان الاسلام هو الاستسلام لله بفعل كل طاعه
وقعت موافقه للامر والايمان اعظم خصله من خصال الاسلام واسم الاسلام شامل لكل
طاعه انقاد بها العبد لله تعالى من ايمان وتصديق وفرض سواه ونفل غير انه لا يصح
التقرب بفعل ما عدى الايمان من الطاعات دون تقدم فعل الايمان قالوا والدين ماخوذ
من التدين وهو قريب من الاسلام في المعنى فيقال لهم اذا كان هذا
قولهم فقولكم كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا ناقض هذا فان المسلم هو المطيع
لله تعالى ولا تصح الطاعه من احد الا مع الايمان فيمتنع ان يكون احد فعل شيا من الاسلام
الا وهو مومن ولو كان ذلك ادنى الطاعات فيجب ان يكون كل مومن مسلم سوا اريد
بالاسلام فعل جميع الطاعات او فعل واحد منها وذلك كله لا يصح الا مع الايمان وحينئذ
فالايه حجه عليكم لا لكم ثم قولكم كل مومن مسلم اتريدون بالايمان تصديق القلب فقط
فيلزم ان يكون الرجل مسلما وان لم يتكلم بالشهادتين ولا اتى بشي من الاعمال المامور بها
وهذا ما يعلم بطلانه بالضروره من دين الاسلام بل عامه اليهود والنصارى يعلمون ان
الرجل لا يكون مسلما حتى ياتي بالشهادتين او ما يقوم مقامهما وقولكم كل مومن مسلم
لا يريدون انه اتى بالشهادتين ولا بشي من المباني الخمس بل اتى بما هو طاعه وتلك
طاعه باطنه وليس هذا هو المسلم المعروف في الكتاب والسنه ولا عند الائمه
الاولين والاخرين ثم استدلالهم بالايه على والاعراب انما اتوا باسلام ظاهر نطقوا
فيه بالشهادتين سوا كانوا صادقين او كاذبين فاثبت الله لهم الاسلام دون الايمان
فيظن من لا يعرف حقيقه الامر ان هذا هو قول السلف الذي دل عليه الكتاب
والسنه من ان كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا وبينهما من التباين اعظم مما بين قول
السلف وقول المعتزله في الايمان والاسلام فان قول المعتزله في الايمان والاسلام
اقرب من قول الجهميه بكثير ولكن قولهم في تخليد اهل القبله ابعد عن قول السلف
من قول الجهميه فالمتاخرون الذين نصروا قول جهم في مساله الايمان يظهرون قول

السلف



السلف في هذا وفي الاستثنا وفي انتفا الايمان الذي في القلب حيث نفاه القران
ونحو ذلك وذلك كله موافق للسلف في مجرد اللفظ والا فقولهم في غايه المباينه
لقول السلف ليس في الاقوال ابعد عن السلف منه وقول المعتزله والخوارج والكرا ميه
في اسم الايمان والاسلام اقرب الى قول السلف من قول الجهميه لكن المعتزله والخوارج
يقولون بتخليد العصاه وهذا ابعد عن قول السلف من كل قول فهم اقرب في الاسم
وابعد في الحكم والجهميه وان كانوا في قولهم بان الفساق لا يخلدون اقرب في الحكم الى كل ع
السلف فقولهم في مسمى الاسلام والايمان وحقيقتهما ابعد من كل قول عن الكتاب
والسنه وفيه من مخالفه العقل والشرع واللغه ما لا يوجد مثله لغيرهم ٥

فصل ومما يدل من القران على ان الايمان المطلق مستلزم للاعمال
قوله تعالى انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم
لا يستكبرون فنفى الايمان عن غير هولاء فمن كان اذا ذكر بالقران لا يفعل
ما فرضه الله عليه من السجود لم يكن من المومنين وسجود الصلوات الخمس فرض باتفاق ق
المسلمين واما سجود التلاوه ففيه نزاع وقد يحتج بهذه الايه من يوجبه لكن ليس هذا
موضع بسط هذه المساله فهذه الايه مثل قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون
وقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقوله انما المومنون الذين امنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ومن ذلك
قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله
عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم
فهم في ريبهم يترددون وهذه الايه مثل قوله لا تجد قوما يومنون بالله واليوم م
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباهم وقوله ولو كانوا يومنون بالله
والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اوليا ولكن كثيرا منهم فاسقون ٥ بين سبحانه
ان الايمان له لوازم وله اضداد موجوده فيستلزم ثبوت لوازمه وانتفا اضداده
ومن اضداده موادة من حاد الله ورسوله ومن اضداده استيذانه في ترك الجهاد

ثم صرح بأن استيذانه إنما يصدر من الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ودل قوله
والله عليم بالمتقين على أن المتقين هم المؤمنون ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقوله لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه وقوله
لا تؤمنون حتى تحابوا وقوله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس
أجمعين وقوله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه وقوله من غشنا
فليس منا ومن حمل علينا السلاح فليس منا

فصل

وأما إذا قيد الإيمان
فقرن بالإسلام أو بالعمل الصالح فإنه قد يراد به ما في القلب من الإيمان باتفاق الناس
وهل يراد به أيضا المعطوف عليه ويكون من باب عطف الخاص على العام أو لا يكون
حين الاقتران داخلا في مسماه بل يكون لازما له على مذهب أهل السنة أو لا يكون
بعضا ولا لازما هذا فيه ثلاثة أقوال للناس كما سيأتي إن شاء الله تعالى وهذا موجود
في عامة الأسماء يتنوع مسماها بالإطلاق والتقييد مثال ذلك اسم المعروف والمنكر
فإذا أطلق كما في قوله تعالى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقوله كنتم خير
أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يدخل في المعروف
كل خير وفي المنكر كل شر ثم قد يقرن بما هو أخص منه كقوله لا خير في كثير من نجواهم قد صح
إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فغاير بين المعروف وبين الصدقة
والإصلاح بين الناس كما غاير بين اسم الإيمان والعمل واسم الإيمان والإسلام وكذلك
قوله تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر غاير بينهما وقد دخلت الفحشاء في المنكر
في قوله وينهى عن المنكر ثم ذكر مع المنكر اثنين في قوله إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي جعل البغي هنا مغايرا لهما وقد دخل في
المنكر في ذينك الوصفين ومن هذا الباب لفظ العبادة فإن الله إذا أمر بعبادة الله مطلقا
دخل في عبادته كل ما أمر به والتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك
في مثل قوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وفي قوله واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا وقوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم وقوله إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق
فاعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له ديني وقوله قل أفغير الله

تأمروني



تأمروني أعبد أيها الجاهلون ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله إياك نعبد وإياك
نستعين وقوله فاعبده وتوكل عليه وقول نوح اعبدوا الله واتقوه وأطيعون وكذلك
إذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في
طاعته وكذلك اسم التقوى إذا أفرد اسم التقوى دخل فيه فعل كل مأمور به وترك
كل محظور قال طلق بن حبيب التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة
الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله وهذا كما في قوله إن المتقين
في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقد يقرن بها اسم آخر كقوله ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقوله
إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله واتقوا الله الذي تساءلون به قوله صح
والأرحام وقوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقوله اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
وقوله اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وأمثال ذلك فقوله اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا مثل قوله آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
وقوله آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فعطف
قولهم على الإيمان كما عطف القول السديد على التقوى ومعلوم أن التقوى إذا أطلق
دخل فيها القول السديد لذلك الإيمان إذا أطلق دخل فيه السمع والطاعة لله وللرسول
ولذلك قوله آمنوا بالله ورسوله وإذا أطلق الإيمان بالله في حق أمة محمد دخل فيه الإيمان
بالرسول ولذلك قوله كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وإذا أطلق الإيمان بالله دخل
فيه الإيمان بهذه التوابع وكذلك قوله والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك وقوله قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل الآية وإذا إلى صح
قيل في قوله آمنوا بالله ورسوله النبي الأمي دخل في الإيمان برسوله الإيمان بجميع الكتب
والرسل النبيين ولذلك إذا قيل آمنوا بالله ورسوله يؤتكم كفلين من رحمته وإذا قيل آمنوا
بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه دخل في الإيمان بالله ورسوله الإيمان بذلك
كله والإنفاق يدخل في قوله في الآية الأخرى آمنوا بالله ورسوله كما يدخل القول السديد
في مثل قوله ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب ولذلك لفظ البر إذا أطلق تناول جميع

ما امر الله به كما في قوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقوله ولكن البر من
اتقى وقوله ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين واتى المال
على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة
وفي سبيل واقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في الباساء
والضراء وحين الباس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فالبر اذا اطلق كان مسماه
مسمى التقوى واذا اطلقت كان التقوى كان مسماها مسمى البر ثم قد يجمع بينهما كما في قوله
وتعاونوا على البر والتقوى وكذلك لفظ الاثم اذا اطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقرن
بالعدوان في قوله ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وكذلك لفظ الذنوب اذا اطلق
دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما في قوله يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ثم قد يقرن
بغيره كما في قوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وكذلك لفظ الهدى اذا اطلق
تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما امر الله به كما في
قوله اهدنا الصراط المستقيم والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله
هدى للمتقين المراد به انهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين
وكذلك قول اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا انما هداهم بان الهمهم العلم النافع
والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتباء كما في قوله واجتبيناهم وهديناهم الى
صراط مستقيم وكما في قوله شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي
اليه من ينيب وكذلك قوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق والهدى هنا هو
الايمان ودين الحق الاسلام واذا اطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا
ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا او جهلا ولزم ان يكون معذبا
لقوله انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون وقولهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيل ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقوله فمن اتبع هداي فلا يضل
ولا يشقى ثم قد يقرن بالغي او الغضب كما في قوله ما ضل صاحبكم وما غوى وفي قوله غير
المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله ان المجرمين في ضلال وسعر وكذلك لفظ الغي
اذا اطلق تناول كل معصية لله كما في قوله عن الشيطان لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم



منهم المخلصين وقد يقرن بالضلال كما في قوله ما ضل صاحبكم وما غوى وكذلك اسم الفقير
اذا اطلق دخل فيه المسكين واذا اطلق لفظ المسكين تناول الفقير واذا قرن بينهما فاحدهما حد
غير الاخر فالاول كقوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وقوله فكفارته اطعام
عشرة مساكين والثاني كقوله انما الصدقات للفقراء والمساكين وهذه الاسماء التي تختلف
دلالتها بالاطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان اذا افرد احدهما اعم من الاخر
كاسم الايمان والمعروف من العمل ومع الصدقة وكالمنكر مع الفحشاء ومع البغي ونحو ذلك
وتارة يكونان متساويين في العموم والخصوص كلفظ الايمان والبر والتقوى ولفظ الفقير
والمسكين فايها اطلق تناول ما يتناوله الاخر وكذلك لفظ التلاوة فانها اذا اطلقت في
مثل قوله الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته تناولت العمل به كما فسر بذلك الصحابة
والتابعون مثل ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم قالوا يتلونه حق تلاوته يتبعونه
حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه وقيل هو من
التلاوة بمعنى الاتباع كقوله والقمر اذا تلاها وهذا يدخل فيه من لم يقراه وقيل بل من تمام
قراءته ان يفهم معناه ويعمل به كما قال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القران ب
عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم
عشر ايات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القران والعلم والعمل
جميعا وقوله الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته قد فسر بالقران وفسر بالتوراة وروى
محمد بن نصر المروزي باسناده الثابت عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه
وروي ايضا عن ابن عباس يتلونه حق تلاوته قال يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن
مواضعه وعن قتادة يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به قال اولئك اصحاب محمد امنوا بكتاب
الله وصدقوا به احلوا حلاله وحرموا حرامه وعملوا بما فيه ذكر لنا ان ابن مسعود كان يقول ان
حق تلاوته ان يحل حلاله ويحرم حرامه وان يقراه كما انزل الله ولا يحرفه عن مواضعه وعن الحسن
يتلونه حق تلاوته قال يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه
وعن مجاهد يتبعونه حق اتباعه وفي رواية يعملون به حق عمله ثم قد يقرن بالتلاوة غيرها
كقوله اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال احمد
ابن حنبل وغيره تلاوة الكتاب العمل بطاعة الله كلها ثم خص الصلوة بالذكر كما في قوله والذين بن

يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة وقوله فاعبدني واقم الصلوة لذكري وكذلك لفظ
اتباع ما انزل الله يتناول جميع الطاعات لقوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
اوليا وقوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقد تقرن به غيره لقوله وهذا كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون وقوله اتبع ما يوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض
عن المشركين وقوله واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين وكذلك لفظ
الابرار اذا اطلق دخل فيه كل تقي من السابقين والمقتصدين واذا قرن بالمقربين كان
اخص قال تعالى في الاول ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقال في الثاني ان كتاب
الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وهذا باب واسع
يطول استقصاؤه وهو من انفع الامور في معرفة دلالة الالفاظ مطلقا وخصوصا الفاظ
الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس من جملتها مسالة الايمان والاسلام
فان النزاع في مسماهما اول اختلاف وقع افترقت الامة لاجله وصاروا مختلفين في الكتاب
وكفر بعضهم بعضا وقاتل بعضهم بعضا كما قد بسطنا هذا في غير موضع اذ المقصود
هنا ان شرح كلام الله ورسوله على وجه يبين ان الهدى كله ماخوذ من كلام الله ورسوله
باقامة الدلايل الدالة على ذلك لا بذكر الاقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل او يكون المقصود
بها نصر غير الله والرسول فان الواجب ان يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالادلة
الدالة على ما بينه الله ورسوله ومن هذا الباب اقوال السلف وائمة السنة في تفسير الايمان
فتارة يقولون هو قول وعمل وتارة يقولون هو قول وعمل ونية وتارة يقولون هو قول
وعمل ونية واتباع السنة وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وكل
هذا صحيح فاذا قالوا قول وعمل فانه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا وهذا
هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك اذا اطلق والناس لهم في مسمى الكلام
والقول عند الاطلاق اربعة اقوال فالذي عليه السلف والفقها والجمهور انه يتناول اللفظ
والمعنى جميعا كما يتناول لفظ الانسان للروح والبدن جميعا وقيل بل مسماه هو اللفظ والمعنى
ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه وهذا قول كثير من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة
من المتكلمين المنتسبين الى السنة وهو قول النحاة لان صناعتهم متعلقة بالالفاظ وقيل

بل



بل مسماه هو المعنى واطلاق الكلام على اللفظ مجاز لانه دال عليه وهذا قول
ابن كلاب ومن اتبعه وقيل بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى وهو قول بعض المتاخرين من
الكلابية ولهم قول ثالث يروى عن ابي الحسن انه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الاد ميين
لان حروف الادميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم بخلاف الكلام العربي
فانه لا يقوم عنده بالله فيمتنع ان يكون كلامه ولبسط هذا موضع اخر والمقصود هنا ان
من قال من السلف الايمان قول وعمل اراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ومن
زاد الاعتقاد راى ان لفظ القول لا يفهم منه الا القول الظاهر او خاف ذلك فزاد
الاعتقاد بالقلب ومن قال قول وعمل ونية قال القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان
واما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك ومن زاد اتباع السنة فلان ذلك كله لا يكون محبوبا
لله الا باتباع السنة واولئك لم يريدوا كل قول وعمل انما ارادوا ما كان مشروعا من الاقوال
والاعمال ولكن كان مقصودهم الرد على المرجية الذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول
وعمل والذين جعلوه قولا فقط فقالوا بل هو قول وعمل والذين جعلوه اربعة فسروا مرادهم
كما سيل سهل بن عبد الله التستري عن الايمان ما هو فقال قول وعمل ونية وسنة لان
الايمان اذا كان قولا بلا عمل فهو كفر واذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق واذا كان قولا
وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة ۞ فصــــل ۞ وعطف الشي على الشي في القران
وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف وا
المعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما والمغايرة على مراتب اعلاها ان يكونا متباينين
ليس احدهما هو الاخر ولا جزءه ولا يعرف لزومه له كقوله خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ونحو ذلك وقوله وجبريل وميكال وقوله وانزل التوراة والانجيل
والقران وهذا هو الغالب ويليه ان يكون بينهما لزوم كقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وانتم تعلمون وقوله ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل
المومنين وقوله ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله فان من كفر بالله فقد كفر بهذا
كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه وفي الاية التي قبلها المعطوف عليه لازم فانه من
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المومنين وفي الثاني نزاع
وقوله ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق هما متلازمان فان من لبس الحق بالباطل فجعله

ملبوسًا يخفى من الحق نقص وما ظهر من الباطل فصار ملبوسًا ومن كتم الحق احتاج ان
يقيم موضعه باطلا فيلبس الحق بالباطل ولهذا كان كل من لم يترك شيا من اهل الكتاب
ما انزل الله فلا بد ان يظهر باطلا وهذا اهل البدع لا تجد احدا ترك بعض السنه التي
يجب التصديق بها والعمل الا وقع في بدعه ولا تجد صاحب بدعه الا ترك شيا من
السنه كما جا في الحديث ما ابتدع قوم بدعه الا نزلوا من السنه مثلها رواه الامام احمد
وقد قال تعالى فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوه والبغضا فلما تركوا حظا
مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوه والبغضا وقال تعالى ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين اي عن الذكر الذي انزله الرحمن وقال تعالى
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشه ضنكا
ونحشره يوم القيمه اعمى وقال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
اوليا قليلا ما تذكرون فامر باتباع ما انزل ونهى عما يضاد ذلك وهو اتباع اوليا من
دونه فمن لم يتبع احدهما اتبع الاخر ولهذا قال ويتبع غير سبيل المومنين قالت العلما من
لم يكن متبعا سبيلهم كان متبعا غير سبيلهم فاستدلوا بذلك على ان اتباع سبيلهم واجب
فليس لاحد ان يخرج عما اجمعوا عليه وكذلك من لم يفعل المامور فعل بعض المحظور ومن
فعل المحظور لم يفعل جميع المامور فلا يمكن الانسان ان يفعل جميع ما امر مع فعله لبعض
ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما امر فان ترك ما حظر من جمله ما امر به
فهو مامور ومن المحظور ترك المامور وكلما اشتغله عن الواجب فهو محرم وكلما لا يمكن
فعل الواجب الا به فهو واجب فعليه فعله ولهذا كان لفظ الامر [illegible] المطلق يتناول النهي
عن واذا قيد بالنهي كان النهي نظير ما تقدم كما اذا قال تعالى عن الملايكه لا يعصون الله
ما امرهم دخل في ذلك انه اذا نهاهم عن شي اجتنبوه واما قوله تعالى ويفعلون ما
يومرون فقد قيل لا يتعدون ما امروا به وقيل يفعلونه في وقته لا يقدمونه ولا يوخرونه
وقد قيل هو لم يقل لا يفعلون الا ما يومرون بل هذا دل عليه قوله تعالى لا يسبقونه

يقال صح

بالقول وهم بامره يعملون وقد قيل لا يعصون ما امرهم في الماضي ويفعلون ما
يومرون في المستقبل وقد يقال هذه الايه خبر عما يكون ليس ما امروا به هنا ماضيا
بل الجميع مستقبل فانه قال قوا انفسكم واهليكم نارا وما بعد الكلام انما يكون مستقبلا وقد
يقال

بلغ



يقال ترك المامور تاره يكون لمعصيه المامور وتاره يكون لعجز فاذا كان قادرا مريدا
لزم وجود المقدور فقوله لا يعصون لا يمتنعون عن الطاعه وقوله يفعلون ما يومرون
اي هم قادرون على ذلك لا يعجزون عن شي منه بل يفعلونه كله فيلزم وجود كلما امروا به
وقد يكون في ضمن ذلك انهم لا يفعلون الا المامور به كما يقول القايل انا افعل ما
به اي فعله ولا اتعداه وايضا فقوله لا يعصون الله ما امرهم ان كان نهاهم عن فعل اخر كان
ذلك من امره وان كان ذلك من امره وان كان لم ينههم لم يكونوا منهيين عن فعل ما لم
ينهوا عنه والمقصود ان لفظ الامر اذا اطلق تناول النهي ومنه قوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر اي اصحاب الامر ومن كان صاحب النهي وجبت طاعته في هذا وهذا
فالنهي في الامر وقال موسى للخضر ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني
فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا وهذا نهي له عن السوال حتى يحدث له منه ذكرا
ولما خرق السفينه قال له موسى اخرقتها لتغرق اهلها لقد جيت شيا امرا فساله قبل احداث
الذكر وقال في الغلام اقتلت نفسا زكيه بغير نفس لقد جيت شيا نكرا فساله قبل احداث
الذكر وقال عن الجدار لو شيت لتخذت عليه اجرا وهذا سوال من جهه المعنى فان السوال
والطلب قد يكون بصيغه الشرط كما يقول لو نزلت عندنا لاكرمناك وان بت الليله عندنا
احسنت الينا ومنه قول ادم ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
وقول نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين
ومثله كثير ولهذا قال موسى ان سالتك عن شي بعدها فلا تصاحبني فدل على انه ساله الثالث
قبل ان يحدث الذكر وهذا معصيه لنهيه وقد دخل في قوله ولا اعصي لك امرا فدل على ان
عاصي النهي عاصي الامر ومنه قوله تعالى الا له الخلق والامر وقد دخل النهي في الامر ومنه
قوله فليحذر الذين يخالفون عن امره وقوله وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله
امرا ان يكون لهم الخيره من امرهم فان نهيه داخل في ذلك وقد تنازع الفقها في قوله
لامراته اذا عصيت امري فانت طالق اذا نهاها فعصته هل يكون ذلك داخلا في قوله
على قولين قيل لا يدخل لان حقيقه النهي غير حقيقه الامر وقيل يدخل لان ذلك يفهم
منه في العرف هو حقيقه في الشرع واللغه فان الامر المطلق في كل متكلم اذا قيل
اطع امر فلان او فلان يطيع امر فلان او لا يعصي امري فانه يدخل فيه النهي لان الناهي امر بترك

المنهي عنه فلهذا قال سبحانه ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون ولم يقل
لا تلبسوا الحق ولم ينه عن كل منها للتلازم ولست هذه واو الجمع التي تسميها الكوفيون
واو الصرف كما ظنه بعضهم فانه كان يكون المعنى لا تجمعوا بينهما فيكون احدهما وحده
غير منهي عنه وايضا فتلك انما تجي اذا ظهر الفرق لقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين وقوله او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم
من محيص ومن عطف الملزوم قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
فانهم اذا اطاعوا الرسول فقد اطاعوا الله كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله واذا
اطاع من بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لابد ان يطيع الرسول فانه لا طاعة لله الا
بطاعته والثالث عطف بعض الشي عليه لقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقوله
وقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله واورثكم ارضهم وديارهم
النبي صح واموالهم وارضا لم تطوها والرابع عطف الشي على الشي لاختلاف الصفتين كقوله
سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي اخرج المرعى وقوله الذين يومنون بالغيب
ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالاخرة هم يوقنون وقد جا في الشعر ما ذكر انه عطف لاختلاف اللفظ فقط كقوله والفا
قولها كذبا ومينا ومن الناس من يدعي ان مثل هذا جا في كتاب الله تعالى كما يذكرونه في
قوله شرعة ومنهاجا وهذا غلط مثل هذا لا يجي في القران ولا في كلام فصيح وغاية قوله
الا حبذا هند وارض بها هند والناي والبعد فزعموا انهما بمعنى واحد واستشهدوا
بذلك على ما ادعوه من ان الشرعة هي المنهاج فقال لهم المخالفون الناي اعم من البعد
فان الناي كلما قل بعده او كثر كانه مثل المفارقة والبعد انما يستعمل فيما كثرت مسافة
مفارقته وقد قال تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وهم منه مومنون على مجانبته
والتنحي عنه سوا كانوا قريبين او بعيدين وليس كلهم كان بعيدا عنه لا سيما عند من يقول
نزلت في ابي طالب وقد قال النابغة والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد والمراد به
ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الما ولا يدخل الخيمة اي صار كالحوض فهو مجانب للخيمة ليس
بعيدا منها فصل فاذا تبين هذا فلفظ الايمان اذا اطلق في القران
والسنة

وعاب بما يدعي بعض الناس
اعتبار نفس الاختلاف في اللفظين
صح



والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم فان النبي
ها صلى الله عليه وسلم بين ان الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق فكان كلما يحبه الله يدخل في اسم الايمان وكذلك لفظ البر
يدخل فيه جميع ذلك اذا اطلق وكذلك لفظ التقوى وكذلك الدين ودين الاسلام وكذلك
روي انهم سالوا عن الايمان فانزل الله هذه الاية ليس البر ان تولوا وجوهكم الايات وقد فسر
البر بالايمان وفسر بالتقوى وفسر بالعمل الذي يقرب الى الله تعالى والجميع حق وقد روي
مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر البر بالايمان قال محمد بن نصر ثنا اسحق بن ابرهيم
ثنا عبد الله بن يزيد المقري والملائي قالا حدثنا المسعودي عن القسم قال جا رجل الى
ابي ذر فساله عن الايمان فقرا ليس البر ان تولوا وجوهكم الى اخر الاية فقال الرجل ليس
عن البر سالتك فقال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الذي سالتني عنه
فقرا عليه الذي قرات عليك فقال له الذي قلت لي فلما ابا ان يرضى قال له ان المومن الذي
اذا عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها واذا عمل السيئة ساته وخاف عقابها وقال حدثنا
اسحق ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد ان ابا ذر سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقرا عليه ليس البر ان تولوا وجوهكم الى اخر الاية وروي باسناده
عن عكرمة قال سيل الحسن بن علي بن ابي طالب مقبله من الشام عن الايمان فقرا ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب وروى ابن بطة باسناده عن مبارك بن حسان
قال قلت لسالم الافطس رجل اطاع الله فلم يعصه ورجل عصى الله فلم يطعه فصار المطيع
الى الله فادخله الجنة وصار العاصي الى الله فادخله النار هل يتفاضلان في الايمان قال لا
قال فذكرت ذلك لعطا فقال سلهم الايمان طيب او خبيث فان الله قال ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اوليك هم
الخاسرون فسالتهم فلم يجيبوني فقال بعضهم ان الايمان يبطن ليس معه عمل فذكرت
ذلك لعطا فقال سبحان الله اما يقرون الاية التي في البقرة ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين
قال ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه من العمل فقال واتى المال على حبه ذوي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل الى قوله واوليك هم المتقون فقال سلهم هل دخل هذا

العمل في هذا الاسم وقال ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مومن فالزم الاسم
العمل والعمل الاسم ومقصود عطا انه لم يثبت المدح الاعلى ايمان معه العمل لا على ايمان
خال عن عمل فاذا عرف ان الذم والعقاب واقع في ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا
فايدة فيه بل يكون نزاعا لفظيا مع انهم مخطيون في اللفظ مخالفون للكتاب والسنة
وان قالوا انه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكي هذا عنهم وانهم يقولون
ان الله فرض على العباد فرايض ولم يرد منهم ان يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون
قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من اهل التوحيد احد لكن ما علمت معينا احكي
عنه هذا القول وانما الناس يحكونه في الكتب ولا يعينون قايله وقد يكون من لا خلاق
له من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب او مع التوحيد وبعض كلام
الرادين على المرجية وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله في اخر الاية اوليك الذين صدقوا
واوليك هم المتقون فقوله صدقوا اي في قولهم امنا لقوله قالت الاعراب امنا قل لم
تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم الى قوله انما المومنون الذين امنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصادقون
اي هم الصادقون في قولهم امنا بالله بخلاف الكاذبين الذين قال الله فيهم اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
وقال تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين يخادعون الله
والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا
ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ويكذبون قراتان مشهورتان فانهم كذبوا في قولهم
امنا بالله وباليوم الاخر وكذبوا الرسول في الباطن وان صدقوه في الظاهر وقال تعالى
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا بالله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من
قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فبين انه لا بد ان يفتن الناس اي يمتحنهم
ويبتليهم ويختبرهم يقال فتنت الذهب اذا ادخلته الكير النار ليميز ما اختلط به ومنه
قول موسى عليه السلم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشا وتهدي من تشا اي محنتك وابتلاوك
كما ابتليت عبادك بالحسنات والسيات ليتبين الصبار الشكور من غيره وابتليتهم
بارسال الرسل وانزال الكتب ليتبين المومن من الكافر فيحصل ذلك سببا لضلال قوم
وهدى



وهدى اخرين والقران فيه لبين من هذا يصف المومنين بالصدق والمنافقين بالكذب
لان الطايفتين قالت بالسنتهم امنا فمن حقق قوله بعمله فهو مومن صادق
ومن قال بلسانه ما ليس في قلبه فهو كاذب قال تعالى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن
الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يوميذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم والله اعلم بما يكتمون فلما قال في اية البر اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون
دل على ان المراد صدقوا في قولهم امنا فان هذا هو القول الذي امروا به وكانوا يقولونه
ولم يومروا ان يلفظوا بالسنتهم يقولون نحن ابرار او بررة بل اذا قال الرجل انا بر فهذا مزكي
لنفسه ولهذا زينب بنت جحش اسمها برة فقيل تزكي نفسها فسماها النبي صلى الله عليه وسلم
زينب بخلاف انشا الايمان بقولهم امنا فان هذا قد فرض عليهم ان يقولوه قال تعالى قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما
اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم وكذلك في آل عمران قل امنا بالله وما
انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الاية وقال تعالى
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين احد من رسله فقوله لا نفرق دليل على انهم قالوا امنا ولا نفرق ولهذا قال وقالوا سمعنا
واطعنا فجمعوا بين قولهم امنا وبين قولهم سمعنا واطعنا وقد قال في اية البر واوليك هم
المتقون فجعل الابرار هم المتقين عند الاطلاق والتجريد وقد ميز بينهما عند الاقتران
والتقييد في قوله وتعاونوا على البر والتقوى ودلت هذه الاية على ان مسمى الايمان ومسمى
البر ومسمى التقوى عند الاطلاق واحد فالمومنون هم المتقون وهم الابرار ولهذا
جا في احاديث الشفاعة الصحيحة يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي
بعضها من في قلبه مثقال ذرة من خير وهذا مطابق لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وذلك الذي هو مثقال ذرة من خير هو مثقال ذرة من ايمان
وهولاء هم المومنون الابرار الاتقيا هم اهل السعادة المطلقة وهم اهل الجنة الذين وعدوا وا
بدخولها بلا عذاب وهولاء الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ومن حمل
علينا السلاح فليس منا فانه ليس من هولاء بل من اهل الذنوب المعرضين للوعيد اسوة

اسالمره فصل وهذا النوع من نمط اسما الله واسما كتبه كتابه واسما
رسوله واسما دينه قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما
الحسنى وقال تعالى ولله الاسما الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمايه
وقال تعالى هو الله الذي لا اله الا الله هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو
الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسما الحسنى يسبح له
ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فاسماوه كلها متفقة في الدلالة على نفسه
المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الاخر
فالعزيز يدل على نفسه مع عزته والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على نفسه
مع رحمته ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة
به بطريق المطابقة وعلى احدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الاخرى بطريق اللزوم
وهكذا اسما كتابه القران والفرقان والكتاب والهدى والبيان والشفا والنور ونحو
ذلك هي بهذه المنزلة وكذلك اسما رسوله محمد واحمد والماحي والحاشر والمقفي ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملحمة كل اسم يدل على صفة من صفاته المدح غير الصفة الاخرى وهكذا
ما ثني ذكره من القصص في القران كقصة موسى وغيرها ليس المقصود بها ان تكون
سمرا بل المقصود بها ان تكون عبرا كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب
فالذي وقع شي واحد له صفات فيعبر عنه بعبارات متنوعة كل عبارة تدل على صفة من
الصفات التي يعتبر بها المعتبرون وليس هذا من التكرير في شي وهكذا اسما دينه
الذي امر الله به ورسوله يسمى ايمانا وبرا وتقوى وخيرا ودينا وعملا صالحا وصراطا
مستقيما ونحو ذلك وهو في نفسه واحد لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة
التي يدل عليها الاخر ويكون تلك الصفة هي الاصل في اللفظ والباقي تبع لها كان لازما
لها ثم صارت داخلة عليه بالتضمن فان الايمان اصله الايمان الذي في القلب ولا بد من فيه مع
شيين تصديق القلب واقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب قال الجنيد ابن محمد
التوحيد قول القلب والتوكل على الله عمل القلب فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول
البدن وعمله ولا بد فيه من عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه
الله



الله ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله واخلاص العمل لله وحده وتوكل القلب
على الله وحده وغير ذلك من اعمال القلوب التي اوجبها الله ورسوله وجعلها من الايمان
ثم القلب هو الاصل فاذا كان فيه معرفة وارادة سرى ذلك الى البدن بالضرورة
لا يمكن ان يتخلف البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد
لها سائر الجسد الا وهي القلب وقال ابو هريرة القلب ملك والاعضا جنوده فاذا طاب
الملك طابت جنوده واذا خبث الملك خبثت جنوده وقول ابي هريرة تقريب وقول
ن النبي صلى الله عليه وسلم احسن بيانا فان الملك وان كان صالحا فالجند لهم اختيار قد يعصون
ملكهم بالعكس فيكون فيهم صلاح مع فساده او فساد مع صلاحه بخلاف القلب
فان الجسد تابع له لا يخرج عن ارادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلحت
صلح لها سائر الجسد واذا فسدت فسد لها سائر الجسد فاذا كان القلب صالحا بما
ن فيه من الايمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالايمان
المطلق كما قال ائمة اهل الحديث قول وعمل قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر
والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر واذا فسد فسد ولهذا
قال من قال من الصحابة عن المصلي العابث لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
فلا بد في ايمان القلب من حب الله ورسوله وان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما
قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد
حبا لله فوصف الذين امنوا بانهم اشد حبا لله من المشركين وفي الاية قولان قيل
المومنين يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا منهم لاوثانهم وقيل يحبونهم كما يحبون الله
والذين امنوا اشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب والاول قول متناقض وهو باطل
راده فان المشركين لا يحبون الانداد مثل محبة المومنين لله والمحبة تستلزم الارادة فالارادة
التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع ان يكون الانسان محبا لله ورسوله مريدا لما
يحبه الله ورسوله ارادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فاذا لم يتكلم بالايمان
مع قدرته دل على انه ليس في قلبه من الايمان الواجب الذي فرضه الله عليه ومن هنا
يظهر خطا قول جهم ابن صفوان ومن تبعه حيث ظنوا ان الايمان مجرد تصديق

القلب وعمله لم يجعلوا اعمال القلوب من الايمان وظنوا انه قد يكون الانسان مومنا
كامل الايمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي اولياء الله ويوالي اعداء
الله ويقتل الانبيا ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين
المومنين غاية الاهانة قالوا وهذه كلها معاصي لا تنافي الايمان الذي في قلبه بل يفعل
هذا وهو عند الله مومن قالوا وانما ثبت له في الدنيا احكام الكفار لان هذه الاقوال — في الباطن صح
امارة على الكفر فيحكم بالظاهر كما يحكم بالاقرار والشهود وان كان الباطن قد يكون
بخلاف الظاهر ما اقر به وبخلاف ما شهد به الشهود فاذا اورد عليهم الكتاب والسنة
والاجماع على ان الواحد من هولاء كافر في نفس الامر معذب في الاخرة قالوا فهذا دليل
على انتفاء التصديق والعلم من قلبه فالكفر عندهم شي واحد وهو الجهل والايمان شي
واحد وهو العلم او تكذيب القلب وتصديقه فانهم متنازعون هل تصديق القلب شي غير
العلم او هو هو وهذا القول مع انه افسد قول قيل في الايمان فقد ذهب اليه من اهل
الكلام المرجية وقد كفر السلف كوكيع ابن الجراح واحمد بن حنبل وابي عبيد وغيرهم
من يقول بهذا القول وقالوا فابليس كافر بنص القران وانما كفره باستكباره وامتناعه
عن السجود لادم لا لكونه كذب خبرا وكذلك فرعون وقومه قال الله فيهم وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقال موسى عليه السلم لفرعون لقد علمت ما انزل
هولاء الا رب السموات والارض بصاير بعد قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
فاسال بني اسرائيل اذ جاهم فقال له اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل — فرعون صح
هولاء الا رب السموات والارض بصاير واني لاظنك يا فرعون مثبورا فموسى وهو
الصادق المصدوق يقول لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض بصاير
فدل على ان فرعون كان عالما بان الله انزل هذه الايات وهو من اكبر خلق الله عنادا
وفسادا وبغيا لفساد ارادته وقصده لا لعدم علمه قال تعالى ان فرعون علا في
الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم يذبح ابناهم ويستحيي نساهم
انه كان من المفسدين وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم
وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله تعالى فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن

الظالمين



الظالمين بايات الله يجحدون فهولاء غلطوا في اصلين احدهما ظنهم ان الايمان مجرد تصديق
وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وارادة ومحبة وخشية في القلب وهذا من اعظم
غلط المرجية مطلقا فان اعمال القلوب التي يسميها بعض الصوفية احوالا ومقامات
او منازل السايرين الى الله تعالى او مقامات العارفين وغير ذلك كلما فيها
مما فرضه الله ورسوله فهو من الايمان الواجب وفيها ما احبه ولم يفرضه فهو من الايمان
المستحب فالاول لا بد لكل مومن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار المقتصدين اصحاب اليمين
والثاني للمقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل ان يكون الله ورسوله احب
اليه مما سواهما بل ان يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله احب اليه من اهله وماله ومثل
خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجا الله وحده لا شريك له دون المخلوقين
والانابة اليه مع خشيته كما قال هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب
وجا بقلب منيب ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله والثاني ظنهم
من حكم الشارع بكفره بانه كافر مخلد في النار فانما ذاك لانه لم يكن في قلبه شي من العلم
والتصديق وهذا امر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما اجمع عليه طوايف بني
ادم السليمي الفطرة وجماهير النظار فان الانسان قد يعرف ان الحق مع غيره ومع هذا
يجحد ذلك لحسده اياه او لطلب علوه عليه او لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على
ان يعتدي عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم ان الحق معه وعامة من
كذب الرسل علموا ان الحق معهم وانهم صادقون لكن اما لحسدهم واما لارادتهم العلو
والرياسة واما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الاغراض كاموال ورياسة
وصداقة اقوام وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الاهوا المحبوبة اليهم او
حصول امور مكروهة اليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من اكفر الناس كابليس
وفرعون مع علمهم بانهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة
يقدح في صدق الرسل انما يعتمدون على مخالفة اهوايهم كقولهم لنوح انومن لك واتبعك
الارذلون ومعلوم ان اتباع الارذلين له لا يقدح في صدقه لكن كرهوا مشاركة اولئك
كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم ابعاد الضعفا كسعد بن ابي وقاص وابن
مسعود وخباب ابن الارت وعمار ابن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك بمكة قبل ان يكون في

في الصحابة اهل صفة فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم
فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا
اليس الله باعلم بالشاكرين ومثل قول فرعون انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون
وقول فرعون الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي
فعلت وانت من الكافرين ومثل قول مشركي العرب ان نتبع الهدى معك نتخطف من
ارضنا قال الله تعالى اولم نمكن لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ومثل
قول شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء قوم صح
ومثل قول عامة المشركين انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وهذه الامور
وامثالها ليست حججا تقدح في صدق الرسول بل تبين انها تخالف ارادتهم واهواءهم وعاداتهم
فلذلك لم يتبعوه وهولاء كلهم كفار بل ابو طالب وغيره كانوا يحبون النبي صلى الله عليه
وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانوا يعلمون صدقه ولكن في متابعته
فراق دين ابائهم وذم قريش لهم فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا
الذم فلم يتركوا الايمان لعدم العلم بالهدى بل لهوى الانفس فكيف يقال كل كافر ان صح
انما كفر لعدم علمه بالله ولم يكف الجهمية ان جعلوا كل كافر جاهلا بالحق حتى قالوا هو
لا يعرف ان الله موجود حق والكفر عندهم ليس هو الجهل باي حق كان بل الجهل بهذا
الحق المعين ونحن والناس كلهم يرون خلقا من الكفار يعرفون في الباطن ان دين
الاسلام حق ويذكرون ما يمنعهم من الايمان اما معاداة اهلهم واما ما يحصل لهم من
جهتهم يقطعونه واما خوفهم اذا امنوا ان لا يكون لهم حرمة عند المسلمين وامثال
ذلك من اغراضهم التي يرون انها هي المانعة لهم من الايمان مع علمهم بان الدين دين الاسلام
حق ودينهم باطل وهذا موجود في جميع الامور التي هي حق يوجد من يعرف بقلبه انها
حق وهو في الظاهر يجحد ذلك ويعادي اهله لظنه ان ذلك يجلب له منفعة ويدفع عنه
مضرة قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن
يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما
اسروا



اسروا في انفسهم نادمين ويقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين والمفسرون متفقون على انها نزلت
بسبب قوم ممن كان يظهر الاسلام وفي قلبه مرض خاف ان يغلب اهل الاسلام
فيوالي الكفار من اليهود وغيرهم للخوف الذي في قلوبهم لا لاعتقادهم ان محمدا
كاذب واليهود والنصارى صادقون واشهر المنقول في ذلك ان عبادة بن الصامت
قال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود واني ابرا الى الله من ولاية يهود فقال عبد الله بن
ابي لكني رجل اخاف الدوائر ولا ابرا من ولاية يهود فنزلت هذه الاية والمرجئة الذين
قالوا الايمان تصديق القلب وقول اللسان والاعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء
الكوفة وعبادها ولم يكن قولهم مثل قول جهم فعرفوا ان الانسان لا يكون مؤمنا ان
لم يتكلم بالايمان مع قدرته عليه وعرفوا ان فرعون وابليس وغيرهما كفار مع تصديق
قلوبهم لكنهم اذا لم يدخلوا اعمال القلوب في الايمان لزمهم قول جهم وان ادخلوها في
الايمان لزم دخول اعمال الجوارح ايضا فانها لازمة لها ولكن هولاء لهم حجج شرعية بسببها
اشتبه الامر عليهم فانهم راوا ان الله تعالى قد فرق في كتابه بين الايمان والعمل فقال في
د غير موضع ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وراوا ان الله خاطب الانسان بالايمان قبل وجود
الاعمال فقال يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق
يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وقالوا لو ان رجلا امن بالله ورسوله ضحى
ومات قبل ان يجب عليه شيء من الاعمال مات مؤمنا وكان من اهل الجنة فدل على ان الاعمال ليست
من الايمان وقالوا نحن نسلم ان الايمان يزيد بمعنى انه كان كلما انزل الله اية وجب التصديق
بها فانضم هذا التصديق الى التصديق الذي كان قبله لكن بعد كمال ما انزله الله
ما بقي الايمان يتفاضل عندهم بل ايمان الناس كلهم سواء ايمان السابقين الاولين كابي بكر
وعمر وايمان افجر الناس كالحجاج وابي مسلم الخراساني وغيرهما والمرجئة المتكلمون منهم
والفقهاء منهم يقولون ان الاعمال قد تسمى ايمانا مجازا لان العمل ثمرة الايمان ومقتضاه ولانها
ب دليل عليه ويقولون قوله الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة افضلها قول
لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق مجاز والمرجئة ثلاثة اصناف الذين يقولون
الايمان مجرد ما في القلب ثم من هولاء من يدخل فيه اعمال القلوب وهم اكثر فرق المرجئة

كما ذكر ابو الحسن الاشعري اقوالهم في كتابه وذكر فرقا لهم يطول ذكرهم
لكن ذكرنا جمل اقوالهم ومنهم من لا يدخلها كالجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي
نصره هو واكثر اصحابه والقول الثاني من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف
لاحد قبل الكرامية والثالث تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن اهل
الفقه والعباده ومنهم وهولاء غلطوا من وجوه احدها ظنهم ان الايمان الذي فرضه
الله على العباد متماثل في حق العباد وان الايمان الذي يجب على شخص يجب مثله على كل شخص
وليس الامر كذلك فان اتباع الانبيا المتقدمين اوجب الله عليهم من الايمان ما لم يوجبه
على امة محمد من الايمان ما لم يوجبه عليهم والايمان الذي كان يجب قبل نزول جميع القران
ليس هو مثل الايمان الذي يجب بعد نزول القران والايمان الذي يجب على من عرف ما
اخبر به الرسول مفصلا ليس مثل الايمان الذي يجب على من عرف ما اخبر به مجملا فانه
لا بد في الايمان من تصديق الرسول في كل ما اخبر لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك
لم يجب عليه من الايمان غير ذلك واما من بلغه القران والاحاديث وما فيهما من الاخبار
والاوامر المفصله يجب عليه من التصديق لخبر خبر وامر امر ما لا يجب على من لم يجب
عليه الا الايمان المجمل لموته قبل ان يبلغه شي اخر وايضا لو قدر انه عاش فلا يجب على كل
واحد من العامه ان يعرف كل ما امر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما اخبر به بل انما عليه
ان يعرف ما امر به المفصل ما يجب عليه هو وما يحرم عليه فمن لا مال له لا يجب عليه ان يعرف
امره المفصل في الزكاه ومن لا استطاعه له على الحج ليس عليه ان يعرف امره المفصل با
المناسك ومن لم يتزوج ليس عليه ان يعرف ما وجب للزوجه فصار يجب من الايمان
تصديقا وعملا على اشخاص ما لا يجب على اخرين وبهذا يظهر الجواب عن قولهم خوطبوا
بالايمان قبل الاعمال فنقول ان قلتم انهم خوطبوا به قبل ان يجب تلك الاعمال فقبل وجوبها
لم يكن من الايمان وكانوا مومنين الايمان الواجب عليهم قبل ان يفرض عليهم ما خوطبوا
بفرضه فلما نزل ان لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مومنين ولهذا قال تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ولهذا لم يجي ذكر
الحج في اكثر الاحاديث التي فيها الاسلام والايمان كحديث وفد عبد القيس وحديث
الرجل النجدي الذي يقال له ضمام بن ثعلبه وغيرهما وانما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر

وجبريل

المفصل صح



وجبريل وذلك لان الحج اخر ما فرض من الخمس فكان قبل فرضه لا يدخل في الايمان
والاسلام فلما فرض ادخله النبي صلى الله عليه وسلم في الايمان اذا افرد وادخله
في الاسلام اذا اقترن بالايمان او اذا افرد وسنذكر ان شا الله متى فرض ولذلك
قولهم من امن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مومنا صحيح لانه اتى بالايمان
الواجب عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد فهذا مما يجب ان يعرف فانه تزول
به شبهه حصلت للطايفتين فاذا قيل الاعمال الواجبه من الايمان فالايمان الواجب
متنوع ليس شيا واحدا في حق جميع الناس واهل السنه والحديث يقولون
جميع الاعمال الحسنه واجبها ومستحبها من الايمان اي من الايمان الكامل با
المستحبات ليست من واجبات الايمان الواجب ففرق بين الايمان الواجب وا
الكامل بالمستحبات كما يقول الفقها الغسل ينقسم الى مجزي وكامل فالمجزي
ما اتى فيه بالواجبات فقط والكامل ما اتى فيه بالمستحبات ولفظ الكمال قد
يراد به الكمال الواجب وقد يراد به الكمال المستحب واما قولهم ان الله فرق
بين الايمان والعمل في مواضع فهذا صحيح وقد بينا ان الايمان اذا اطلق
ادخل الله ورسوله فيه الاعمال الماموربها وقد يقرن به الاعمال وذكرنا نظاير ذلك
كثيره وذلك لان اصل الايمان هو ما في القلب والاعمال الظاهره لازمه لذلك لا يتصور
وجود ايمان القلب الواجب مع عدم جميع اعمال الجوارح بل متى نقصت الاعمال الواجبه
الظاهره كان لنقص الايمان الذي في القلب فصار الايمان متناولا للملزوم واللازم
وان كان اصله ما في القلب وحيث عطفت عليه الاعمال فانه اريد انه لا يكتفى بايمان
القلب بل لا بد معه من الاعمال الصالحه ثم للناس في مثل هولاء هنا قولان منهم من
يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه اولا ثم ذكر باسمه الخاص تخصيصا له ليلا
يظن انه لم يدخل في الاول وقالوا هذا في كل ما عطف عليه فيه خاص على عام كقوله
من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات
وامنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم فخص الايمان بما نزل على محمد بعد قوله الذين
امنوا وهذه اية نزلت في الصحابه وغيرهم من المومنين وقوله حافظوا على الصلوات

جب

بيان

والصلوة الوسطى وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا
الصلوة ويؤتوا الزكوة والصلوة والزكوة من العبادات فقوله امنوا وعملوا الصالحات
كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا
الزكوة فانه قصد اولا ان تكون العبادة لله وحده لا لغيره ثم امر بالصلوة والزكوة ليعلم
انهما عبادتان واجبتان فلا يكتفي بمطلق العبادة الخالصة دونهما وكذلك يذكر الايمان
اولا لانه الاصل الذي لا بد منه ثم يذكر العمل الصالح فانه ايضا من تمام الدين لا بد
منه فلا يظن الظان اكتفاء بمجرد ايمان ليس معه العمل الصالح ولذلك قوله
الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة
هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وقد قيل هؤلاء هم اهل
الكتاب الذين امنوا بما انزل عليه وما انزل على من قبله كابن سلام ونحوه وان هؤلاء نوع
غير النوع المتقدم الذين يؤمنون بالغيب وقد قيل هؤلاء جميع المتقين الذين
امنوا بما انزل اليه وبما انزل من قبله وهؤلاء هم الذين يؤمنون بالغيب وهم صنف واحد
وانما عطفوا لتغاير الصفتين كقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي
قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى فهو سبحانه واحد وعطف بعض صفاته
على بعض وكذلك قوله والصلوة الوسطى وصلوة العصر والصفات اذا كانت معارف
كانت للتوضيح وتضمنت المدح او الذم تقول هذا الرجل هو الذي فعل كذا وهو الذي
فعل كذا بعد ذكر محاسنه وهذا ابلغ مع الاسماء قد يعطفونها وينصبونها ويرفعون
وهذا القول هو الصواب فان المؤمنين بالغيب ان لم يؤمنوا بما انزل اليه وما انزل من
قبله لم يكونوا على هدى من ربهم ولا مفلحين ولا متقين وكذلك الذين امنوا بما انزل
اليه وما انزل من قبله ان لم يكونوا من الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما
رزقهم ينفقون لم يكونوا على هدى من ربهم ولم يكونوا مفلحين ولم يكونوا متقين الله
فدل على ان الجميع صفة المتقين المهتدين الذين هدوا بالكتاب المنزل على محمد فقد الى صح
عطفت هذه الصفة على تلك مع انها داخلة فيها لان المقصود صفة ايمانهم وانهم
يؤمنون بجميع ما انزل الله على انبيائه لا يفرقون بين احد منهم والافادة لم يذكر

الا



الا

الغيب فقد يقول من يؤمن ببعض ويكفر ببعض نحن نؤمن بالغيب ولما كانت سورة
البقرة سنام القران ويقال انها اول سورة نزلت بالمدينة افتتحها الله باربع ايات
في صفة المؤمنين واثنتين في صفة الكافرين وبضع عشرة اية في صفة المنافقين
فانه من حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم صار الناس ثلثة اصناف اما مؤمن واما
كافر مظهر للكفر واما منافق بخلاف ما كانوا بمكة فانه لم يكن هناك منافق ولهذا
قال احمد بن حنبل وغيره لم يكن في المهاجرين منافق وانما كان النفاق في قبايل الانصار
فان مكة كانت الكفار مستولين عليها فلا يؤمن ويهاجر الا من هو مؤمن ليس هناك
داعي يدعو الى النفاق والمدينة امن بها اهل الشوكة فصار للمؤمنين بها عز ومنعة
بالانصار فمن لم يظهر الايمان اذوه فاحتاج المنافقون الى اظهار الايمان مع ان قلوبهم
لم تؤمن والله تعالى افتتح البقرة وختم البقرة ووسط البقرة بالايمان بجميع ما جاءت به
الانبياء فقال في اولها ما تقدم وقال في وسطها قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم
به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
وقال في اخرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك
المصير والاية الاخرى وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايتان من
اخر سورة البقرة من قراهما في ليلة كفتاه والاية الوسطى قد ثبت في الصحيح انه كان
يقرا بها في ركعتي الفجر تارة ويقوله يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الاية
ويقرا بقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد تارة فيقرا بما فيه ذكر الايمان والاسلام او بما
فيه ذكر التوحيد والاخلاص فعلى قول ______ هؤلاء يقال الاعمال
الصالحة المعطوفة على الايمان دخلت في الايمان وعطفت عليه عطف الخاص على
العام اما لذكره خصوصا بعد عموم واما لكونه اذا عطف كان دليلا على انه لم يدخل
في العام وقيل بل الاعمال في الاصل ليست من الايمان فان اصل الايمان هو ما في القلب
ولكن هي لازمة له فمن لم يفعلها كان ايمانه منتفيا لان انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم

لكن صارت بعرف الشارع داخلة في اسم الايمان اذا اطلق كما تقدم في كلام النبي صلى
الله عليه وسلم فاذا عطفت عليه ذكرت لئلا يظن الظان ان مجرد ايمانه بدون الاعمال
الصالحة اللازمة للايمان يوجب الوعد فكان ذكرها تخصيصا وتنصيصا ليعلم ان الثواب
الموعود به في الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون الا لمن آمن وعمل صالحا لا يكون لمن ادعى
الايمان ولم يعمل وقد بين سبحانه في غير موضع ان الصادق في قوله آمنت لا بد ان يقوم بالواجب
وحصر الايمان في هؤلاء يدل على انتفائه عمن سواهم وللجهمية هنا سؤال ذكره ابو الحسن
في كتاب الموجز وهو ان القرآن نفى الايمان عن غير هؤلاء كقوله انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم ولم يقل ان هذه الاعمال من الايمان قالوا فنحن نقول من لم يعمل هذه
الاعمال لم يكن مؤمنا لان انتفاءها دليل على انتفاء العلم من قلبه والجواب
عن هذا من وجوه احدها انكم سلمتم ان هذه الاعمال لازمة لايمان القلب فاذا انتفت لم يبق
في القلب ايمان وهذا هو المطلوب وبعد هذا فكونها لازمة او جزءا نزاع لفظي الثاني
ان نصوصا صرحت بانها جزء كقوله الايمان بضع وستون او بضع وسبعون شعبة
الثالث انكم ان قلتم بان من انتفى عنه هذه الامور فهو كافر خال من كل ايمان
كان قولكم قول الخوارج وانتم في طرف والخوارج في طرف فكيف توافقونهم ومن هذه
الامور اقام الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان والحج والجهاد والاجابة حكم الله ورسوله الى صح
وغير ذلك مما لا تكفرون تاركه وان كفرتموه كان قولكم قول الخوارج الرابع ان قول
القائل ان انتفاء بعض هذه الاعمال يستلزم ان لا يكون في قلب الانسان شيء من التصديق
بان الرب حق قول يعلم فساده بالاضطرار الخامس ان هذا اذا ثبت في هذه
ثبت في سائر الواجبات فيرتفع النزاع المعنوي ٥ فصل الوجه
الثاني من غلط المرجئة ظنهم ان ما في القلب من الايمان ليس الا التصديق فقط دون
اعمال القلوب كما تقدم عن جهمية المرجئة الثالث ظنهم ان الايمان الذي في القلب
يكون تاما بدون شيء من الاعمال ولهذا يجعلون الاعمال ثمرة الايمان ومقتضاه بمنزلة السبب
مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له والتحقيق ان ايمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر
بحسبه لا محالة ويمتنع ان يقوم بالقلب ايمان تام بدون عمل ظاهر ولهذا صاروا
يقدرون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن والقلب
مثل



مثل ان يقولوا رجل في قلبه من الايمان مثل ما في قلب ابي بكر وعمر وهو لا يسجد لله سجدة
ولا يصوم رمضان ويزني بامه واخته ويشرب الخمر نهار رمضان يقولون هذا مؤمن
تام الايمان فبقي سائر المؤمنين ينكرون ذلك غاية الانكار قال احمد بن حنبل ثنا خلف
ابن حيان ثنا معقل بن عبيد الله العبسي قال قدم علينا سالم الافطس بالارجاء فعرض
منه اصحابنا نفورا شديدا منهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك فاما عبد
الكريم بن مالك فانه عاهد الله تعالى ان لا يأويه واياه سقف بيت الا المسجد قال معقل
فحججت فدخلت على عطاء بن ابي رباح في نفر من اصحابي وهو يقرأ حتى اذا استيأس الرسل
وظنوا انهم قد كذبوا خففها قلت ان لنا حاجة فاخلنا ففعل فاخبرته ان قوما قبلنا قد احد ثوا
وتكلموا وقالوا ان الصلوة والزكوة ليستا من الدين فقال اوليس الله يقول وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة
فالصلوة والزكوة من الدين قال فقلت فانهم يقولون ليس في الايمان زيادة فقال اوليس
قد قال الله تعالى فيما انزل ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم فهذا الايمان فقلت انهم انتحلوك وبلغني
ان ابن ذر دخل عليك في اصحاب له فعرضوا عليك قولهم فقبلته فقلت هذا الامر فقال لا
والله الذي لا اله الا هو مرتين او ثلاثا ثم قال قدمت المدينة فجلست الى نافع فقلت له
يا ابا عبد الله ان لي اليك حاجة فقال سر ام علانية فقلت لا بل سر قال رب سر لا خير
فيه فقلت ليس من ذاك فلما صلينا العصر قام واخذ بثوبي ثم خرج من الخوخة ولم
ينتظر القاص فقال حاجتك قال فقلت اخلني هذا فقال تنح قال فذكرت له قولهم فقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اضربهم بالسيف حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا
قالوا لا اله الا الله عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال قلت انهم
يقولون نحن نقر بان الصلوة فرض ولا نصلي وبان الخمر حرام ونشربها وان نكاح الامهات
حرام ونحن ننكح فنتر يده من يدي وقال من فعل هذا فهو كافر قال معقل فلقيت الزهري
فاخبرته بقولهم فقال سبحان الله او قد اخذ الناس في هذه الخصومات قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الشارب الخمر حين يشربها وهو
مؤمن قال معقل فلقيت الحكم بن عتيبة فقلت له ان عبد الكريم وميمون بلغهما انه دخل
عليك ناس من المرجئة فعرضوا عليك قولهم فقبلت قولهم قال فقبل ذلك على ميمون

وعبد الكريم قال دخل علي اناس رجالا وانا مريض فقالوا يا ابا محمد بلغك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل بامة سوداء او حبشية فقال يا رسول الله علي
رقبة مومنة افترى هذه مومنة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدين ان لا
اله الا الله فقالت نعم قال وتشهدين ان محمدا رسول الله قالت نعم قال وتشهدين ان
الجنة حق والنار حق قالت نعم قال وتشهدين ان الله سيبعث من بعد الموت قالت نعم
فاعتقها فخرجوا وهم ينتحلونه قال معقل ثم جلست الى ميمون ابن مهران فقلت ما ابا
ايوب لو قرات لنا سورة ففسرتها قال فقرا اذا الشمس كورت حتى اذا بلغ مطاع ثم امين
قال ذاكم جبريل والخيبة لمن يقول ان ايمانه كايمان جبريل ورواه حنبل عن احمد ورواه
ايضا عن ابي مليكة قال لقد اتى علي برهة من الدهر وما اراني ادرك قوما يقول
احدهم اني مومن مستكمل الايمان ثم ما رضي حتى قال ايماني على ايمان جبريل وميكائيل
وما زال بهم الشيطان حتى قال احدهم اني مومن وان نكح امه واخته وبنته والله لقد ادركت
كذا وكذا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما مات احد منهم الا وهو يخشى على نفسه النفاق
وقد ذكر هذا المعنى عنه البخاري في صحيحه قال ادركت ثلثين من اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم احد يقول ايمانه كايمان جبريل
وروى البغوي عبد الله ابن احمد عن ابي مجاهد قال كنت عند عطا ابن ابي رباح فجا ابنه
يعقوب فقال يا ابتاه ان اصحابا لي يزعمون ان ايمانهم كايمان جبريل فقال يا بني ليس
ايمان من اطاع الله كايمان من عصى الله ٥ قلت ———— قوله عن المرجية
انهم يقولون ان الصلوة والزكوة ليستا من الدين قد يكون قول بعضهم فانهم كلهم يقولون
ليستا من الايمان واما من الدين فقد حكي عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا
يفرق بين الايمان والدين ومنهم من يقول بل هما من الدين ويفرق بين اسم الايمان
واسم الدين وهذا هو المعروف من اقوالهم التي يقولونها عن انفسهم ولم ار انا في كتاب
احد منهم انه قال ان الاعمال ليست من الدين بل يقولون ليست من الايمان وكذلك
حكى ابو عبيد عمن ناظره منهم قال ابو عبيد وغيرهم يحتجون بان الاعمال من الدين
قد لو قوله اليوم اكملت لكم دينكم انما نزلت في حجة الوداع قال ابو عبيد فاخبر انه
انما اكمل الدين الان في اخر الاسلام في حجة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم هولاء انه
كان



كان كاملا قبل ذلك بعشرين سنة من اول ما نزل عليه الوحي بمكة حين دعا الناس
الى الاقرار قال حتى لقد اضطر بعضهم حين دخلت عليه هذه الحجة الى ان قال ان
ان الايمان ليس جميع الدين ولكن الدين له ثلثة اجزاء فالايمان جزء والفرايض جزء والنوافل
جزء قلت الذي قاله هو مذهب القوم قال ابو عبيد وهذا غير ما نطق به الكتاب الا
تسمع الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وقال ورضيت لكم الاسلام دينا فاخبر ان الاسلام هو الدين برمته وزعم انه ثلث
الدين ٥ قلت ———— انما قالوا ان الايمان ثلث لم يقولوا لم يقولوا ان الايمان ثلث
الدين لكنهم فرقوا بين مسمى الايمان ومسمى الدين وسنتكلم ان شا الله الكلام في مسما
هذا ومسما هذا فقد حكي عن بعضهم انه يقول ليستا من الدين ولا يفرق بين اسم
الايمان والدين ومنهم من يقول بل كلاهما من الدين ويفرق بين اسم الايمان واسم
الدين والشافعي رضي الله عنه كان معظما لعطا ابن ابي رباح ويقول ليس في التابعين
اتبع للحديث منه ولذلك ابو حنيفة قال ما رايت مثل عطا وقد اخذ الشافعي
هذه عن عطا وروى ابن ابي حاتم في مناقب الشافعي ثنا ابي ثنا الموي ثنا ابو عثمان
ابن الشافعي سمعت ابي يقول ليلة للحميدي ما يحتج عليهم يعني اهل الارجا باية احج من
قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلوة ويوتوا
الزكوة وذلك دين القيمة وقال الشافعي رضي الله عنه في كتاب الام في باب النية
في الصلوة نحتج بان لا تجزي صلوة الا بنية بحديث عمر ابن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انما الاعمال بالنية ثم قال وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن ادركناهم
يقولون الايمان قول وعمل ونية لا يجزي واحد من الثلث الا بالاخر وقال حنبل ثنا
الحميدي قال واخبرت ان ناسا يقولون من اقر بالصلوة والزكوة والصوم حتى يموت فهو
مومن ما لم يكن جاحدا اذا علم ان تركه ذلك فيه ايمانه اذا كان مقرا بالفرايض واستقبال
القبلة فقلت هذا الكفر الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وعلما المسلمين قال
الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا ويقيموا الصلوة ويوتوا
الزكوة وذلك دين القيمة ٥ وقال حنبل سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يقول من قال
قال هذا فقد كفر بالله ورد على الله امره وعلى الرسول ما جاء به قلت ————

[illegible]

مطلب الكلام في الظاهر من الناس

واما احتجاجهم بقوله للامة اعتقها فانها مومنة فهو من حججهم المشهورة وبه احتج ابن كلاب وكان يقول الايمان هو التصديق والقول جميعا فكان قوله اقرب من قول جهم واتباعه وهذا لا حجة فيه لان الايمان الظاهر الذي تجري عليه الاحكام في الدنيا لا يستلزم الايمان في الباطن الذي يكون صاحبه من اهل السعادة في الاخرة فان المنافقين الذين قالوا امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمومنين فهم يخرجون ويغزون والمسلمون يناكحونهم ويوارثونهم كما كان المنافقون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين بحكم الكفار المظهرين للكفر لا في مناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك بل لما مات عبد الله بن ابي ابن سلول وهو من اشهر الناس بالنفاق ورثه ابنه عبد الله وهو من خيار المومنين وكذلك سائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المومنون واذا مات لاحدهم وارث ورثوه مع المسلمين وقد تنازع الناس لفقها في المنافق الزنديق الذي يكتم زندقته هل يرث ويورث على قولين والصحيح انه يرث ويورث وان علم في الباطن منافق كما كان الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لان الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة لا على المحبة التي في القلوب فانه لو علق بذلك لم يمكن معرفته والحكمة اذا كانت خفية او منتشرة علق الحكم بمظنتها وهو ما اظهره من موالاة المسلمين فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لم يدخل فيه المنافقون وان كانوا في الاخرة في الدرك الاسفل من النار بل كانوا يورثون ويرثون وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين وقد اخبر الله تعالى عنهم انهم يصلون ويزكون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم وقال وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وقال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراوون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك صلوة المنافق تلك صلوة المنافق تلك صلوة المنافق يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا وكانوا يخرجون مع النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي كما خرج ابن ابي في غزوة بني المصطلق وقال فيها لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وفي الصحيحين عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله قال زهير وهي قراءة عبد الله من حفض من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى

انه صح

من حوله صح

بمقابلة



كاتب

عبد الله بن ابي فساله فاجتهد يمينه ما فعل فقيل كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله عز وجل تصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رءوسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شي

وفي غزوة تبوك استاذنوا النبي صلى الله عليه وسلم كما استاذن غيرهم فخرج بعضهم معه وبعضهم تخلفوا وكان في الذين خرجوا معه من هم بقتله في الطريق هموا بحل حزام ناقته ليقع في واد هناك فجاءه الوحي فاسر الى حذيفة اسماءهم ولذلك يقال هو صاحب السر الذي لا يعلمه غيره كما ثبت ذلك في الصحيح ومع هذا ففي الظاهر يجري عليهم احكام اهل الايمان وبهذا يظهر الجواب عن شبه كثيرة ترد في هذا المقام فان كثيرا من المتاخرين ما بقي المظهرون للاسلام عندهم الا عدل او فاسق واعرضوا عن حكم المنافق والمنافقون ما زالوا ولا يزالون الى يوم القيمة والنفاق شعب كثيرة وقد كان الصحابة يخافون النفاق على نفوسهم ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وفي لفظ لمسلم وان صام وصلى وزعم انه مسلم وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وكان النبي صلى الله عليه وسلم اولا يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهاه الله عن ذلك فقال ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره وقال استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلم يكن يصلي عليهم ولا يستغفر لهم ولكن دماؤهم واموالهم معصومة لا يستحل منهم ما يستحله من الكفار الذين لا يظهرون انهم مومنون بل يظهرون الكفر دون الايمان فانه صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله ولما قال لاسامة ابن زيد اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال انما قالها تعوذا قال هلا شققت عن قلبه وقال اني لم اومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم وكان اذا استوذن في قتل رجل يقول اليس يصلي اليس يتشهد فاذا قيل له انه منافق قال ذلك فكان النبي صلى الله عليه وسلم حكمه في دمائهم واموالهم كحكمه في دماء غيرهم لا يستحل منها شيا الا بامر ظاهر مع انه كان يعلم نفاق كثير منهم وفيهم من لم يكن يعلم نفاقه قال تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وكان من مات منهم صلى عليه المسلمون

خرس

الله صح

الذين لا يعلمون انه منافق ومن علم انه منافق لم يصل عليه وكان عمر اذا مات ميت
لم يصل عليه حتى يصلي عليه حذيفة لان حذيفة كان قد علم اعيانهم وقد قال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن
مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار فامر بامتحانهن هنا وقد قال الله اعلم بايمانهن والله تعالى
لما امر في الكفارة بعتق رقبة مومنة لم يكلف الناس ان لا يعتقوا الا من يعلموا ان الايمان
في قلبه فان هذا كما لو قيل لهم لا تعتقوا الا من تعلمون ان الايمان في قلبه وهم لم يومروا ان
ينقبوا عن قلوب الناس ولا يشقوا بطونهم فاذا راوا رجلا يظهر لهم الايمان جاز لهم
عتقه وصاحب الجارية لما سال النبي صلى الله عليه وسلم هل هي مومنة انما اراد الايمان
الظاهر الذي يفرق فيه بين المسلم والكافر وكذلك من عليه نذر لم يلزم ان لا يعتق
الا من علم ان الايمان في قلبه فانه لا يعلم ذلك الا مطلقا ولا احد من الخلق يعلم ذلك
مطلقا وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق والله تعالى يقول له وممن حولكم
من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم
مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم فاولئك انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم فيهم
بحكمه في سائر المسلمين المومنين ولو حضرت جنازة احدهم صلى عليها ولم يكن منهيا
عن الصلاة الا على من علم نفاقه والا لزم ان ينقب عن قلوب الناس ويعلم سرائرهم وهذا لا يقدر
عليه بشر ولهذا لما كشفهم الله بسورة براءة بقوله ومنهم ومنهم صار يعرف نفاق ناس
لم يكن يعرف نفاقهم قبل ذلك فان الله وصفهم بصفات علمها الناس منهم وما كان
الناس يجزمون بانها مستلزمة لنفاقهم وان كان بعضهم يظن ذلك وبعضهم
يعلمه فلم يكن نفاقهم معلوما عند الجماعة بخلاف حالهم لما نزل القران ولهذا لما نزلت سورة
براءة كتموا النفاق وما بقي يمكنهم من اظهاره احيانا ما كان يمكنهم قبل ذلك وانزل الله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم
لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله التي قد خلت
من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما توعدوا بالقتل اذا اظهروا النفاق كتموه ولهذا
تنازع الفقهاء في استتابة الزنديق فقيل يستتاب واستدل من قال ذلك بالمنافقين الذين
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل امرهم الى الله تعالى فيقال له هذا كان في اول

الامر



الامر وبعد هذا انزل الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فعلموا انهم ان
اظهروه كما كانوا يظهرونه قتلوا فكتموه والزنديق هو المنافق وانما يقتله من يقتله اذا ظهر
منه انه يكتم النفاق قالوا ولا تعلم توبته لان غاية ما عنده انه يظهر ما كان يظهر وقد كان
يظهر الايمان وهو منافق ولو قبلت توبة الزنادقة لم يكن سبيل الى تقتيلهم والقران قد
توعدهم بالتقتيل والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن تلك الامة بالايمان
الظاهر الذي علقت به الاحكام الظاهرة والا فقد ثبت عنه ان سعدا لما شهد لرجل انه
مومن قال او مسلم وكان يظهر من الايمان ما يظهر الامة وزيادة فيجب ان يفرق بين احكام
المومنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا وبين حكمهم في الاخرة بالثواب والعقاب
فالمومن المستحق للجنة لا بد ان يكون مومنا في الباطن باتفاق جميع اهل القبلة حتى
الكرامية الذين يسمون المنافق مومنا ويقولون الايمان هو الكلمة يقولون انه لا
ينفع في الاخرة الا الايمان الباطن وقد حكى بعضهم عنهم انهم يجعلون المنافقين من اهل
الجنة وهو غلط عليهم انما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجية في ان الايمان لا
يتبعض ولا يتفاضل ولهذا اكثر ما اشترط الفقهاء في الرقبة التي تجزي في الكفارة العمل الظا هر
فتنازعوا هل يجزي الصغير على قولين معروفين للسلف هما روايتان عن احمد فقيل لا يجزي
عتقه لان الايمان قول وعمل والصغير لم يومن بنفسه انما ايمانه تبعا لابويه في احكام
الدنيا ولم يشترط احد ان يعلم انه مومن في الباطن وقيل بل يجزي عتقه لان العتق من
الاحكام الظاهرة وهو تبع لابويه فكما انه يرث منهما ويصلى عليه ولا يصلى الا على مومن
فانه يعتق وكذلك المنافقون الذين لم يظهر نفاقهم يصلى عليهم اذا ماتوا ويدفنوا في
مقابر المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته
وحياة خلفائه يدفن فيها كل من اظهر الايمان وان كان منافقا في الباطن ولم يكن للمنافقين
مقبرة يتميزون بها عن المسلمين في شيء من ديار الاسلام كما يكون لليهود والنصارى
مقبرة يتميزون بها ومن دفن في مقابر المسلمين صلى عليه المسلمون والصلاة لا تجوز على من
علم نفاقه بنص القران فعلم ان ذلك بنا على الايمان الظاهر والله يتولى السرائر وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهي عن ذلك وعلل ذلك بالكفر فكان
ذلك دليلا على ان كل من لم يعلم انه كافر في الباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له

وان كانت فيه بدعه وان كان له ذنوب واذا ترك الامام او اهل العلم والدين
الصلاه على بعض المتظاهرين ببدعه او فجور زجرا عنها لم يكن ذلك محرما للصلوه
عليه والاستغفار له بل قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن كان يمتنع عن الصلوه عليه
وهو الغال وقاتل نفسه والمدين الذي لا وفا له صلوا على صاحبكم وروي انه كان
يستغفر للرجل في الباطن وان كان في الظاهر يدع ذلك زجرا عن مثل مذهبه كما
روي في حديث محلم بن جثامه وليس في الكتاب والسنه المظهرون للاسلام الا
قسمان مومن ومنافق فالمنافق في الدرك الاسفل والاخر مومن ثم قد يكون ناقص
الايمان فلا يتناوله الاسم المطلق وقد يكون تام الايمان وهذا ياتي الكلام عليه ان
شا الله في مسئله الاسلام والايمان واسما الفساق من اهل المله لكن المقصود هنا انه
لا يجعل احد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعه ابتدعها ولو دعا الناس اليها كافرا في
الباطن الا اذا كان منافقا فاما من كان في قلبه الايمان بالرسول وما جاء به وقد غلط
في بعض ما تاوله من البدع فهذا ليس بكافر اصلا والخوارج كانوا من اظهر الناس بدعه
وقتالا للامه وتكفيرا لها ولم يكن في الصحابه من يكفرهم لا علي بن ابي طالب ولا غيره بل حكموا
فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الاثار عنهم بذلك في غير هذا
الموضع وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقه من كان منهم منافقا فهو كافر في الباطن
فان خطا في التاويل ومن لم يكن منافقا بل كان مومنا بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافرا
في الباطن وان اخطا في التاويل كائنا ما كان خطاوه وقد يكون في بعضهم شعبه من شعب
النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الاسفل من النار ومن
قال ان الثنتين وسبعين فرقه كل واحد منهم يكفر كفرا ينقل عن المله فقد خالف الكتاب
والسنه واجماع الصحابه رضوان الله عليهم اجمعين بل واجماع الايمه الاربعه وغير
الاربعه فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقه وانما يكفر بعضهم
بعضهم ببعض المقالات كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع وانما قال
الايمه بكفر هذا لان هذا فرض ما لا يقع فيمتنع ان يكون الرجل لا يفعل شيا مما امر به
من الصلوه والزكوه والصيام والحج ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات مثل الصلوه بلا وضو
والى غير القبله ونكاح الامهات وهو مع ذلك مومن في الباطن بل لا يفعل ذلك الا
لعدم



لعدم الايمان الذي في قلبه ولهذا كان اصحاب ابي حنيفه يكفرون انواعا ممن يقول كذا
وكذا لما فيه من الاستخفاف ويجعلونه مرتدا ببعض هذه الانواع مع النزاع اللفظي
الذي بين اصحابه وبين الجمهور في العمل هل هو داخل في اسم الايمان ام لا ولهذا
فرض متاخروا الفقها مسئله يمتنع وقوعها وهو ان الرجل اذا كان مقرا بوجوب الصلوه
فدعي اليها وامتنع واستتيب ثلاثا مع تهديده بالقتل فلم يصل حتى قتل هل يموت كافرا
او فاسقا على قولين وهذا الفرض باطل فانه يمتنع في الفطره ان يكون الرجل يعتقد
ان الله تعالى فرضها عليه وانه يعاقبه على تركها ويصبر على القتل ولا يسجد لله
سجده من غير عذر له في ذلك هذا لا يفعله بشر قط بل ولا يضرب احد ممن يقر بوجوب
الصلوه الا صلى لا ينتهي الامر الى القتل وسبب ذلك ان القتل ضرر عظيم لا يصبر عليه
الانسان الا لامر عظيم مثل لزومه لدين يعتقد انه ان فارقه هلك فيصبر عليه حتى
يقتل وسوا كان الدين حقا او باطلا اما مع اعتقاده ان الفعل يجب عليه باطنا وظاهرا
فلا يكون فعل الصلوه اصعب عليه من احتمال القتل قط ونظير هذا لو قيل ان رجلا من
اهل السنه قيل له ترض عن ابي بكر وعمر فامتنع عن ذلك حتى قتل مع محبته لهما واعتقاده
فضلهما ومع عدم الاعذار المانعه له من الترضي عنهما فهذا لا يقع قط وكذلك لو قيل
ان رجلا يشهد ان محمدا رسول الله باطنا وظاهرا وقد طلب منه ذلك وليس هناك رهبه
ولا رغبه يمتنع لاجلها فامتنع منها حتى قتل فهذا يمتنع ان يكون في الباطن يشهد ان محمدا رسول
الله ولهذا كان القول الظاهر من الايمان الذي لا نجاه الا به عند عامه السلف والخلف
الاولين والاخرين الا الجهميه جهما ومن وافقه فانه اذا قدر انه معذور لكونه اخرس
او لكونه خايفا من قوم ان اظهر الاسلام اذوه ونحو ذلك فهذا يمكن ان لا يتكلم مع ايمان
في قلبه كالمكره على كلمه الكفر قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ولكن
من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وهذه الايه مما يدل على
فساد قول جهم فانه جعل من تكلم بالكفر من اهل وعيد الكفار الا من اكره وقلبه مطمين
بالايمان فان قيل فقد قال ولكن من شرح بالكفر صدرا قيل وهذا موافق لاولها فانه
من كفر من غير اكراه فقد شرح بالكفر صدرا والا ناقض اول الايه اخرها ولو كان
المراد بمن كفر هو الشارح صدره وذلك يكون بلا اكراه لم يستثن المكره فقط بل كان

نجب ان يسمى المكره وعبر المكره اذا لم يشرح صدره واذا تكلم بكلمة الكفر طوعا فقد شرح
شرح بها صدرا وهي كفر وقد دل على ذلك قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سالتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين فقد اخبر انهم كفروا بعد ايمانهم
مع قولهم انا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل كنا نخوض ونلعب وبين ان الاستهزا
بايات الله كفر ولا يكون هذا الا ممن شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الايمان في قلبه
منعه ان يتكلم بهذا والقران يبين ان ايمان القلب مستلزم العمل الظاهر بحسبه اللازم
كقوله تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك
وما اولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون
الى قوله انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا واولئك هم المفلحون فنفى الايمان عمن تولى عن طاعة الرسول واخبر ان المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم سمعوا واطاعوا فبين ان هذا من لوازم الايمان

فصل فان قيل فاذا كان الايمان المطلق يتناول جميع ما امر الله به
ورسوله فمتى ذهب بعض ذلك بطل الايمان فيلزم تكفير اهل الذنوب كما تقوله
الخوارج او تخليدهم في النار وسلبهم اسم الايمان بالكلية كما تقوله المعتزلة وكلا
هذين القولين شر من قول المرجئة فان المرجئة منهم جماعة من العلما والعباد المذكورين
عند الامة بخير واما الخوارج والمعتزلة فاهل السنة والجماعة من جميع الطوائف مطبقين
على ذمهم قيل اولا ينبغي ان يعرف ان القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة
عليه احد من اهل السنة هو القول بتخليد اهل الكبائر في النار فان هذا القول من البدع
المشهورة وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم باحسان وسائر ائمة المسلمين على انه لا يخلد
في النار احد في قلبه مثقال ذرة من ايمان واتفقوا ايضا على ان نبينا صلى الله عليه وسلم ممن لم
يشفع فيمن ياذن الله له بالشفاعة فيه من اهل الكبائر من امته وفي الصحيحين عنه انه قال
لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وهذه الاحاديث
مذكورة في موضعها وقد نقل بعض الناس عن الصحابة في ذلك خلافا كما روي عن ابن عباس
ان



ان القاتل لا توبة له وهذا غلط على الصحابة فانه لم يقل احد منهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يشفع لاهل الكبائر ولا قال انهم مخلدون في النار ولكن ابن عباس في احدى
الروايتين عنه قال ان القاتل لا توبة له وعن احمد بن حنبل في قبول توبة القاتل روايتان بينان
ايضا والنزاع في التوبة غير النزاع في التخليد وذلك ان القاتل يتعلق به حق ادمي
فلهذا حصل فيه النزاع واما قولهم ان الايمان اذا ذهب بعضه
ذهب كله فهذا ممنوع وهذا هو الاصل الذي تفرعت منه البدع في الايمان فانهم
ظنوا انه متى ذهب بعضه ذهب كله لم يبق منه شي ثم قالت الخوارج والمعتزلة هو مجموع
ما امر الله به ورسوله وهو الايمان المطلق كما قاله اهل الحديث قالوا فاذا ذهب
شي منه لم يبق مع صاحبه من الايمان شي فيخلد في النار وقالت المرجئة على اختلاف فرقهم
لا تذهب الكبائر وترك الواجبات الظاهرة شيئا منه اذ لو ذهب شي منه لم يبق
منه شي فيكون شيئا واحدا يستوي فيه البر والفاجر ونصوص الرسول واصحابه تدل
على ذهاب بعضه وبقاء بعضه كقوله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان
ولهذا كان اهل السنة والحديث على انه يتفاضل وجمهورهم يقولون يزيد وينقص
ومنهم من يقول يزيد ولا يقول ينقص كما روي عن مالك في احدى الروايتين ومنهم
من يقول يتفاضل كعبد الله ابن المبارك وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة
ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة عن حماد
ابن سلمة عن ابي جعفر عن جده عمير بن حبيب الخطمي وهو من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الايمان يزيد وينقص قيل وما زيادته ونقصانه قال اذا ذكرنا الله وحمدناه
وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه وروى اسمعيل بن عياش عن جرير
ابن عثمان عن الحرث بن محمد عن ابي الدرداء قال الايمان يزيد وينقص وقال احمد بن حنبل
حدثنا يزيد ثنا جرير بن عثمان قال سمعت اشياخنا او بعض اشياخنا ان ابا الدرداء قال
ان من فقه الرجل العبد ان يتعاهد ايمانه وما نقص منه ومن فقه العبد ان يعلم ايزداد
هو ام ينقص وان من فقه الرجل ان يعلم نزغات الشيطان انى تاتيه وروى
اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن ربيعة الحضرمي عن ابي هريرة
قال الايمان يزيد وينقص وقال احمد بن حنبل ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد بن طلحة عن زبيد

عن ذر قال كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول لاصحابه هلموا نزدد ايمانا فيذكرون
الله تعالى وقال ابو عبيد في الغريب في حديث علي ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما
ازداد الايمان ازدادت اللمظة يروى ذلك عن عثمان بن عبد الله عن عمرو بن هند الجملي عن
علي قال الاصمعي اللمظة مثل النكتة او نحوها قال احمد بن حنبل ثنا وكيع عن شريك عن هلال عن
عبد الله ابن عكيم قال سمعت ابن مسعود يقول في دعائه اللهم زدنا ايمانا ويقينا وفقها وروى
سفين الثوري عن جامع ابن شداد عن الاسود ابن هلال قال كان معاذ ابن جبل يقول للرجل
اجلس بنا نؤمن نذكر الله تعالى وروى ابو اليمان ثنا صفوان عن شريح ابن عبيد ان عبد الله
ابن رواحة كان ياخذ بيد الرجل من اصحابه فيقول قم بنا نؤمن ساعة فنجلس في مجلس ذكر
وهذه الزيادة اثبتها الصحابة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القران كله وصح عن عمار
ابن ياسر انه قال ثلث من كن فيه فقد استكمل الايمان انصاف من نفسه والانفاق من
الاقتار وبذل السلام للعالم ذكره البخاري عنه في صحيحه وقال جندب ابن عبد الله وابن عمر
وغيرهما تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القران فازددنا ايمانا والاثار في هذا كثيرة رواها المصنفون
في هذا الباب لاثار الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة والزيادة قد نطق بها القران
في عدة ايات كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وهذه زيادة اذا تليت عليهم الايات اي وقت تليت ليس هو تصديقهم بها عند
النزول وهذا امر يجده المؤمن اذا تليت عليه الايات زاد في قلبه بفهم القران ومعرفة
معانيه من علم الايمان ما لم يكن حتى كانه لم يسمع الاية الا حينئذ ويحصل في قلبه من الرغبة
في الخير والرهبة من الشر ما لم يكن فزاد علمه بالله ومحبته لطاعته وهذه زيادة الايمان
وقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فهذه الزيادة عند تخويفهم بالعدو ولم يكن عند اية نزلت فازدادوا
يقينا وتوكلا على الله وثباتا على الجهاد وتوحيدا بان لا يخافوا المخلوق بل يخافون الخالق وحده
وقال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا
فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم وهذه الزيادة ليست مجرد التصديق بان الله انزلها بل زادتهم بحسب
مقتضاها فان كانت امرا بالجهاد او غيره ازدادوا رغبة فيه وان كانت نهيا عن شيء

انتهوا



انتهوا عنه فكرهوه ولهذا قال وهم يستبشرون والاستبشار غير مجرد التصديق
وقال تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه
والفرح بذلك من الايمان قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون وقال ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقال تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا
ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد
الذين امنوا ايمانا وقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم نهم
وهذه نزلت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الحديبية فجعل السكينة
موجبة لزيادة الايمان والسكينة طمانينة في القلب غير علم القلب وتصديقه ولهذا
قال يوم حنين فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها
وقال ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته
عليه وايده بجنود لم تروها ولم يكن قد نزل يوم حنين قران ولا يوم الغار وانما انزل
سكينته وطمانينته من خوف العدو فلما انزل السكينة في قلوبهم مرجعهم من الحديبية
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم دل على ان الايمان المزيد حال للقلب وصفة له وعمل مثل طمانينته
وسكونه ويقينه واليقين قد يكون بالعمل والطمانينة كما يكون بالعلم والريب المنافي
لليقين يكون ريبا في العلم وريبا في طمانينة القلب ولهذا جاء في الدعاء الماثور اللهم اقسم لنا
من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين
ما تهون علينا به مصائب الدنيا وفي حديث الصديق الذي رواه احمد والترمذي
وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سلوا الله العافية واليقين فما اعطي احد بعد
اليقين شيا خيرا من العافية فسلوهما الله تعالى فاليقين عند المصائب بعد العلم بان الله تعالى
قدرها سكينة القلب وطمانينته وتسليمه وهذا من تمام الايمان بالقدر خيره وشره كما
قال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال علقمة وروي عنه صح
عن ابن مسعود هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من الله فيرضى ويسلم وقوله تعالى
يهد قلبه هداه لقلبه هو زيادة في ايمانه كما قال والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم
وقال انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى ولفظ الايمان اكثر ما يذكر في القران مقيدا
فلا يكون ذلك اللفظ متناولا لجميع ما امر به بل يجعل موجبا للوازمه وتمام ما امر به

وحينئذ يتناوله الاسم المطلق قال تعالى آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول
يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذي ينزل على عبده آيات
بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وقال في آخر السورة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا
برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم
وقد قال بعض المفسرين في الآية الاولى انها خطاب لقريش وفي الثانية انها خطاب
لليهود والنصارى وليس كذلك فان الله لم يقل قط للكفار يا ايها الذين آمنوا ثم قال
بعد ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وهذه السورة مدنية
باتفاق لم يخاطب بها المشركين بمكة وقد قال وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم
لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين وهذا لا يخاطب به كافر وكفار مكة
لم يكن اخذ ميثاقهم وانما اخذ ميثاق المؤمنين بمبايعتهم له فان كل من كان مسلما مهاجرا
كان بايع النبي صلى الله عليه وسلم كما بايعه الانصار ليلة العقبة وانما دعاهم الى تحقيق
الايمان وتكميله باداء ما يجب من تمامه باطنا وظاهرا كما نسال الله ان يهدينا الصراط المستقيم
في كل صلاة وان كان قد هدى المؤمنين للاقرار بما جاء به الرسول جملة لكن الهداية المفصلة
في جميع ما يقولونه ويفعلونه في جميع امورهم لم تحصل وجميع هذه الهداية المفصلة الخاصة
هي من الايمان المامور به وبذلك يخرجهم الله من الظلمات الى النور فصل
وزيادة الايمان الذي امر الله به والذي يكون من عباده المؤمنين من وجوه احدها الاجمال
والتفصيل فيما امروا به فانه وان وجب على جميع الخلق الايمان بالله ورسوله ووجب على
كل امة التزام ما يامر به رسولهم مجملا فمعلوم انه لا يجب في اول الامر ما وجب بعد
نزول القرآن كله ولا يجب ~~في اول الامر ما وجب بعد نزول القرآن كله~~ ولا يجب على كل
عبد من الايمان المفصل مما اخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره فمن عرف القرآن والسنن
ومعانيها لزمه من الايمان المفصل بذلك ما لا يلزم غيره ولو آمن الرجل بالله وبالرسول
باطنا وظاهرا ثم مات قبل ان يعرف شرائع الدين مات مؤمنا بما وجب عليه من الايمان
وليس ما وجب عليه ولا ما وقع منه مثل ايمان من عرف الشرائع فآمن بها وعمل بها بل
ايمان هذا اكمل وجوبا ووقوعا فان ما وجب عليه من الايمان اكمل وما وقع منه اكمل
وقوله



وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي اي في التشريع بالامر والنهي
ليس المراد ان كل واحد من الامة وجب عليه ما يجب على سائر الامة وانه فعل ذلك بل في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصف النساء بانهن ناقصات عقل ودين وجعل
نقصان عقلها ان شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد ونقصان دينها انها اذا حاضت
لا تصوم ولا تصلي وهذا النقصان ليس هو نقص مما امرت فلا تعاقب على هذا النقصان
لكن من امر بالصلاة والصوم ففعله كان دينه كاملا بالنسبة الى هذه الناقصة الدين ٥
الوجه الثاني الاجمال والتفصيل فيما وقع منهم فمن آمن بما جاء به الرسول مطلقا فلم
يكذبه قط لكن اعرض عن معرفة امره ونهيه وخبره وطلب العلم الواجب عليه فلم يعلم
الواجب عليه ولم يعمله بل اتبع هواه وآخر طلب العلم علم ما امر به فعمل به وآخر طلب علمه
فعلمه وآمن به ولم يعمل به فهؤلاء وان اشتركوا في الوجوب لكن من طلب علم التفصيل وعمل به
فعلمه فايمانه اكمل ممن عرف ما يجب عليه والتزمه واقر به لكن لم يعمل بذلك كله وهذا
المقر بما جاء به الرسول المعترف بذنبه الخائف من عقوبته على ترك العمل اكمل ايمانا ممن
لم يعرف بطلب معرفة ما امر به الرسول ولا عمل بذلك ولا هو خائف ان يعاقب بل هو
في غفلة عن تفصيل ما جاء به الرسول مع انه مقر بنبوته باطنا وظاهرا فكلما علم القلب
ما اخبر به الرسول فصدقه وما امر به فالتزمه كان ذلك زيادة في ايمانه على من لم يحصل
له ذلك وان كان معه التزام عام واقرار عام وكذلك من عرف اسماء الله تعالى ومعانيها
فآمن بها كان ايمانه اكمل ممن لم يعرف تلك الاسماء بل آمن بها ايمانا مجملا او عرف بعضها
وكلما ازداد الانسان معرفة باسماء الله وصفاته وآياته كان ايمانه اكمل ه الثالث
ان العلم والتصديق نفسه يكون بعضه اقوى من بعض واثبت وابعد عن الشك والريب
وهذا امر يشهده كل احد من نفسه كما ان الحس الظاهر بالشيء الواحد مثل رؤية الناس
للهلال وان اشتركوا فيها فبعضهم تكون رؤيته اتم من بعض وكذلك سماع الصوت
الواحد وشم الرائحة الواحدة وذوق النوع الواحد من الطعام فكذلك معرفة
القلب وتصديقه يتفاضل اعظم من ذلك من وجوه متعددة والمعاني التي يؤمن بها
من معاني اسماء الرب وكلامه يتفاضل الناس في معرفتها اعظم من تفاضلهم في معرفة
غيرها الرابع ان التصديق المستلزم لعمل القلب اكمل من التصديق
الذي لا يستلزم عمله فالعلم الذي يعمل به صاحبه اكمل من العلم الذي لا يعمل به واذا

كان شخصان يعلمان ان الله تعالى حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وهذا
علمه اوجب له محبة الله وخشيته والرغبة في الجنة والهرب من النار والاخر علمه لم يوجب
ذلك فعلم الاول اكمل فان قوة المسبب دل على قوة السبب وهذه الامور نشات
عن العلم فالعلم بالمحبوب يستلزم طلبه والعلم بالمخوف يستلزم الهرب منه فاذا لم يحصل
اللازم دل على ضعف الملزوم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاين
فان موسى لما اخبره ربه ان قومه عبدوا العجل لم يلق الالواح فلما راهم قد عبدوه
القاها وليس ذلك لشك موسى في خبر الله تعالى لكن المخبر وان جزم بصدق المخبر
فقد لا يتصور المخبر به في نفسه كما يتصوره اذا عاينه بل يكون قلبه مشغولا عن
تصور المخبر به ما لم يكن عند الخبر فقد الصدق اكمل من ذلك التصديق ن
الخامس ان اعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجاه
ونحو ذلك هي كلها من الايمان والناس يتفاضلون فيها كما دل على ذلك الكتاب
والسنة واتفاق السلف وهذه يتفاضل الناس فيها تفاضلا عظيما السادس الاعمال
الظاهرة مع الباطنة هي ايضا من الايمان والناس يتفاضلون فيها السابع
ذكر الانسان بقلبه ما امر به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلا عنه اكمل ممن
صدق به وغفل عنه فان الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار
تكميل العلم واليقين ولهذا قال عمير بن حبيب من الصحابة اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه
فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه وكان معاذ بن جبل يقول
لاصحابه اجلسوا بنا ساعة نؤمن قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وكان امره فرطا وقال وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقال سيذكر من يخشى
ويتجنبها الاشقى ثم كل ما يذكره ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له معرفة شيء اخر لم
يكن يعرفه قبل ذلك وعرف من معاني اسما الله واياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك كما
في الاثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا امر يجده في نفسه كل مومن وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت قال
تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وذلك انها تتلو عليهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك
علموه ويتلو عليهم علما نسوه ويتذكر بهم تذكيرا لما كانوا نسوه وتحدث بذلك التذكر ولذلك
ما
تذكروا

فاذا تخيل نفسه بعلم انه عما للعلانية
تحصيل من النصر الخبر به

بان الله شهيد

ف
ما شاهده العباد من الايات في الافاق وفي انفسهم قال تعالى سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اي ان القران مما اخبر حق ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شي شهيد في القران بما اخبر به فامن به المومن ثم اراهم في الافاق وفي انفسهم
ما دل على مثل ما اخبر به في القران فيتبين لهم هذه الايات ان القران حق مع ما كان قد
حصل لهم قبل ذلك وقال تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل
عبد منيب فالايات المخلوقة والمتلوة فيها تبصرة وفيها تذكرة تبصرة من العمى وتذكرة
من الغفلة فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويتذكر من عرف ونسي والانسان يقرا
الاية مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في اثنا الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل
ذلك حتى كانها تلك الساعة نزلت فيومن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود
في كل من قرا القران بتدبر بخلاف من قراه مع الغفلة ثم كلما فعل شيا مما امر به
استحضر انه امر به فصدق الامر فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما
كان غافلا عنه وان لم يكن مكذبا له الوجه الثامن ان الانسان قد
يكون مكذبا ومنكرا لامور لا يعلم ان الرسول اخبر بها وامر بها ولو علم ذلك لم يكذب
ولم ينكر بل قلبه جازم بانه لا يخبر الا بصدق ولا يامر الا بحق ثم يسمع الاية او
الحديث او يتدبر ذلك او يفسر له معناه او يظهر له ذلك بوجه من الوجوه فيصدق
بما كان مكذبا به ويعرف ما كان منكرا وهذا تصديق جديد وايمان جديد ازداد به
ايمانه لم يكن قبل ذلك كافرا بل جاهلا وهذا وان اشبه المجمل والمفصل لكن صاحب
المجمل قد يكون قلبه سليما عن التكذيب والتصديق لشي من التفاصيل وعن معرفته وانكاره
لشي من ذلك فاتته التفصيل بعد الاجمال على قلب ساذج واما الاول من الناس من
اهل العلم والعلوم والعبادات فيقوم بقلوبهم من التفصيل امور كثيرة تخالف ما جاء به الرسول
وهم لا يعرفون انها تخالف فاذا عرفوا رجعوا وكل من ابتدع في الدين قولا اخطا فيه
او عمل عملا اخطا فيه وهو مومن بالرسول او عرف ما قاله وامن به لم يعدل عنه
هو من هذا الباب وهذا كل مبتدع قصده متابعة الرسول فهو من هذا الباب فمن
علم ما جا به الرسول وعمل به اكمل ممن اخطا ذلك ومن علم الصواب بعد الخطا وعمل

به فهو اكمل ممن لم يكن كذلك ن فصل وقد اثبت في القران اسلاما بلا
ايمان في قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا وقد ثبت في
الصحيحين عن سعد ابن ابي وقاص قال اعطى النبي صلى الله عليه وسلم رهطا وفي روايه
قسم قسما وترك فيهم من لم يعطه وهو اعجبهم الي فقلت يا رسول الله ما لك عن
فلان فوالله اني لاراه مومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسلما اقولها ثلثا ويرددها
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا ثم قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافه
ان يكبه الله في النار وفي روايه فضرب بين عنقي وكتفي وقال اقتالا اي سعد فهذا الاسلام
الذي نفى الله عن اهله دخول الايمان في قلوبهم هل هو اسلام يثابون عليه ام هو من جنس
اسلام المنافقين فيه قولان مشهوران للسلف والخلف احدهما انه اسلام
يثابون عليه ويخرجهم من الكفر والنفاق وهذا مروي عن الحسن وابن سيرين وابرهيم
النخعي وابي جعفر الباقر وهو قول حماد ابن زيد واحمد بن حنبل وسهل ابن عبد الله
التستري وابي طالب المكي وكثير من اهل الحديث والسنه والحقايق قال احمد بن حنبل
ثنا مومل عن حماد ابن زيد قال سمعت هشاما يقول كان الحسن ومحمد يقولان مسلم ويهابان مومن
وقال احمد بن حنبل ثنا ابو سلمه الخزاعي قال قال مالك وشريك وابو بكر ابن عياش وعبد
العزيز ابن ابي سلمه وحماد ابن سلمه وحماد ابن زيد الايمان المعرفه والاقرار والعمل
الا ان حماد ابن زيد يفرق بين الاسلام والايمان يجعل الايمان خاصا والاسلام عاما
والقول الثاني ان هذا الاسلام هو الاستسلام خوف السبي والقتل مثل اسلام
المنافقين قالوا وهولاء كفار فان الايمان لم يدخل في قلوبهم ومن لم يدخل الايمان
في قلبه فهو كافر وهذا اختيار البخاري ومحمد بن نصر المروزي والسلف مختلفون
في ذلك قال محمد بن نصر ثنا اسحق انا جرير عن مغيره قال اتيت ابرهيم النخعي فقلت ان
رجلا خاصمني يقال له سعيد العنبري فقال ابرهيم ليس بالعنبري ولكنه زبيدي قوله
قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا فقال هو الاستسلام فقال ابرهيم
لا هو الاسلام وقال ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن يوسف ثنا سفين عن مجاهد قالت الاعراب
امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا قال استسلمنا خوف السبا والقتل ولكن هذا
منقطع



منقطع سفين لم يدرك مجاهدا والذين قالوا ان هذا الاسلام هو كاسلام المنافقين
لا يثابون عليه قالوا لان الله نفى عنهم الايمان ومن نفى الله عنه الايمان فهو كافر
وقال هولاء الاسلام هو الايمان وكل مسلم مومن وكل مومن مسلم ومن جعل الفساق
مومنين مسلمين غير مومنين لزمه ان لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا قمتم الى الصلوه وفي قوله يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاه من يوم الجمعه وامثال
ذلك فانهم انما دعوا باسم الايمان لا باسم الاسلام فمن لم يكن مومنا لم يدخل في ذلك
وجواب هذا ان يقال الذين قالوا من السلف انهم خرجوا من
الايمان الى الاسلام لم يقولوا انه لم يبق معهم من الايمان شي بل هذا قول الخوارج والمعتزله
واهل السنه الذين قالوا هذا يقولون الفساق يخرجون من النار بالشفاعه وان معهم
ايمانا يخرجون به من النار لكن لا يطلق عليهم اسم الايمان لان الايمان المطلق هو الذي
يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنه وهولاء ليسوا من اهله وهم يدخلون في الخطاب
بالايمان لان الخطاب بذلك هو لمن دخل في الايمان وان لم يستكمله فانه انما خوطب
ليفعل تمام الايمان فكيف يكون قد اتمه قبل الخطاب وان كنا قد بينا ان هذا المامور
من الايمان قبل الخطاب وانما صار من الايمان بعد ان امروا به فالخطاب بيا ايها الذين
امنوا غير قوله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله وبطن فان الخطاب بيا ايها الذين امنوا ولا يدخل فيه من
اظهر الايمان وان كان منافقا في الباطن يدخل فيه في الظاهر فكيف لا يدخل فيه من
لم يكن منافقا وان لم يكن من المومنين حقا وحقيقه الامر ان من لم يكن من المومنين حقا يقال
فيه انه مسلم ومعه ايمان يمنعه الخلود في النار وهذا متفق عليه بين اهل السنه لكن هل
يطلق عليه اسم الايمان هذا هو الذي تنازعوا فيه فقيل يقال مسلم ولا يقال مومن وقيل
بل يقال مومن والتحقيق انه يقال انه مومن ناقص الايمان مومن بايمانه فاسق بكبيرته
ولا يعطى الاسم المطلق فان الكتاب والسنه نفى عنه الاسم المطلق واسم الايمان
يتناوله فيما امر الله به ورسوله لان ذلك ايجاب عليه وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزم
غيره وانما الكلام في اسم المدح المطلق وعلى هذا فالخطاب بالايمان يدخل فيه ثلث
طوايف يدخل فيه المومن حقا ويدخل فيه المنافق في احكامه الظاهره وان كانوا

في الاخرة في الدرك الاسفل من النار وهو في الباطن ينفى عنه الاسلام والايمان وفي
الظاهر يثبت له الاسلام والايمان الظاهر ويدخل فيه الذين اسلموا ولم يدخل حقيقة
الايمان في قلوبهم لكن معهم جزء من الايمان والاسلام يثابون عليه ثم قد يكونوا مفرطين
فيما فرض عليهم وليس معهم من الكبائر ما يعاقبون عليه كاهل الكبائر لكن يعاقبون
على ترك المفروضات وهؤلاء كالاعراب المذكورين في الاية وغيرهم فانهم قالوا امنا
من غير قيام منهم بما امروا به باطنا وظاهرا فلا دخلت حقيقة الايمان الى قلوبهم ولا
جاهدوا وقد كان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وقد يكونون من اهل الكبائر
المعرضين للوعيد الذين يصلون ويزكون ويجاهدون ويأتون الكبائر وهؤلاء لا يخرجون
من الاسلام بل هم مسلمون ولكن بينهم نزاع لفظي هل يقال انهم مؤمنون كما سنذكره
ان شاء الله تعالى واما الخوارج والمعتزلة فيخرجونهم من اسم الايمان والاسلام فان الايمان
والاسلام عندهم واحد فاذا خرجوا عندهم من الايمان خرجوا من الاسلام لكن الخوارج
تقول هم كفار والمعتزلة تقول لا مسلمون ولا كفار ينزلونهم منزلة بين المنزلتين
والدليل على ان الاسلام المذكور في الاية هو اسلام يثابون عليه وانهم ليسوا منافقين
انه قال قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم
ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا فدل انهم اذا اطاعوا الله ورسوله
مع هذا الاسلام اجرهم الله على الطاعة والمنافق عمله حابط في الاخرة ايضا فانه وصفهم
بخلاف صفات المنافقين فان المنافقين وصفهم بان في قلوبهم مرض وانهم يبطنون خلاف
ما يظهرون كما قال ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين
يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض
فزادهم الله مرضا الايات وقال اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله
يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فالمنافقون يصفهم في القران
بالكذب وانهم يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وان في قلوبهم من الكفر ما يعاقبون
عليه وهؤلاء لم يصفهم بشيء من ذلك لكن لما ادعوا الايمان قال للرسول قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم
شيئا ونفي الايمان المطلق لا يستلزم ان يكونوا منافقين كما في قوله تعالى يسألونك
عن



عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله
ان كنتم مؤمنين ثم قال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
اولئك هم المؤمنون حقا ومعلوم انه ليس من لم يكن كذلك يكون منافقا من اهل الد رك
الاسفل من النار بل لا يكون قد اتى بالايمان الواجب فنفى عنه كما ينفى سائر الاسماء
عمن ترك بعض ما يجب فيها فكذلك الاعراب لم ياتوا بالايمان الواجب فنفى عنهم لذلك
وان كانوا مسلمين معهم من الايمان ما يثابون عليه وهذا حال اكثر الداخلين في الا سلام
ابتدا بل حال اكثر من لم يعرف حقايق الايمان فان الرجل اذا قوتل حتى اسلم كما كان
الكفار يقاتلون حتى يسلموا او اسلم بعد الاسر او سمع بالاسلام فجاء فاسلم فانه مسلم
ملتزم طاعة الرسول ولم يدخل الى قلبه المعرفة بحقايق الايمان فان هذا انما يحصل
لمن تيسر له اسباب ذلك اما بفهم القران واما بمباشرة اهل الايمان واما بهداية
خاصة من الله يهديه بها والانسان قد يظهر له من محاسن الاسلام ما يدعوه الى الدخول
فيه وان كان قد ولد عليه وتربى بين اهله فانه يحبه وقد ظهر له بعض محاسنه وبعض
مساوي الكفار ولهذا من هؤلاء قد يرتاب اذا سمع الشبهة القادحة فيه ولا يجاهد في
سبيل الله فليس هو داخلا في قوله انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وليس هو منافقا في الباطن يضمر الكفر فلا
هو من المؤمنين حقا ولا هو من المنافقين ولا هو ايضا من اصحاب الكبائر بل ياتي بالطاعات
الظاهرة ولا ياتي بحقائق الايمان التي يكون بها من المؤمنين حقا فهذا معه ايمان وليس
هو من المؤمنين حقا ويثاب على ما فعل من الطاعات ولهذا قال تعالى لهم ولكن قولوا الله صح
اسلمنا ولهذا قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين يعني في قوله امنا يقول ان كنتم صادقين فالله يمن عليكم
ان هداكم للايمان وهذا يقتضي انهم قد يكونون صادقين في قولهم امنا ثم صدقهم اما
ان يراد به اتصافهم بانهم امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله اولئك هم الصادقون واما ان يراد به انهم لم يكونوا كالمنافقين بل معهم
ايمان وان لم يكن لهم ان يدعوا مطلق الايمان وهذا اشبه والله اعلم لان التسو المتخنا

قال فيهن فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا يمكن نفي الريب عنهم عنهم صح
في المستقبل ولان الله انما اثبت الايمان لمن لم يرتب غيرهم وهولاء لم يرتب بهم ولكن
قال لم تومنوا كما قال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وقوله لا يزني
الزاني حين يزني وهو مومن ولا يومن من لا يامن جاره بوايقه وهولا ليسوا منافقين
وسياق الايه يدل على ان الله ذمهم لكونهم منوا باسلامهم وجفايهم واظهروا
ما في انفسهم مع علم الله به فان الله قال اتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في
الارض فلو لم يكن في قلوبهم شي من الدين لم يكونوا يعلمون الله بدينهم فان الاسلام
الظاهر يعرفه كل احد ودخلت الباء في قوله اتعلمون الله لانه ضمن معنى تخبرون
وتحدثون كانه قال اتخبرونه وتحدثونه بدينكم وهو يعلم ما في السموات وما في الارض وسياق بدينكم صح
الايه يدل على ان الذين اخبروا به الله هو ما خلق عنهم من قولهم امنا فانهم اخبروا بما في اظنه الذي
قلوبهم وقد ذكر المفسرون انه لما نزلت هاتان الايتان اتوا رسول الله يحلفون انهم
مومنون صادقون فنزل قوله قل اتعلمون الله بدينكم وهذا يدل على انهم كانوا صادقين
اولا في دعواهم في الدين لانه لم يكذبهم بعد نزول الايه جهادا حتى يدخلوا في الايه
انما هولا قالوا وهو سبحانه قال ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولفظ لما ينفي به ما يقرب
حصوله ويحصل غالبا كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم وقد قال السدي نزلت هذه الايه في اعراب مزينه وجهينه واسلم واشجع وغفار
وهم الذين ذكرهم الله في سورة الفتح وكانوا يقولون امنا بالله لنامنوا على انفسهم فلما استنفروا
الى الحديبيه تخلفوا فنزلت فيهم هذه الايه وعن مقاتل كانت منازلهم بين مكه والمدينه
وكانت اذا مرت بهم سريه من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا امنا ليامنوا
على دمايهم واموالهم فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبيه استنفرهم
فلم ينفروا معه وقال مجاهد نزلت في اعراب بني اسد ابن خزيمه ووصف غيره حالهم
فقال قدموا المدينه في سنه مجدبه فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مومنين وافسدوا
طرق المدينه بالعذرات واغلوا اسعارهم وكانوا يمنون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقولون اتيناك بالاثقال والعيال ونزلت فيهم هذه الايه وقد قال تعالى قتاده في
قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
ان



ان كنتم صادقين قال منوا على النبي صلى الله عليه وسلم حين جاوا فقالوا انا اسلمنا بغير قتال
لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان فقال الله تعالى لنبيه يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وقد قال تعالى مقاتل ابن
حيان هم اعراب بني اسد ابن خزيمه قالوا يا رسول الله اتيناك بغير قتال وتركنا العشاير
والاموال وكل قبيله من العرب قاتلتك حتى دخلوا كرها في الاسلام فلنا بذلك عليك
حق فانزل الله يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايما ن
ان كنتم صادقين فله بذلك المن عليكم وفيهم انزل ولا تبطلوا اعمالكم ونقل من الكتاب
التي جمعت اثار كل موجه من كلها وما علمها لم يسب منها وهذا كله يبين انهم لم يكونوا
كفارا في الباطن ولا كانوا قد دخلوا فيما يجب من الايمان وسورة الحجرات قد ذكرت هذه الا صناف
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولم يصفهم بكفر ولا نفاق
لكن هولا يخشى عليهم الكفر والنفاق ولهذا ارتد بعضهم لانهم لم يخالط الايمان بشاشه
قلوبهم وقال بعد ذلك يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا وهذه الايه نزلت
في الوليد بن عقبه وكان قد كذب فيما اخبر قال المفسرون نزلت هذه الايه في الوليد
ابن عقبه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق لقبض صدقاتهم وقد
كانت بينه وبينهم عداوه في الجاهليه فسار بعض الطريق ثم رجع فقال انهم منعوا
الصدقه وارادوا قتلي فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث اليهم فنزلت هذه
الايه وهذه القصه معروفه من وجوه لكن ثم قال في تمامها واعلموا ان فيكم رسول
الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وقال وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما فان بغت احداهما على الاخرى الايه ثم نهاهم عن ان يسخر بعضهم ببعض وعن
اللمز والتنابز بالالقاب وقال بيس الاسم الفسوق بعد الايمان وقد قيل معناه لا
تسميه فاسقا ولا كافرا بعد ايمانه وهذا ضعيف بل المراد بيس الاسم ان يكونوا فساقا
بعد ايمانهم كما قال في الذي كذب ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا فسماه فاسقا وفي الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر يقول فاذا
سابيتم المسلم وسخرتم منه ولمزتموه استحققتم ان تسموا فساقا وقد قال في ايه
القذف ولا تقبلوا لهم شهاده ابدا واوليك هم الفاسقون يقول فاذا اتيتم بهذه

الامور التي يستحقون بها ان يسموا فساقا لم قد استحققتم اسم الفسوق بعد
الايمان والا فهم في تنابزهم ما كانوا يقولون فاسق كافر فان النبي صلى الله عليه وسلم
قدم المدينة وبعضهم يلقب بعضا وقد قال طائفة من المفسرين في هذه الاية لا تسميه
بعد الاسلام بدينه قبل الاسلام لقوله لليهودي اذا اسلم يا يهودي وهذا مروي عن
ابن عباس وطائفة من التابعين كالحسن وسعيد بن جبير وعطا الخراساني والقرظي
وقال عكرمة هو قول الرجل يا كافر يا منافق وقال عبد الرحمن بن زيد هو تسميته بالاعمال
كقوله يا زاني يا سارق يا فاسق وفي تفسير العوفي عن ابن عباس قال هو تعيير التائب
بسيئات كان قد عملها ومعلوم ان اسم الكفر واليهودية والزاني والسارق وغير ذلك
من السيئات ليست هي اسم الفاسق فعلم ان قوله بئس الاسم الفسوق لم يرد به تسميه
المسبوب باسم الفاسق فان تسميته كافرا اعظم بل ان الساب يصير فاسقا كقوله
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ثم قال ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فجعلهم ظالمين
اذا لم يتوبوا من ذلك وان كانوا يدخلون في اسم المومنين ثم ذكر النهي عن الغيبة ثم
ذكر النهي عن التفاخر بالاحساب وقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم ذكر قول الاعراب
امنا فالسورة نهي عن هذه المعاصي والذنوب التي فيها تعد على الرسول وعلى المومنين الباقين
فالاعراب المذكورون فيها من جنس اهل السباب والفسوق والمنادين من وراء
الحجرات وامثالهم ليسوا من المنافقين ولهذا قال المفسرون انهم الذين استنفروا
عام الحديبية واولئك وان كانوا من اهل الكبائر فلم يكونوا في الباطن كفارا منافقين قال
ابن اسحق لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة عمرة الحديبية استنفر من حول
المدينة من اهل البوادي والاعراب ليخرجوا معه حذرا من قومه ان يعرضوا له
بحرب او بصد فتثاقل عنه كثير منهم فهم الذين عنى الله بقوله سيقول لك المخلفون
من الاعراب شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا اي ادع الله ان يغفر لنا تخلفنا عنك
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ما يبالون استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
وهذا حال الفاسق الذي لا يبالي بالذنب والمنافقون قال فيهم واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ولم يقل مثل هذا في هولاء

الاعراب

بلغ



الاعراب بل الاية دليل على انهم لو صدقوا في طلب الاستغفار نفعهم استغفار الرسول
ثم قال ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا
يوتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما فوعدهم بالثواب
على طاعة الداعي الى الجهاد وتوعدهم بالتولي عن طاعته وهذا الخطاب انما هو
من اهل الذنوب والكبائر بخلاف من هو كافر في الباطن فانه لا يستحق الثواب بمجرد
طاعة الامر حتى يومن اولا ووعيده ليس على مجرد توليه عن الطاعة في الجهاد فان
كفره اعظم من هذا فهذا كله يدل على ان هولاء من فساق الملة فان الفسق يكون
تارة بترك الفرائض وتارة بفعل المحرمات وهولاء لما تركوا ما فرضه الله عليهم من الجهاد
وحصل عندهم نوع من الريب الذي ضعف ايمانهم لم يكونوا من الصادقين الذين
وصفهم وان كانوا صادقين في انهم في الباطن متدينون بدين الاسلام وقول المفسر
لم يكونوا مومنين نفي لما نفاه الله عنهم من الايمان كما نفاه عن الزاني والسارق والشارب
وعمن لا يامن جاره بوائقه وعمن لا يحب لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وعمن لا يجيب الى
حكم الله ورسوله وامثال هولاء وقد يحتج على قول ذلك بقوله بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان كما قال سباب المسلم فسوق وقتاله كفر فقد يستدل باسم
الفسوق بعد الايمان فدل على ان الفاسق لا يسمى مومنا فدل ذلك على ان هولاء الاعراب
من جنس اهل الكبائر لا من جنس المنافقين واما ما نقل من انهم اسلموا خوف القتل والسبا
فهكذا كان اسلام غير المهاجرين والانصار اسلموا رغبة او رهبة كاسلام الطلقاء من
قريش بعد ان قهرهم النبي صلى الله عليه وسلم واسلام المولفة قلوبهم من هولاء من
اهل نجد وليس كل من اسلم لرغبة او رهبة كان من المنافقين الذين هم في الدرك
الاسفل من النار بل يدخلون في الاسلام والطاعة وليس في قلوبهم تكذيب ومعاداه
للرسول ولا استنارت قلوبهم بنور الايمان واستبصروا فيه وهولاء قد يحسن اسلام
احدهم فيصير من المومنين كاكثر الطلقاء وقد يبقى من فساق الملة ومنهم من يصير
منافقا مرتابا اذا قال له منكر ونكير ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول اه اه
لا ادري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته وقد تقدم قول من قال انهم اسلموا بغير
قتال فهولاء كانوا احسن اسلاما من غيرهم وان الله انما ذمهم لكونهم منوا بالاسلام واثر

وانزل فيهم ولا تبطلوا اعمالكم وانهم من جنس اهل الكبائر وايضا فقوله ولكن قولوا
اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولما انما ينفى بها ما ينتظر ويكون حصوله مترقبا
كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقوله
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين من قبلكم فقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم
يدل على ان دخول الايمان منتظر منهم فان الذي يدخل في الاسلام ابتداء لا يكون قد
حصل في قلبه الايمان لكنه يحصل فيما بعد كما في الحديث كان الرجل يسلم اول النهار رغبة
في الدنيا فلا يجي اخر النهار الا والاسلام احب اليه مما طلعت عليه الشمس ولهذا كان عامة
الذين اسلموا رغبة ورهبة دخل الايمان الى قلوبهم بعد ذلك وقوله ولكن قولوا
اسلمنا امر لهم بان يقولوا ذلك والمنافق لا يومر بشي ثم قال وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم
من اعمالكم شيئا والمنافق لا ينفعه طاعة الله ورسوله حتى يومن اولا وهذه الاية مما احتج
بها احمد بن حنبل وغيره على انه يستثنى في الايمان دون الاسلام وان اصحاب الكبائر يخرجون
من الايمان الى الاسلام قال الميموني سالت احمد بن حنبل عن رايه في مومن ان شاء الله فقال
اقول مومن ان شاء الله واقول مسلم ولا استثنى قال قلت لاحمد يفرق بين الاسلام والايمان
فقال لي نعم قلت له باي شي تحتج قال لي قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
وذكر اشيا وقال الشالنجي سالت احمد عمن قال انا مومن عند نفسي من طريق
الاحكام والمواريث ولا اعلم ما انا عند الله قال ليس بمرجى وقال ابو ايوب سليمان بن
داود الهاشمي الاستثناء احب الي ومن قال انا مومن ولم يقل عند الله ولم يستثن فذلك
عندي جائز وليس بمرجى وبه قال ابو خيثمة وابن ابي شيبة وذكر الشالنجي انه سال احمد
بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها بجهده اي يطلب الذنب بجهده الا انه لم يترك الصلوة
والزكوة والصوم هل يكون مصرا من كانت هذه حاله قال هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني
حين يزني وهو مومن يخرج من الايمان ويقع في الاسلام ونحو قوله ولا يشرب الخمر حين
يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق وهو مومن ونحو قول ابن عباس في قوله
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون فقلت له ما هذا الكفر فقال كفر لا
ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك الكفر حتى يجي من ذلك امر لا
يختلف فيه وقال ابن ابي شيبة لا يزني حين يزني وهو مومن لا يكون مستكمل الايمان
يكون



يكون ناقص ايمانه قال الشالنجي وسالت احمد عن الايمان والاسلام فقال الايمان
قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال ابو خيثمة وقال ابن ابي شيبة لا يكون اسلام
الا بايمان ولا ايمان الا باسلام واذا كان على المخاطبة فقال قد قبلت الايمان فهو داخل
الاسلام واذا قال قد قبلت الاسلام فهو داخل في الايمان وقال محمد بن نصر المروزي
وحكى غير واحد من هولاء انه سال احمد بن حنبل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني
الزاني حين يزني وهو مومن قال من اتى هذه الاربعة او مثلهن او فوقهن فهو مسلم ولا
اسميه مومنا ومن اتى دون ذلك يريد دون الكبائر سميته مومنا ناقص الايمان قلت
احمد بن حنبل كان يقول تارة بهذا الفرق وتارة كان يذكر الاختلاف ويتوقف وهو
المتاخر عنه قال ابو بكر الاثرم في السنة سمعت ابا عبد الله يسال عن الاستثناء في الايمان
ما تقول فيه فقال اما انا فلا اعيبه اي من الناس من يعيبه قال ابو عبد الله اذا كان
يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص فاستثنى مخافة واحتياطا ليس كما يقولون
على الشك انما يستثنى للعمل فقال ابو عبد الله قال الله تعالى لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين اي ان هذا استثناء بغير شك وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا ان
شاء الله بكم لاحقون اي لم يكن يشك في هذا وقد استثنى وذكر قول النبي صلى الله عليه
وسلم وعليها نبعث ان شاء الله يعني من القبر وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجوا
ان اكون اخشاكم لله قال هذا كله تقوية للاستثناء في الايمان قلت لابي عبد الله وكانك
لا ترى باسا ان لا يستثنى فقال اذا كان ممن يقول الايمان قول وعمل يزيد وينقص
فهو اسهل عندي ثم قال ابو عبد الله ان قوما تضعف قلوبهم عن الاستثناء كالمتعجب
منهم وسمعت ابا عبد الله وقيل له شبابة اي شي يقول فيه فقال شبابة كان يدعو
الى الارجاء قال وحكى عن شبابة قول اخبث من هذه الاقاويل ما سمعت عن احد بمثله قال
ابو عبد الله قال شبابة اذا قال فقد عمل بلسانه كما يقولون فاذا قال فقد عمل بلسانه كما
يقولون فاذا قال فقد عمل بجارحته اي بلسانه حين تكلم به ثم قال ابو عبد الله هذا قول
خبيث ما سمعت احدا يقول به ولا بلغني قيل لابي عبد الله كتبت عن شبابة شيئا قال
فقال نعم كتبت عنه قديما يسيرا قبل ان نعلم انه يقول بهذا قلت لابي عبد الله كتبت
عنه قال لا ولا حرف قيل لابي عبد الله يزعمون ان سفيان كان يذهب الى الاستثناء في

الايمان فقال هذا مذهب سفين المعروف به الاستثناء قلت لابي عبد الله من يرويه
عن سفين فقال كل من حكى عن سفين في هذا حكاية كان يستثنى قال وقال وكيع
عن سفين الناس عندنا مؤمنون في الاحكام والمواريث ولا ندري ما هم عند الله قلت
لابي عبد الله فانت اي شي تقول قال فقال نحن نذهب الى الاستثناء قلت لابي عبد الله فاما
اذا قال انا مسلم فلا يستثنى فقال نعم لا يستثنى اذا قال انا مسلم قلت لابي عبد الله اقول
هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وانا اعلم انه
لا يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل
قال ابو عبد الله حدثناه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قيل لابي عبد الله فنقول الايمان
يزيد وينقص فقال حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ذلك يدل قوله اخرجوا من كان
في قلبه مثقال لذا اخرجوا من كان في قلبه مثقال لذى فهو يدل على ذاك وذكر عند
ابي عبد الله عيسى الاحمر وقوله في الارجاء فقال نعم ذاك حيث القول يقولان ثم
ويقال مؤمن قلت لابي عبد الله رواه غير سويد قال ما علمت بذاك وسمعت ابا عبد الله
يقول الايمان قول وعمل قلت لابي عبد الله فالحديث الذي يروى اعتقها فانها مؤمنة
قال ليس كل احد يقول انها مؤمنة يقولون اعتقها قال ومالك سمعه من هذا الشيخ هلال ابن
علي لا يقول فانها مؤمنة قال وقد قال بعضهم بانها مؤمنة فهو حين يقر بذاك وصح
فحكمها حكم المؤمنة هذا معناه قلت لابي عبد الله تفرق بين الايمان والاسلام فقال قد اختلف
الناس فيه وكان حماد بن زيد يفرق بين الايمان والاسلام قيل له من المرجئة قال
الذين يقولون قول بلا عمل قلت فاحمد بن حنبل لم يرد قط انه سلب جميع الايمان فلم يبق الايمان صح
معه شي منه كما تقوله الخوارج والمعتزلة فانه قد صرح في غير موضع بان اهل الكبائر
معهم ايمان يخرجون به من النار واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وليس هذا قوله ولا قول احد من ائمة
اهل السنة بل كلهم متفقون على ان الفساق الذين ليسوا منافقين معهم شي من الايمان
يخرجون به من النار هو الفارق بينهم وبين الكفار والمنافقين لكن اذا كان معهم
بعض الايمان لم يلزم ان يدخلوا في الاسم المطلق الممدوح وصاحب الشرع قد نفى الاسم
عن هولاء فقال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقال لا يؤمن احد لم يحب
لاخيه

وقال ابو عبد الله [illegible]



لاخيه من الخير ما يحب لنفسه وقال لا يؤمن من لا يامن جاره بوائقه واقسم على ذلك
مرات وقال المؤمن من امنه الناس على دمائهم واموالهم والمعتزلة يقولون ينفون
عنه اسم الايمان بالكلية واسم الاسلام ايضا ويقولون ليس معه شي من الايمان والا سلام
ويقولون ينزل له بين منزلتين فهم يقولون انه مخلد في النار لا يخرج منها بالشفاعة
وهذا هو الذي انكر عليهم والا لو نفوا مطلق الاسم واثبتوا معه شيئا من الايمان يخرج
به من النار لم يكونوا مبتدعة وكل اهل السنة متفقون على انه قد سلب كمال الايمان
الواجب فزال بعض ايمانه الواجب لكنه من اهل الوعيد وانما النزاع في ذلك من يقول
الايمان لا يتبعض من الجهمية والمرجئة فيقولون انه كامل الايمان فالذي ينفي اطلاق
الاسم يقول الاسم المطلق مقرون بالمدح واستحقاق الثواب لقولنا متقي وبر وعلى
الصراط المستقيم فاذا كان الفاسق لا يطلق عليه هذه الاسماء فكذلك اسم الايمان
واما دخوله في الخطاب فلان المخاطب باسم الايمان كل من معه شي منه لانه امر لهم
فمعاصيهم لا تسقط عنهم الامر واما ما ذكره احمد في الاسلام فاتبع فيه الزهري حيث
قال فكانوا يرون الاسلام الكلمة والايمان العمل في حديث سعد بن ابي وقاص وهذا
على وجهين فانه قد يراد به الكلمة بتوابعها من الاعمال الظاهرة وهذا هو الاسلام
الذي بينه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت وقد يراد
الكلمة فقط من غير فعل الواجبات الظاهرة وليس هذا هو الذي جعله النبي صلى
الله عليه وسلم الاسلام لكن قد يقال اسلام الاعراب كان من هذا فيقال الاعراب
وغيرهم كانوا اذا اسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الزموا بالاعمال الظاهرة الصلاة
والزكوة والصيام والحج ولم يكن احد يترك بمجرد الكلمة بل كان من اظهر المعصية يعاقب
عليها واحمد ان كان اراد في هذه الرواية ان الاسلام هو الشهادتان فقط فكل
من قالها فهو مسلم فهذه احدى الروايات عنه والرواية الاخرى لا يكون مسلما
حتى ياتي بها ويصلي فاذا لم يصل كان كافرا والثالثة انه كافر بترك الزكاة ايضا
والرابعة انه يكفر بترك الزكوة اذا قاتل الامام عليها دون ما اذا لم يقاتله وعنه انه
لو قال انا اؤديها ولا ادفعها الى الامام لم يكن للامام ان يقتله وكذلك عنه رواية انه

يكفر بترك الصيام والحج اذا عزم انه لا يحج ابدا ومعلوم انه على القول بكفر تارك
المباني يمتنع ان يكون الاسلام مجرد الكلمة بل المراد انه اذا اتى بالكلمة دخل في
الاسلام وهذا صحيح فانه يشهد له بالاسلام ولا يشهد له بالايمان الذي في القلب
ولا يستثنى في هذا الاسلام لانه امر مشهود لكن الاسلام الذي هو اداء الخمس كما
امر به يقبل الاستثنا فالاسلام الذي لا يستثنى فيه الشهادتان باللسان فقط
فانها لا تزيد ولا تنقص فلا استثنا فيه وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلثه
اقوال قيل هو الايمان وهما اسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذان القولان
لهما وجه سنذكره لكن التحقيق ابتدا هو ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لما سيل عن
الاسلام والايمان ففسر الاسلام بالاعمال الظاهرة والايمان بالايمان بالاصول
الخمسة فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان ان نجيب بغير ما اجاب به النبي
صلى الله عليه وسلم واما اذا افرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا افرد الاسلام
فقد يكون مع الاسلام مومنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل يكون مسلما ولا يقال له
مومن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الاسلام للايمان هذا فيه النزاع
المذكور وسنبينه والوعد الذي في القران بالجنة وبالنجاة من العذاب انما هو
معلق باسم الايمان واما اسم الاسلام مجردا فما علق به القران دخول الجنة
لكنه فرضه واخبر بانه دينه الذي لا يقبل من احد سواه وبالاسلام بعث الله جميع
النبيين قال الله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من
الخاسرين وقال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال نوح يا قوم ان كان كبر
عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان
اجري الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين وقد اخبر انه لم ينج من العذاب الا المومنين
فقال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن امن وما
امن معه الا قليل وقال واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقال
نوح وما انا بطارد المومنين الذين امنوا وكذلك اخبر عن ابرهيم ان دينه الاسلام
فقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه

في



في الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابرهيم
بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون وقال ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ٥
فمجموع هذين الوصفين علق السعادة فقال بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره
عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما علقه بالايمان باليوم الاخر والعمل الصالح
في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا
يدل على ان الاسلام الذي هو اخلاص الدين لله مع الاحسان وهو العمل الصالح الذي
امر الله به هو والايمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان فان الوعد على الوصفين
وعد واحد وهو الثواب وانتفا العقاب فان انتفا الخوف عليه يقتضي انتفا ما يخافه
ولهذا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان
كانوا يخافون الله ونفا عنهم ان يحزنوا لان الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون
بحال لا في القبر ولا في عرصات القيمة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة
ولا خوف عليهم في الباطن كما قال تعالى الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون واما الاسلام المطلق المجرد فليس في كتاب الله تعليق دخول
الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالايمان المطلق المجرد لقوله سابقوا الى
مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للذين امنوا بالله ورسله ٥
وقال وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقد وصف الخليل ومن معه
بالايمان لقوله فامن له لوط ووصفه بذلك فقال فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم
تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وقال تعالى
وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ووصفه باعلى طبقات الايمان وهو افضل البرية
بعد محمد صلى الله عليه وسلم والخليل انما دعا بالرزق للمومنين خاصة فقال وارزق اهله
من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر وقال واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين بعد قوله
فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملايهم ان يفتنهم وقال

واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا
الصلوة وبشر المومنين وقد ذكر البشرى المطلقة للمومنين في قوله ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شى وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين وقد وصف الله السحرة بالاسلام
والايمان معا فقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون وقالوا وما تنقم منا الا ان
امنا بايات ربنا لما جاتنا وقالوا انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين ربنا
افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ووصف انبيا بنى اسرايل بالاسلام في قوله انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون موصوف
ووصف الحواريين بالاسلام والايمان فقال تعالى واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بى
وبرسولى قالوا امنا واشهد باننا مسلمون وحقيقة الفـــــــرق ان الاسلام
دين والدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل ودين الاسلام الذى ارتضاه الله
وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فاصله فى القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته
وحده دون ما سواه فمن عبده وعبد معه الها اخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن
عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا
قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالاسلام فى الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح
واما الايمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب
والاصل فيه التصديق والعمل تابع له فلهذا فسر النبى صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان مخصوص
وهو الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله وفسر الاسلام باستسلام مخصوص وهو المبانى
الخمس وهكذا فى سائر كلامه صلى الله عليه وسلم يفسر الايمان بذلك النوع ويفسر الاسلام
بهذا وذاك النوع اعلا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان فى القلب فان
الاعمال الظاهرة يراها الناس واما فى القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجا
فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل على الا اذا كان ملزوما فلهذا كان
من لوازمه ما يفعله المومن والمنافق فلا يدل فغى حديث
عبد الله ابن عمرو وابى هريرة جميعا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده والمومن من امنه الناس على دمايهم واموالهم ففسر المسلم بامر ظاهر
وهو سلامة الناس منه وفسر المومن بامر باطن وهو ان يامنوه على دمايهم واموالهم
وهذه



وهذه الصفة اعلا من تلك فان من كان مامونا سلم الناس منه وليس كل من سلموا
منه يكون مامونا فقد يترك اذاهم وهم لا يامنون اليه خوفا ان يكون ترك اذاهم
لرغبة ورهبة لا لايمان فى قلبه وفى حديث ابن عمير عن عمرو ابن عبسة عن النبى صلى الله عليه
وسلم ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما الاسلام قال اطعام الطعام ولين الكلام
قال فما الايمان قال السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الانسان لمقاصد
متعددة واما السماحة والصبر فخلقان فى النفس قال تعالى وتواصوا بالصبر وتواصوا
بالمرحمة وهذا اعلى من ذاك وهو ان يكون صبارا شكورا فيه سماحة بالرحمة للانسان
وصبر على المكاره وهذا ضد الذى خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا فان ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة ولا صبر عند المصيبة وتمام الحديث فاى الا
افضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال يا رسول الله اى المومنين اكمل ايمانا قال
احسنهم خلقا قال يا رسول الله فاى الجهاد افضل قال الذين جاهدوا باموالهم وانفسهم
فى سبيل الله قال يا رسول الله فاى الصدقة افضل قال جهد المقل قال يا رسول الله فاى الصلوة
افضل قال طول القنوت قال يا رسول الله فاى الهجرة افضل قال من هجر السيات السوء وهذا
محفوظ عن عبيد ابن عمير تارة يروى مرسلا وتارة مسندا وفى رواية اى الساعات افضل
قال جوف الليل الغابر وقوله افضل الايمان السماحة والصبر يروى من وجه اخر عن جابر
عن النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا فى سائر الاحاديث انما يفسر الاسلام بالاستسلام لله بالقلب
مع الاعمال الظاهرة كما فى الحديث المعروف الذى رواه احمد عن بهز ابن حكيم عن ابيه عن
جده انه قال والله يا رسول الله ما اتيتك حتى حلفت عدد اصابعى هذه الا اتيتك فبالذى بعثك
بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال وما الاسلام قال ان تسلم قلبك لله وان توجه وجهك الى
الله تعالى وان تصلى الصلوات المكتوبة وتودى الزكاة المفروضة اخوان نصيران لا يقبل
الله من عبد اشرك بعد اسلامه وفى رواية قال ان تقول اسلمت وجهى لله وتخليت وتقيم
الصلاة وتوتى الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم وفى لفظ تقول اسلمت نفسى لله وخليت وجهى
الله وروى محمد ابن نصر من حديث خالد ابن معدان عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان للاسلام صوى ومنارا كمنار الطريق من ذلك ان تعبد الله ولا تشرك
به شيا وان تقيم الصلوة وتوتى الزكوة وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر

عبيد بن عمير … قال رسول الله [illegible]
قال يا رسول الله اى العمل اشرف … سلام
[illegible] الصلاة

وتسلم على بني ادم اذا لقيتهم فان ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملايكه وان لم يردوا عليك ردت عليك الملايكه ولعنتهم ان سكتت عنهم وتسليمك على اهل بيتك اذا دخلت عليهم فمن انتقص منهن شيا فهو سهم في الاسلام تركه ومن تركهن فقد نبذ الاسلام وراء ظهره وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة قال مجاهد وقتادة نزلت في المسلمين يامرهم بالدخول في شرايع الاسلام كلها وهذا لا ينافي قول من قال نزلت فيمن اسلم من اهل الكتاب او فيمن لم يسلم لان هولا كلهم مامورون ان يدخلوا في السلم كله والجمهور يقولون في السلم اي في الاسلام وقالت طايفة هو الطاعة وكلاهما ماثور عن ابن عباس وكلاهما حق فان الاسلام هو الطاعة كما تقدم انه من باب الاعمال واما قوله كافة فقد قيل المراد ادخلوا كلكم وقيل المراد به ادخلوا في الاسلام جميعه جميعه وهذا هو الصحيح فان الانسان لا يومر بعمل غيره وانما يومر بما يقدر عليه وقوله ادخلوا خطاب لهم كلهم فقوله كافة ان اريد به مجتمعين لزم ان يترك الانسان الاسلام حتى يسلم غيره فلا يكون الاسلام مامورا به الا بشرط موافقة كالجمعة والعيد له كالجمعة وهذا لا يقوله مسلم وان اريد بكافة اي ادخلوا جميعكم فكل اوامر القران كقوله امنوا بالله ورسوله واقيموا الصلوة واتوا الزكاة كلها من هذا الباب وما قيل فيها كافة وقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة اي قاتلوهم كلهم لا تدعوا مشركا حتى تقاتلوه فانها انزلت بعد نبذ العهود ليس المراد قاتلوهم مجتمعين او جميعكم فان هذا لا يجب بل تقاتلون بحسب المصلحة والجهاد فرض على الكفاية فاذا كانت فرايض الاعيان لم تؤكد المامورين فيها بكافة فكيف يوكد بذلك في فروض الكفاية وانما المقصود تعميم المقاتلين وقوله كما يقاتلونكم كافة اختلاف والمقصود ان الله تعالى امر بالدخول في جميع الاسلام كما دل عليه هذا الحديث فكل ما كان من الاسلام وجب الدخول فيه فان كان واجبا على الاعيان لزم فعله وان كان واجبا على الكفاية اعتقد وجوبه وعزم عليه اذا تعين او اخذ بالفضل ففعله وان كان مستحبا اعتقد حسنه واحب فعله وفي حديث جرير ان رجلا قال يا رسول الله صف لي الاسلام قال تشهد ان لا اله الا الله وتقر بما جا من عند الله وتقيم الصلوة وتوتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت قال اقررت وفي قصة طويلة فيها انه وقع في اخاقيق جرذان وانه قتل

وكان



قال وكان نجا بنا وملكان تسدان بديسان في شدقه من ثمار الجنه فقوله وتقر بما جا من عند الله هو الاقرار بان محمدا رسول الله فانه هو الذي جا بذلك وفي الحديث الذي يرويه ابو سليمان الداراني حديث الوفد الذين قالوا نحن المومنون قال فما علامة ايمانكم قالوا خمس عشرة خصله خمس امرتنا رسلك ان نعمل بهن وخمس امرتنا رسلك ان نومن بها وخمس تخلقنا بها في الجاهليه ونحن عليها في الاسلام الا ان تكره منها شيا قال فما الخمس التي امرتكم رسلي ان تعملوا بها قالوا ان نشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ونقيم الصلوة ونوتي الزكوه ونصوم رمضان ونحج البيت قال وما الخمس التي امرتكم ان تومنوا بها قالوا امرتنا ان نومن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية وثبتم عليها في الاسلام قالوا الصبر عند المصيبة لبلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضا والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء قال وانا امركم بخمس لا تجمعوا ما لا تاكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما انتم عنه منقلبون مستقلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون فقد فرقوا بين الخمس التي يعمل بها فجعلوها الاسلام والخمس التي يومن بها فجعلوها الايمان وجميع الاحاديث الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على مثل هذا وفي الحديث الذي رواه احمد من حديث ابي قلابة عن رجل من اهل الشام عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اسلم تسلم قال وما الاسلام قال ان يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك قال فاي الاسلام افضل قال الايمان قال وما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فاي الايمان افضل قال الهجرة قال وما الهجرة قال ان تهجر السو قال فاي الهجرة افضل قال الجهاد قال وما الجهاد قال ان تجاهد الكفار اذا لقيتهم ولا تغل ولا تجبن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عملان هما افضل الاعمال الا من عمل بمثلهما قالها ثلاثا حجة مبرورة او عمرة وقوله هما افضل الاعمال اي بعد الجهاد لقوله ثم عملان ففي هذا الحديث جعل الايمان خصوصا في الاسلام والاسلام اعم منه كما جعل الهجرة خصوصا في الايمان والايمان اعم منه وجعل الجهاد خصوصا من الهجرة والمهاجر اعم منه فالاسلام ان تعبد الله وحده مخلصا له الدين وهذا دين الله الذي لا يقبل من احد غيره لا من الاولين ولا من الاخرين ولا تكون عبادته مع

ارسال الرسل الينا الا بما امرت به رسله لا بما يضاد ذلك فان ضد ذلك معصية وقد
ختم الله الرسل بمحمد فلا يكون مسلما الا من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
وهذه الكلمة بها يدخل الانسان في الاسلام فمن قال الاسلام الكلمة واراد هذا فقد صدق
ثم لا بد من التزام ما امر به الرسول من الاعمال الظاهرة كالمباني الخمس ومن ترك من
ذلك شيئا نقص اسلامه بقدر ما نقص من ذلك كما في الحديث من انتقص منهن شيئا فهو
سهم من الاسلام تركه وهذه الاعمال اذا عملها الانسان مخلصا لله تعالى فانه يثيبه
عليها ولا يكون ذلك الا مع اقراره بقلبه ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيكون معه
من الايمان هذا الاقرار وهذا الاقرار لا يستلزم ان يكون صاحبه معه من اليقين ما لا
يقبل الريب ولا ان يكون مجاهدا ولا سائر ما يتميز به المؤمن عن المسلم الذي ليس بمؤمن
وحينئذ كثير من المسلمين باطنا وظاهرا معهم هذا الاسلام بلوازمه من الايمان ولم يصلوا
الى اليقين والجهاد فهؤلاء يثابون على اسلامهم واقرارهم بالرسول مجملا وقد لا يعرفون
انه جاء بكتاب وقد لا يعرفون انه جاء بملك ولا انه اخبر بكذا او اذا لم يبلغهم ان الرسول
اخبر بذلك لم يكن عليهم الاقرار المفصل به لكن لا بد من الاقرار بانه رسول الله وانه
صادق في كل ما يخبر به عن الله ثم الايمان الذي يثابون به فيه تفصيل وفيه طمأنينة
ويقين فهذا متميز بصفته وقدره في الكمية والكيفية فان اولئك معهم من الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله وتفصيل المعاد والقدر ما لا يعرفه هؤلاء وايضا ففي قلوبهم من اليقين
والثبات ولزوم التصديق لقلوبهم ما ليس مع هؤلاء واولئك هم المؤمنون حقا وكل
مؤمن لا بد ان يكون مسلما فان الايمان يستلزم الاعمال وليس كل مسلم مؤمنا هذا الايمان
المطلق لان الاستسلام لله والعمل له لا يتوقف على هذا الايمان الخاص وهذا الفرق
يجده الانسان من نفسه ويعرفه من غيره فعامة الناس اذا اسلموا بعد كفر او ولدوا
على الاسلام والتزموا شرائعه وكانوا من اهل الطاعة لله ورسوله وهم مسلمون
ومعهم ايمان مجمل ولكن دخول حقيقة الايمان الى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا ان اعطاهم
الله ذلك والا فكثير من الناس لا يصلون لا الى اليقين ولا الى الجهاد ولو شككوا لشكوا
ولو امروا بالجهاد لما جاهدوا وليسوا كفارا ولا منافقين بل ليس عندهم من علم القلب
ومعرفته ويقينه ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ولرسوله ما يقدمونه

على



على الاهل والمال وهؤلاء ان عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة وان ابتلوا بمن يورد
عليهم شبهات توجب ريبهم فان لم ينعم الله عليهم بما يزيل عنهم الريب والا صاروا
مرتابين وانتقلوا الى نوع من النفاق وكذلك اذا تعين عليهم الجهاد ولم يجاهدوا كانوا
من اهل الوعيد ولهذا لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اسلم عامة اهلها فلما
جاءت المحنة والابتلاء نافق من نافق فلو مات هؤلاء قبل الامتحان لماتوا على الاسلام
ودخلوا الجنة ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين ابتلوا فظهر صدقهم قال الله
تعالى الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين
من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقال ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف
فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ولهذا
ذم الله المنافقين بانهم دخلوا في الايمان ثم خرجوا منه بقوله تعالى ان المنافقين
لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله الى قوله ذلك بانهم امنوا ثم كفروا
فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وقال في الاية الاخرى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
سورة الى قوله قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين فقد امر ان يقول لهم قد كفرتم
بعد ايمانكم وقول من يقول عن مثل هذه الايات انهم كفروا بعد ايمانهم بلسانهم مع كفرهم
اولا بقلوبهم لا يصح لان الايمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد كفرتم
بعد ايمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الامر وان اريد انكم اظهرتم الكفر بعد اظهاركم
الايمان فهم لم يظهروا للناس الا لخواصهم وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا بل لما
نافقوا وحذروا ان تنزل سورة تبين ما في قلوبهم من النفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا
كافرين بعد ايمانهم ولا يدل اللفظ على انهم ما زالوا منافقين وقد قال تعالى يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير يحلفون
بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما
نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله
عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فقد قال كفروا بعد اسلامهم

معنا الاسلام فقد يكون من جنس اسلام الاعراب فيكون قوله بعد ايمانهم وبعد
اسلامهم فقط وقد يكونوا لما كانوا منافقين لم يكن لهم حال كان معهم فيها من الايمان
شي لكنهم اظهروا الكفر والردة ولهذا دعاهم الى التوبة فقال تعالى فان يتوبوا
يك خيرا لهم وان يتولوا بعد التوبة يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وهذا
انما هو لمن اظهر الكفر فيجاهده الرسول باقامة الحد والعقوبة ولهذا ذكر هذا في سياق
قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ولهذا قال في تمامها وما لهم في الارض
من ولي ولا نصير وهولاء الصنف الذين كفروا بعد اسلامهم غير اولئك الذين كفروا
بعد ايمانهم فان هولاء حلفوا بالله ما قالوا وقد قالوا كلمة الكفر التي كفروا بها بعد
اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وهو يدل على انهم سعوا في ذلك فلم يصلوا الى مقصودهم
فانه لم يقل هموا بما لم يفعلوا لكن بما لم ينالوا فصدر منهم قول وفعل وقال ولئن
سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب فاعترفوا واعتذروا ولهذا قيل لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فدل على انهم لم يكونوا
عند انفسهم قد اتوا كفرا بل ظنوا ان ذلك ليس بكفر فبين ان الاستهزاء بالله واياته
ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد ايمانه فدل على انه كان عندهم ايمان ضعيف ففعلوا
هذا المحرم الذي عرفوا انه محرم ولكن لم يظنوه كفرا وكان كفرا كفروا به فانهم
لم يعتقدوا جوازه وهكذا قال غير واحد من السلف في صفة المنافقين الذين ضرب
لهم المثل في سورة البقرة انهم ابصروا ثم عموا وعرفوا ثم انكروا وامنوا ثم كفروا وكذلك
قال قتادة ومجاهد ضرب المثل لاقبالهم على المومنين وسماعهم ما جاء به
الرسول وذهاب نورهم وا قال مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم
بكم عمي فهم لا يبصرون يرجعون الى ما كانوا عليه واما قول من قال المراد بالنور
ما حصل في الدنيا من حقن دمائهم واموالهم فاذا ماتوا سلبوا ذلك الضوء كما
سلب صاحب النار ضوءه فلفظ الاية يدل على خلاف ذلك فانه قال وتركهم
في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ويوم القيمة يكونون في العذاب
كما قال تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس
من



من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم الاية وقد قال غير واحد من السلف ان المنافق يعطى يوم القيمة نورا
ثم يطفى ولهذا قال تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين
ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا قال المفسرون اذا راى المومنون
نور المنافقين يطفى سالوا الله ان يتم لهم نورهم ويبلغهم به الجنة قال ابن عباس ليس
احد من المسلمين الا يعطى نورا يوم القيمة فاما المنافق فيطفى نوره والمومن يشفق
مما راى من اطفا نور المنافق فهو يقول ربنا اتمم لنا نورنا وهو كما قال فقد ثبت
في الصحيحين من حديث ابي هريرة وابي سعيد وهو ثابت من وجوه اخر عن النبي
صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث جابر وهو معروف من حديث ابن مسعود
وهو اطولها ومن حديث ابي موسى في الحديث الطويل الذي يذكر فيه انه ينادي يوم
القيمة لتتبع كل امة ما كانت تعبد فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع
من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة
فيها منافقوها فياتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم
فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فياتيهم
الله في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه ويضرب
الصراط بين ظهري جهنم الحديث فبين ان المنافقين يحشرون مع المومنين في
الظاهر كما كانوا معهم في الدنيا ثم وقت الحقيقة هولا يسجدون لربهم وهولا
واولئك لا يتمكنون من السجود فانهم لم يسجدوا في الدنيا له بل قصدوا الرياء
للناس والجزاء في الاخرة هو من جنس العمل في الدنيا فلهذا اعطوا نورا ثم طفي لانهم
في الدنيا دخلوا في الايمان ثم خرجوا ولهذا ضرب الله لهم المثل بذلك وهذا المثل
هو لمن كان فيهم امن ثم كفر وهولا الذين يعطوا في الاخرة نورا ثم يطفى ولهذا
قال فهم لا يرجعون قال قتادة ومقاتل لا يرجعون عن ضلالتهم وقال السدي لا
يرجعون الى الاسلام يعني في الباطن والا فهم يظهرونه وهذا المثل انما يكون
في الدنيا وهذا المثل مضروب لبعضهم وهم الذين امنوا ثم كفروا واما الذين

لمن الوانا فقين ضرب لهم المثل الاخر وهو قوله او كصيب من السما فيه ظلمات
ورعد وبرق وهذا اصح القولين فان المفسرين اختلفوا هل المثلان مضروبان
لهم كلهم او هذا المثل لبعضهم وهذا المثل لبعضهم على قولين والثاني هو الصواب
لانه قال او كصيب وانما يثبت بها احد الامرين فدل ذلك على ان مثلهم هذا او
هذا فانهم لا يخرجون عن المثلين بل بعضهم يشبه هذا وبعضهم يشبه هذا ولو
كانوا كلهم يشبهون المثلين لم يذكر او بل كان يذكر الواو العاطفة وقول من قال
او هاهنا للتخيير لقولهم جالس الحسن او ابن سيرين ليس بشي لان التخيير يكون في
الامر لا يكون في الخبر وهنا خبر وكذلك قول من قال او بمعنى الواو او للتشكيك
المخاطبين او الابهام عليهم ليس بشي فان الله يريد بالامثال البيان والتفهيم
لا يريد التشكيك والابهام والمقصود تفهيم المومنين حالهم ويدل على ذلك
انه قال في المثل الاول صم بكم عمي وقال في الثاني يجعلون اصابعهم في اذانهم
من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم
كلما اضا لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شا الله لذهب بسمعهم وابصارهم
ان الله على كل شي قدير فبين في المثل الثاني انهم يسمعون ويبصرون ولو شا الله
لذهب بسمعهم وابصارهم وفي الاول كانوا يبصرون ثم صاروا في ظلمات لا يبصرون
صم بكم عمي وفي الثاني اذا اضا لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا فلهم حالان حال
ضيا وحال ظلام والاولون بقوا في الظلمة فالاول حال من كان في ضو فصار في ظلمة
والثاني حال من لم يستقر لا في ضو ولا في ظلمة بل يختلف عليه الاحوال التي توجب مقامه
واستتابته ومثل هذا انه سبحانه ضرب للكفار ايضا مثلين بحرف او فقال والذين
كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمان ما حتى اذا جاه لم يجده شيا ووجد الله
عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه
موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل
الله له نورا فما له من نور فالاول مثل الكفر الذي يحسب صاحبه انه على حق وهو على
باطل كمن زين له سو عمله فراه حسنا فانه لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم فهذا مثل بالسراب
بقيعة والثاني مثل الكفر الذي لا يعتقد صاحبه شيا بل هو في ظلمات بعضها فوق

بعض



بعض من غير جهله لم يكن معه اعتقاد انه على حق بل لم يزل جاهلا ضالا في ظلمات
متراكمة وايضا فقد يكون المنافق والكافر تارة متصفا بهذا الوصف وتارة متصفا
بهذا الوصف فيكون التقسيم في المثلين لتنوع الاشخاص ولتنوع احوالهم وبكل
حال فليس ما ضرب له المثل هو مماثل لما ضرب له هذا المثل لاختلاف المثلين صورة
ومعنى ولهذا لم يضرب للايمان الا مثل واحد لان الحق واحد فضرب مثله بالنور
واولئك يضرب لهم المثل بشي لا حقيقة له كالسراب بالقيعة او بالظلمات المتراكمة
وكذلك المنافق يضرب له المثل بمن ابصر ثم عمي او هو مضطرب يسمع ويبصر ما لا
ينتفع به فتبين ان من المنافقين من كان من ثم امن باطنا وهذا مما استفاض به النقل
عند اهل العلم بالحديث والتفسير والسيرة انه كان رجال قد امنوا ثم نافقوا وكان
يجري ذلك لاسباب منها امر القبلة لما حولت ارتد عن الايمان لاجل ذلك طائفة وكانت
محنة امتحن الله بها الناس قال تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه قال اي اذا حولت والمعنى الصحيح هي القبلة التي كان
في علمنا انها تحول فلهذا فان الكعبة ومسجدها وحرمتها افضل بلا ريب من بيت المقدس
وهي البيت العتيق وقبلة ابرهيم وغيره من الانبيا ولم يامر الله قط احدا ان يصلي
الى بيت المقدس لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما فلم يكن ليجعلها القبلة الدائمة
ولكن جعلناها اولا قبلة ليمتحن بتحويلك عنها الناس فيتبين من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وكان في شرعها هذه الحكمة وكذلك ايضا لما انهزم المسلمون من المشركين
يوم احد وشج وجه النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وانتم الاعلون ان كنتم مومنين
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس
وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهدا والله لا يحب
الظالمين وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين وقال تعالى وما اصابكم يوم
التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم
تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
فقوله وليعلم الذين نافقوا ظاهره انهم احدثوا نفاقا وهو يتناول من لم يكن نافق

هذا مع

انه

قبل ان ينافق ثم حبب حنفا فانابا وقوله هم للكفر يوميذ اقرب منهم للايمان بين انهم
لم يكونوا قبل ذلك اقرب منهم بل اما ان يتساويا واما ان يكونوا للايمان اقرب ولذلك
كان فان ابن ابي لما انخزل عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد انخزل ثلث الناس قالوا لو
كانوا يحوملها به وهولا لم يكونوا قبل ذلك كلهم منافقين في الباطن اذ لم يكن لهم داع الى النفاق
فان ابن ابي كان يظهر الطاعه للنبي صلى الله عليه وسلم والايمان به وكان كل يوم جمعه يقوم
خطيبا في المسجد يامر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ما في قلبه يظهر الا القليل من الناس
ان ظهر وكان معظما في قومه كانوا قد عزموا ان يتوجوه ويجعلوه مثل الملك عليهم فلما جات
النبوه بطل ذلك فحمله الحسد على النفاق والا فلم يكن له في الباطن على دين يدعوا اليه
وانما هذا في اليهود فلما جا النبي صلى الله عليه وسلم مدينه وقد ظهر حسنه وقد مالت
اليه القلوب لا سيما لما نصره الله يوم بدر ونصره على اليهود بني قينقاع صار معه الدين
والدنيا فكان المقتضي للايمان في عامه الانصار قائما وكان كثير منهم يعظم ابن ابي
تعظيما كثيرا ويواليه ولم يكن ابن ابي اظهر مخالفه توجب الامتياز فلما انخزل يوم احد وقال
يدع رأيي ورايه ويأخذ براي الصبيان او كما قال انخزل معه خلق كثير كان كثير
منهم لم ينافق قبل ذلك وفي الجمله في الاخبار ممن نافق بعد ايمانه ما يطول ذكره هنا
فاولئك كانوا مسلمين وكان معهم ايمان هو الضوء الذي ضرب الله المثل به فلو ماتوا
قبل المحنه والنفاق ماتوا على هذا الاسلام الذي يثابون عليه ولم يكونوا من
المومنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنه ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الايمان
بالمحنه وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا او اكثرهم اذا ابتلوا بالمحن التي يتضعضع فيها
اهل الايمان ينقص ايمانهم كثيرا وينافق كثير منهم ومنهم من يظهر الرده اذا كان
العدو غالبا وقد راينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبره واذا كانت العافيه
او كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مومنون بالرسول باطنا
وظاهرا لكن ايمانا لا يثبت على المحنه ولهذا يكثر في هولا ترك الفرايض وانتهاك المحارم
وهولا من الذين قالوا امنا فقيل لهم قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان
في قلوبكم اي الايمان المطلق الذي اهله هم المومنون حقا فان هذا هو الايمان اذا اطلق
في كتاب الله تعالى كما دل عليه الكتاب والسنه ولهذا قال تعالى انما المومنون الذين

امنوا



امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون فلم يحصل لهم ريب عند المحن التي تقلقل الايمان في القلوب والريب يكون
في علم القلب وفي عمل القلب بخلاف الشك فانه لا يكون الا في العلم ولهذا لا يوصف باليقين
الا من اطمأن قلبه علما وعملا والا فاذا كان عالما بالحق ولكن المصيبه والخوف اورثه
جزعا عظيما لم يكن صاحب يقين قال تعالى هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا
وكثيرا ما يعرض للمومن شعبه من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض
ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمومن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر
التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابه يا رسول الله ان احدنا ليجد في نفسه ما لان يخر
من السما الى الارض احب اليه من ان يتكلم به فقال ذاك صريح الايمان وفي روايه
ما يتعاظم ان يتكلم به قال الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسه اي حصول هذا الوسواس
مع هذه الكراهه العظيمه ودفعه عن القلب هو من صريح الايمان كالمجاهد الذي جاه العدو
فدافعه حتى غلبه فهذا اعظم الجهاد والصريح الخالص كاللبن الصريح وانما صار صريحا
لما كرهوا تلك الوساوس الشيطانيه ودفعوها فخلص الايمان فصار صريحا ولا بد لعامه
الخلق من هذه الوساوس فمن الناس من يجيبها فيصير كافرا او منافقا ومنهم من قد غمر
قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فاما ان يصير مومنا واما ان
يصير منافقا ولهذا يعرض للناس من الوساوس في الصلوه ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا
لان الشيطان يكثر تعرضه للعبد اذا اراد الانابه الى ربه والتقرب اليه والاتصال به
فلهذا يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصه اهل العلم والدين اكثر مما
يعرض للعامه ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعباد من الوساوس والشبهات ما
ليس عند غيرهم لانه لم يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه في غفله عن ذكر
ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم والعباده فانه عدوهم
يطلب صدهم عن الله تعالى قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ولهذا امر
قاري القران ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم فان قراءه القران على الوجه
المامور به يورث الايمان العظيم ويزيده قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا
ورحمه للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى

وموعظة للمتقين وقال تعالى هدى للمتقين وقال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون وهذا ما يجده كل مومن من نفسه فالشيطان يريد بوسوسته
ان يشغل القلب عن الانتفاع بالقران فامر الله اذا قرا القران ان يستعيذ منه قال
تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
فان المستعيذ بالله مستجير به لاجي اليه مستغيث به من الشيطان فالعايذ به
مستجير به فاذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان
ويجيره منه ولذلك قال ادفع بالتي هي احسن السيئة فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
فامر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه عنه وعند ما يعرض له من
الشر ليدفعه عنه عند ارادة العبد الحسنات وعند ما يامره الشيطان بالسيئات
ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان ياتي احدكم فيقول من خلق كذا من خلق
كذا حتى يقول من خلق الله فاذا وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فامر بالاستعاذة
عند ما يطلب الشيطان ان يوقعه في شر او يمنعه من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما
كان الانسان اعظم رغبة في العلم والعبادة واقدر على ذلك من غيره بحيث يكون قوته
على ذلك اقوى وارادته اقوى كان ما يحصل له ان سلمه الله من الشيطان اعظم وكان ما يفتتن
به ان تمكن منه الشيطان اعظم ولهذا قال الشعبي كل امة علماؤها شرارها الا المسلمين
فان علماءهم خيارهم واهل السنة في الاسلام كالاسلام في الملل وذلك ان كل امة
غير المسلمين فهم ضالون وانما يضلهم علماؤهم فعلماؤهم شرارهم والمسلمون على هدى
وانما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماؤهم خيارهم وكذلك اهل السنة ائمتهم خيار الامة وائمة
اهل البدع اضر على الامة من اهل الذنوب ولهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج
ونهى عن قتال الولاة الظلمة واولئك لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من
الوساوس التي تضلهم وهم يظنونها هدى فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم ومن سلم من
ذلك



ذلك منهم كان من ائمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لا
صحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان الثياب
تعرفون في السماء وتخفون على اهل الارض ٥ فصل ومما ينبغي ان يعلم
ان الالفاظ الموجودة في القران والحديث اذا عرف تفسيرها وما اريد بها من جهة النبي
صلى الله عليه وسلم لم يحتج في ذلك الى الاستدلال باقوال اهل اللغة ولا غيرهم ولهذا
قال الفقهاء الاسماء ثلاثة انواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده
باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله
وعاشروهن بالمعروف ونحو ذلك وروي عن ابن عباس انه قال تفسير القران على اربعة
اوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعرفه العلماء
وتفسير لا يعلمه الا الله من ادعى علمه فهو كاذب فاسم الصلاة والزكاة والحج والصيام ونحو
ذلك قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ما يراد بها من كلام الله ورسوله وكذلك لفظ
الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها فلو اراد احد ان يفسرها بغير ما بينه الرسول
صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه والكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذاك من جنس
علم البيان وتعليل الاحكام هو زيادة في العلم وبيان حكمة الفاظ القران لكن معرفة المراد
بها لا يتوقف على هذا واسم الايمان والاسلام والنفاق والكفر هي اعظم من هذا كله
فالنبي صلى الله عليه وسلم قد بين المراد بهذه الالفاظ بيانا لا يحتاج معه الى الاستدلال
على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك فلهذا يجب الرجوع في مسميات
هذه الاسماء الى بيان الله ورسوله فانه شاف كاف بل معاني هذه الاسماء معلومة من حيث
الجملة للخاصة والعامة بل كل من تامل ما يقوله الخوارج والمرجية في معنى الايمان علم بالاضطرار
انه مخالف للرسول ويعلم بالاضطرار ان طاعة الله ورسوله من تمام الايمان وانه لم يكن يجعل
كل من اذنب ذنبا كافرا ويعلم انه لو قدر ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم نحن نؤمن
بما جئت به بقلوبنا من غير شك ونقر بالسنتنا بالشهادتين الا انا لا نطيعك في شيء مما
امرت به ونهيت عنه فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدي الامانة
ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئا من الخير الذي امرت به ونشرب الخمر
وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ونقتل من قدرنا عليه من اصحابك وامتك وناخذ اموالهم

بل نقتلك ايضا وتقاتلك مع اعدايك هل كان يتوهم عاقل ان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لهم انتم مومنون كاملوا الايمان وانتم من اهل شفاعتي يوم القيمه ويرجى
لكم ان لا يدخل احد منكم النار بل كل مسلم يعلم بالاضطرار انه يقول لهم انتم اكفر الناس
بما جئت به ويضرب رقابهم ان لم يتوبوا من ذلك و لذلك كل مسلم يعلم ان شارب
الخمر والزاني والقاذف والسارق لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يجعلهم مرتدين يجب
قتلهم بل القران والنقل المتواتر عنه يبين ان هولاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن
الاسلام كما ذكر الله في القران جلد القاذف والزاني وقطع السارق وهذا متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولو كانوا مرتدين لقتلهم فكلا القولين مما يعلم فساده بالاضطرار
من دين الرسول صلى الله عليه وسلم واهل البدع انما دخل عليهم الداخل لانهم اعرضوا عن هذه
الطريق وصاروا يبنون دين الاسلام على مقدمات يظنون صحتها اما في دلالة الالفاظ
واما في المعاني المعقوله ولا يتاملون بيان الله ورسوله وكل مقدمات تخالف بيان الله
ورسوله فانها تكون ضلالا ولهذا تكلم احمد في رسالته المعروفه في الرد على من يتمسك
بما يظهر له من القران من غير استدلال ببيان الرسول والصحابه والتابعين وكذلك
ذكر في رسالته الى ابي عبد الرحيم الجرجاني الرد على المرجيه وهذه طريقة سائر ائمه في صح
المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول اذا وجدوا الى ذلك سبيلا ومن عدل عن سبيلهم
وقع في البدع التي مضمونها انه يقول على الله ورسوله ما لا يعلم او غير الحق وهذا مما حرمه
الله ورسوله وقال تعالى في الشيطان انما يامركم بالسو والفحشا وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون وقال تعالى الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وهذا
من تفسير القران بالراي الذي جا فيه الحديث من قال في القران برايه فليتبوا مقعده من
النار مثال ذلك ان المرجيه لما عدلوا عن معرفة كلام الله ورسوله اخذوا يتكلمون
في مسمى الايمان والاسلام وغيرهما بطرق ابتدعوها مثل ان يقولوا الايمان في اللغه
هو التصديق والرسول انما خاطب الناس بلغة العرب لم يغيرها فيكون مراده بالايمان
التصديق ثم قالوا والتصديق انما يكون بالقلب واللسان او بالقلب فالاعمال ليست من الايمان
ثم عمدتهم في ان الايمان هو التصديق قوله وما انت بمومن لنا اي بمصدق لنا فيقال
لهم اسم الايمان قد تكرر ذكره في القران والحديث اكثر من ذكر سائر الالفاظ وهو تكرر صح

اصل



اصل الدين وبه يخرج الناس من الظلمات الى النور ويفرق بين السعداء والاشقيا ومن
يوالى ومن يعادى والدين كله تابع لهذا وكل مسلم محتاج الى معرفة ذلك افيجوز ان يكون
الرسول قد اهمل بيان هذا ووكله الى هاتين المقدمتين ومعلوم ان الشاهد الذي استشهدوا
به على ان الايمان هو التصديق انه من القران ونقل معنى الايمان متواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم اعظم من تواتر لفظ الكلمه فان الايمان يحتاج الي معرفته جميع الامه فينقلونه
بخلاف كلمة من سورة فاكثر المومنين لم يكونوا يحفظون هذه السوره فلا يجوز ان يجعل بيان
اصل الدين مبنيا على مثل هذه المقدمات ولهذا كثر النزاع والاضطراب بين الذين عدلوا
عن صراط الله المستقيم وسلكوا السبل وصاروا من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
ومن الذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاهم البينات فهذا كلام عام مطلق ثم يقال هاتان
المقدمتان كلاهما ممنوعه فمن الذي قال ان لفظ الايمان مرادف للفظ التصديق وهب
ان المعنى يصح اذا استعمل في هذا الموضع فلم قلت انه يوجب الترادف ولو قلت
وما انت بمسلم لنا ما انت بمومن لنا صح المعنى لكن لم قلت ان هذا هو المراد بلفظ
مومن واذا قال الله اقيموا الصلوه ولو قال القايل اتموا الصلوه ولازموا الصلوه التزموا
الصلوه افعلوا الصلوه كان المعنى صحيحا لكن لا يدل على معنى اقيموا فكون اللفظ
يرادف اللفظ يراد دلالته على ذلك ثم يقال ليس هو مرادفا له وذلك من وجوه احدها
ان يقال للمخبر اذا صدقته صدقه ولا يقال امنه ولا امن به بل يقال امن له كما قال فامن له
لوط وقال فما امن لموسى الا ذرية من قومه وقال فرعون امنتم له قبل ان اذن لكم وقالوا
لنوح انومن لك واتبعك الارذلون وقال تعالى قل اذن خير لكم يومن بالله ويومن للمومنين
فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقال وان لم تومنوا لي فاعتزلون فان
قيل فقد يقال ما انت بمصدق لنا قيل اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه اذا ضعف عمله
اما بتاخيره او بكونه اسم فاعل او مصدرا او باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه
ويتقيه ثم اذا ذكر باسم الفاعل قيل هو عابد لربه متق لربه خائف لربه وكذلك يقول
فلان يرهب الله ثم يقول هو راهب لربه واذا ذكرت الفعل واخرته تقويه باللام
كقوله وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقد قال فاياي فارهبون ن
فعداه بنفسه وهناك ذكر اللام فان قوله هنا فاياي اتم من قوله فلي وقوله هناك

لم يهمر اتم من قوله ريهم فان الضمير المتصل المنصوب اكمل من ضمير الجر بحرف الباء
وهناك اسم ظاهر مقويته باللام اولى واتم من تجريده ومن هذا قوله ان كنتم للرويا
تعبرون ويقال عبرت رؤياه وكذلك قوله وانهم لنا لغايظون وانما يقال غظته لا
يقال غظت له ومثله كثير فقول القايل ما انت بمصدق لنا ادخل فيه اللام لكونه
اسم فاعل والا فانما يقال صدقته لا يقال صدقت له ولو ذكروا الفعل لقالوا ما
صدقتنا وهذا بخلاف لفظ الايمان فانه تعدى الى المخبر باللام دايما لا يقال امنته قط
وانما يقال امنت له كما يقال اقررت له فكان تفسيره بلفظ الاقرار اقرب من لفظ تفسيره صح
التصديق مع ان بينهما فرق الثاني انه ليس مرادفا للفظ التصديق في المعنى فان
كل مخبر عن مشاهدة او غيب يقال له في اللغة صدقت كما يقال كذبت فمن قال السما
فوقنا قيل له صدقت واما لفظ الايمان فلا يستعمل الا في الخبر عن غايب لم يوجد في
الكلام ان من اخبر عن مشاهدة لقوله طلعت الشمس وغربت انه يقال امناه كما
يقال صدقناه ولهذا المحدثون والشهود ونحوهم يقال صدقناهم وما يقال امنا لهم
فان الايمان مشتق من الامن فانما يستعمل في خبر يؤتمن عليه المخبر كالامر الغايب
الذي يؤتمن عليه المخبر ولهذا لم يوجد قط في القران وغيره لفظ امن له الا في هذا
النوع والاثنان اذا اشتركا في معرفة الشي يقال صدق احدهما صاحبه ولا يقال
امن له لانه لم يكن غايبا عنه ائتمنه عليه ولهذا قال فامن له لوط انؤمن لبشرين مثلنا
امن له يؤمن بالله ويؤمن للمومنين فيصدقهم فيما اخبروا به مما غاب عنه وهو
مامون عنده على ذلك فاللفظ متضمن مع التصديق معنى الايتمان والامانة كما
يدل عليه الاستعمال والاشتقاق ولهذا قالوا وما انت بمومن لنا اي لا تقر بخبرنا
ولا تثق به ولا تطمين اليه ولو كنا صادقين لانهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك
فلو اصدقوا لم يامن لهم الثالث ان لفظ الايمان في اللغة لم يقابل
بالتكذيب كلفظ التصديق فانه من المعلوم في اللغة ان كل مخبر يقال له صدقت
او كذبت ويقال صدقناه او كذبناه ولا يقال لكل مخبر امنا له او كذبناه ولا يقال
انت مؤمن له او مكذب له بل المعروف في مقابلة الايمان لفظ الكفر يقال هو مؤمن
او كافر والكفر لا يختص بالتكذيب بل لو قال انا اعلم انك صادق لكن لا
اتبعك



اتبعك بل اعاديك وابغضك واخالفك ولا اوافقك لكان كفره اعظم فلما كان
الكفر المقابل للايمان ليس هو التكذيب فقط علم ان الايمان ليس هو التصديق فقط
بل اذا كان الكفر يكون تكذيبا ويكون مخالفة ومعاداة وامتناعا بلا تكذيب فلا بد ان يكون
الايمان تصديقا مع موافقة وموالاة وانقياد لا يكفي مجرد التصديق فيكون الاسلام
جزء مسمى الايمان كما كان الامتناع من الانقياد مع التصديق جزء مسمى الكفر فيجب ان
يكون كل مومن مسلما منقادا للامر وهذا هو العمل فان قيل فالرسول صلى الله عليه وسلم
فسر الايمان بما يؤمن به قيل فالرسول ذكر ما يؤمن به لم يذكر ما يؤمن له وهو نفسه يجب
ان يؤمن به ويؤمن له فالايمان به من حيث ثبوته غيب عنا اخبرنا به وليس كل غيب
امنا به علينا ان نطيعه واما ما يجب من الايمان له فهو الذي يوجب طاعته والرسول
يجب الايمان به وله فينبغي ان نعرف هذا وايضا فان طاعته طاعة لله وطاعة الله
من تمام الايمان به الرابع ان من الناس من يقول الايمان اصله
في اللغة من الامن الذي هو ضد الخوف فامن اي صار داخلا في الامن وانشدوا

واما المقدمة الثانية فيقال انه اذا فرض انه مرادف للتصديق فقولهم
ان التصديق لا يكون الا بالقلب او اللسان عنه جوابان احدهما المنع بل الافعال تسمى
تصديقا كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان وزناهما ١٥
النظر والاذن تزني وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها
المشي والقلب يتمنى ذلك ويشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه وكذلك قال اهل والتسليم صح
اللغة وطوايف من السلف والخلف قال الجوهري والصديق مثل الفسيق الدايم
التصديق ويكون الذي يصدق قوله بالعمل وقال الحسن البصري ليس الايمان بالتحلي
ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقته الاعمال من قال حسنا وعمل غير صالح رده الله
عليه ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بان الله يقول اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ورواه ابن بطة من الوجهين وقوله ليس بالتمني
يعني الكلام وقوله بالتحلي يعني ان يصير حلية ظاهرة له فيظهره من غير حقيقة من
قلبه ومعناه ليس هو ما يظهر من القول ولا من الحلية الظاهرة ولكن ما وقر في القلب

وصدقته الاعمال فالعمل يصدق ان في القلب ايمانا واذا لم يكن عمل كذب ان في قلبه
ايمانا لان ما في القلب مستلزم للعمل الظاهر وانتفا اللازم يدل على انتفا الملزوم وقد روى
محمد بن نصر المروزي باسناده ان عبد الملك ابن مروان كتب الى سعيد ابن جبير يساله عن
هذه المسايل فاجابه عنها سالت عن الايمان فالايمان هو التصديق ان يصدق العبد
بالله وملايكته وما انزل من كتاب وما ارسل من رسول وباليوم الاخر وسالت عن التصديق
والتصديق ان يعمل العبد بما صدق به من القران وما ضعف عن شي منه وفرط فيه
عرف انه ذنب واستغفر الله وتاب منه ولم يصر عليه فذلك هو التصديق وتسال
عن الدين والدين هو العبادة فانك لن تجد رجلا من اهل دين ترك عبادة اهل دين ثم
لا يدخل في دين اخر الا صار لا دين له وتسال عن العبادة والعبادة هي الطاعة ذلك انه من
اطاع الله فيما امره به وفيما نهاه عنه فقد اتم عبادة الله ومن اطاع الشيطان في دينه وعمله
فقد عبد الشيطان الا ترى ان الله تعالى قال للذين فرطوا الم اعهد اليكم يا بني ادم ان
لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وانما كانت عبادتهم الشيطان لانهم اطاعوه
في دينهم وقال اسد ابن موسى ثنا الوليد ابن مسلم عن الاوزاعي ثنا حسان ابن عطية
قال الايمان في كتاب الله صار الى العمل قال الله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم الاية ثم صيرهم الى العمل فقال الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قال
وسمعت الاوزاعي يقول قال الله فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكاة فاخوانكم في الدين والايمان
بالله باللسان والتصديق به العمل وقال معمر عن الزهري كنا نقول الاسلام بالاقرار والايمان
بالعمل والايمان قول وعمل قرينان لا ينفع احدهما الا بالاخر وما من احد الا يوزن قوله وعمله
فان كان عمله اوزن من قوله صعد الى الله وان كان كلامه اوزن من عمله لم يصعد الى الله تعالى
ورواه ابو عمر الطلمنكي باسناده المعروف وقال معوية ابن عمرو عن ابي اسحق الفزاري عن
الاوزاعي قال لا يستقيم الايمان الا بالقول ولا يستقيم الايمان والقول الا بالعمل ولا
يستقيم الايمان والقول والعمل الا بنية موافقة للسنة وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون
بين الايمان والعمل العمل من الايمان والايمان من العمل وانما الايمان اسم يجمع كما يجمع هذه الاديان
اسمها ويصدقه العمل فمن امن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى
التي لا انفصام لها ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله كان في الاخرة من

الخاسرين



الخاسرين وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف انهم يجعلون العمل مصدقا
للقول ورووا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه معاذ ابن اسد ثنا الفضيل
ابن عياض عن ليث ابن ابي سليم عن مجاهد ان ابا ذر سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان
فقال الايمان الاقرار والتصديق بالعمل ثم تلا ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق
والمغرب الى قوله واوليك هم المتقون قلت حديث ابي ذر مروي من غير وجه فان هذا مع
كان هذا اللفظ هو لفظ الرسول فلا كلام وان كان ذكره بالمعنى دل على انه من المعروف
في لغتهم انه يقال صدق قوله بعمله ولذلك قال شيخ الاسلام الهروي الايمان تصديق
كله ولذلك الجواب ——— الثاني انه اذا كان اصله التصديق فهو تصديق
مخصوص كما ان الصلوة دعا مخصوص والحج قصد مخصوص والصيام امساك مخصوص
وهذا التصديق له لوازم صارت لوازمه داخلة في مسماه عند الاطلاق فان انتفا اللازم
يقتضي انتفا الملزوم ويبقى النزاع لفظيا هل الايمان دال على العمل بالتضمن او باللزوم ومما
ينبغي ان يعرف ان اكثر التنازع بين اهل السنة في هذه المسلة هو نزاع لفظي والا فالقايلون
بان الايمان قول من الفقها كحماد ابن ابي سليمان وهو اول من قال ذلك ومن اتبعه من اهل
الكوفة وغيرهم متفقون مع جميع علما السنة على ان اصحاب الذنوب داخلون تحت الذم
والوعيد وان قالوا ان ايمانهم كامل كايمان جبريل فهم يقولون ان الايمان بدون العمل
المفروض ومع فعل المحرمات يكون صاحبه مستحقا للذم والعقاب كما تقوله الجماعة
ويقولون ايضا ان من اهل الكباير من يدخل النار كما تقوله الجماعة والذين ينفون عن الفاسق ستق
اسم الايمان من اهل السنة متفقون على انه لا يخلد في النار فليس بين فقها الملة نزاع في
اصحاب الذنوب اذا كانوا مقرين ظاهرا وباطنا بما جاء به الرسول وما تواتر عنه انهم من اهل
الوعيد وانه يدخل النار منهم من اخبر الله ورسوله بدخوله اليها ولا يخلد منهم فيها
احد ولا يكونون مرتدين مباحي الدماء ولكن الاقوال المنحرفة قول من يقول
بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة وقول غلاة المرجية الذين يقولون ما نعلم ان
احدا منهم يدخل النار بل نقف في ذلك كله وحكي عن بعض غلاة المرجية الجزم بالنفي
العام ويقال للخوارج الذي نفى عن السارق والزاني والشارب وغيرهم الايمان هو
لم يجعلهم مرتدين عن الاسلام بل عاقب هذا بالجلد وهذا بالقطع ولم يقتل احدا الا

المحصن ولم يقتله قتل المرتد فان المرتد نقتل بالسيف بعد الاستتابة وهذا يرجم
بالحجارة بلا استتابة فدل ذلك على انه وان نفي عنهم الايمان فليسوا عنده مرتدين
عن الاسلام مع ظهور ذنوبهم وليسوا كالمنافقين الذين كانوا يظهرون الاسلام
ويبطنون خلافه لم يعاقبهم الا على ذنب ظاهر وسبب الكلام في مسئلة الايمان
تنازع الناس هل في اللغة اسما شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة او انها باقية
في الشرع على ما كانت عليه في اللغة فذهب الخوارج والمعتزلة الى انها منقولة وذهبت (اللغوية [?])
المرجئة الى انها باقية على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع زاد في احكامها لا في
معنى الاسماء وهكذا قالوا في اسم الصلوة والزكاة والصيام والحج انها باقية في كلام
الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في احكامها ومقصودهم ان الايمان مجرد التصديق (هو ص [?])
وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة الى ان الشارع تصرف
فيها تصرف اهل العرف فهي بالنسبة الى اللغة مجاز وبالنسبة الى عرف الشارع حقيقة
والتحقيق ان الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة كما استعمل
نظائرها كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت فذكر حجا خاصا وهو حج البيت وكذلك
قوله فمن حج البيت او اعتمر فلم يكن لفظ الحج متناولا لكل قصد بل لقصد مخصوص دل
عليه اللفظ نفسه من غير تغيير اللغة والشاعر اذا قال
واشهد من عوف حوولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا
كان متكلما باللغة وقد قيد لفظه بحج سب الزبرقان ومعلوم ان ذلك الحج المخصوص (سنة التامة [?])
دلت عليه الاضافة فكذلك الحج المخصوص الذي امر الله به دلت عليه الاضافة او التعريف
باللام فاذا قيل الحج فرض عليك كانت لام العهد تبين انه حج البيت وكذلك الزكوة هي اسم
لما تزكو به النفس وزكاة النفس زيادة خيرها وذهاب شرها والاحسان الى
الناس من اعظم ما تزكو به النفس كما قال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم
بها وكذلك ترك الفواحش مما تزكو به قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى
منكم من احد ابدا واصل زكاتها بالتوحيد واخلاص الدين لله قال تعالى فويل للمشركين
الذين لا يؤتون الزكاة وهي عند المفسرين التوحيد وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم مقدار
الواجب وسماها الزكاة المفروضة فصار لفظ الزكاة اذا عرف باللام ينصرف اليها

لاجل



لاجل العهد ومن الاسماء ما يكون اهل العرف نقلوه وينسبون ذلك الى الشارع مثل
لفظ التيمم فان الله تعالى قال فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
فلفظ التيمم استعمل في معناه المعروف في اللغة فانه امر بتيمم الصعيد ثم امر بمسح
الوجوه والايدي منه فصار لفظ التيمم في عرف الفقهاء يدخل فيه هذا المسح وليس هو
لغة الشارع بل الشارع فرق بين تيمم الصعيد وبين المسح الذي يكون بعده ولفظ الايمان
امر به مقيدا بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الاسلام بالاستسلام لله
رب العالمين وكذلك لفظ الكفر مقيدا ولكن لفظ النفاق قد قيل انه لم تكن العرب تكلمت
به لكنه ماخوذ من كلامهم فان نفق يشبه خرج ومنه نفقت الدابة اذا ماتت ومنه نافقاء
اليربوع والنفق في الارض قال تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض فالمنافق هو
الذي خرج من الايمان باطنا بعد دخوله فيه ظاهرا وقيد النفاق بانه نفاق من الايمان ومن
الناس من يسمى من خرج عن طاعة الملك منافقا عليه لكن النفاق الذي في القرآن هو
النفاق على الرسول فخطاب الله ورسوله للناس بهذه الاسماء كخطاب الناس بغيرها وهو
خطاب مقيد خاص لا مطلق يحتمل انواعا وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم دال (وجه [?])
عليها فلا يقال انها منقولة ولا انه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم انما استعمل على هذا المراد
الشارع لم يستعمل مطلقا وهو انما قال اقيموا الصلاة بعد ان عرفهم الصلاة المامور بها فكان
التعريف منصرفا الى الصلاة التي تعرفونها لم ينزل لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه
ولهذا قال من قال في لفظ الصلاة انه عام للمعنى اللغوي او انه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي
والشرعي ونحو ذلك فاقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ انما ورد خبرا او امرا فالخبر كقوله
ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وسورة اقرا من اول ما انزل من القرآن وكان بعض الكفار
اما ابو جهل او غيره قد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال لئن رايته يصلي لاطان
عنقه فلما راه ساجدا راى من الهول ما اوجب نكوصه على عقبيه فاذا قيل ارايت الذي ينهى
عبدا اذا صلى فقد علمت تلك الصلوة الواقعة بلا اجمال في اللفظ ولا عموم ثم انه لما فرضت
الصلوات الخمس ليلة المعراج اقام النبي صلى الله عليه وسلم لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة
ذلك اليوم وكان جبريل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ياتمون بالنبي صلى الله عليه
وسلم فاذا قيل لهم اقيموا الصلاة عرفوا انها تلك الصلاة وقيل انه قبل ذلك

كانت لهم صلاتان طرفي النهار فكانت ايضا معروفه فلما خوطبوا باسم هذه الاسماء
الا ومسماه معلومه عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجا ودعا وصوما
فان هذا انما يكون اذا كان اللفظ مطلقا وذلك لم يرد وكذلك الايمان والاسلام
قد كان ذلك عندهم من اظهر الامور وانما سال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهم
يسمعون وقال هذا جبريل جاكم يعلمكم دينكم ليبين لهم كمال هذه الاسماء وحقايقها التي
ينبغي ان تقصد لئلا يقتصر على ادنى مسمياتها وهذا كما في الحديث الصحيح انه قال ليس
المسكين بهذا الطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين
الذي لا يجد غنا يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسال الناس الحافا فهم
كانوا يعرفون المسكين وانه المحتاج وكان ذلك مشهورا عندهم فيمن يظهر
حاجته بالسوال والناس يعطونه تزول مسكنته باعطاء الناس له والسوال له بمنزلة الحرفه
وهو وان كان مسكينا يستحق من الزكاة اذا لم يعط من غيرها كفايته فهو اذا وجد من يعطيه
كفايته لم يبق مسكينا وانما المسكين المحتاج الذي لا يسال ولا يعرف فيعطى فهذا
هو الذي يجب ان يقدم في العطاء فانه مسكين قطعا وذاك مسكنته تندفع بعطاء من
يساله وكذلك قوله الاسلام خمس يريد ان كل هذا كله واجب داخل في الاسلام فليس
للانسان ان يكتفي فيه بالايمان المجمل ولهذا لما وصف الاسلام بهذا وقد اتفق
المسلمون على انه من لم يات بالشهادتين فهو كافر واما الاعمال الاربعه فاختلفوا في تكفير
تاركها ونحن اذا قلنا اهل السنه متفقون على انه لا يكفرون بالذنب فانما نريد به المعاصي
كالزنا والشرب واما ترك هذه المباني ففي تكفير تاركها نزاع مشهور وعن احمد في ذلك
نزاع واحدى الروايات عنه انه يكفر من ترك واحده منها وهو اختيار ابي بكر وطايفه من اصحاب
مالك كابن حبيب وعنه روايه ثانيه لا يكفر الا بترك الصلاه والزكاه فقط وروايه ثالثه
لا يكفر الا بترك الصلاه والزكاه اذا قاتل الامام عليها ورابعه لا يكفر الا بترك الصلاه وخامسه
لا يكفر بترك شي منهن وهذه اقوال معروفه للسلف قال الحكم ابن عتيبه من ترك
الصلاه متعمدا فقد كفر ومن ترك الزكاه متعمدا فقد كفر ومن ترك الحج متعمدا فقد كفر ومن
ترك صوم رمضان متعمدا فقد كفر وقال سعيد ابن جبير من ترك الصلاه متعمدا فقد كفر
بالله ومن ترك الزكاه متعمدا فقد كفر بالله ومن ترك صوم رمضان متعمدا فقد كفر بالله
وقال

معنى صح

هو صح



وقال الضحاك لا ترفع الصلوه الا بالزكوه وقال عبد الله ابن مسعود من اقام الصلوه
ولم يوت الزكوه فلا صلاه له رواهن اسد بن موسى وقال عبد الله ابن عمرو من شرب
الخمر ممسيا اصبح مشركا ومن شربه مصبحا امسى مشركا فقيل لابرهيم النخعي كيف ذلك
قال لانه يترك الصلاه وقال ابو عبد الله الاخنسي في كتابه من شرب الخمر فقد تعرض
لترك الصلوه ومن ترك الصلوه فقد خرج من الايمان ومما يوضح ذلك ان جبريل لما سال
النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان كان في اخر الامر بعد فرض الحج
والحج انما فرض سنه تسع او عشر وقد اتفق الناس على انه لم يفرض قبل ست من الهجره ومعلوم
ان الرسول لم يامر الناس بالايمان ولم يبين لهم معناه الى ذلك الوقت بل كانوا يعرفون اصل
معناه وهذه المسايل لبسطها موضع اخر والمقصود هنا ان من نفى عنه الرسول
اسم الايمان والاسلام فلابد ان يكون قد ترك بعض الواجبات فيه وان بقي بعضها ولهذا كان
الصحابه والسلف يقولون انه يكون في العبد ايمان ونفاق قال ابو داود السجستاني
ثنا احمد بن حنبل ثنا وكيع عن الاعمش عن شقيق عن ابي المقدام عن ابي يحيى قال سيل حذيفه
عن المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به قال ابو داود ثنا عثمان ابن ابي شيبه
ثنا جرير عن الاعمش عن عمرو ابن مره عن ابي البختري عن حذيفه قال القلب اربعه قلب اغلف
فذاك قلب الكافر وقلب مصفح فذاك قلب المنافق وقلب اجرد فيه سراج يزهر
فذاك قلب المومن وقلب فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل شجره يمدها ما طيب
ومثل النفاق مثل قرحه يمدها قيح ودم فايهما غلب عليه غلب وقد روي مرفوعا وهو في
المسند مرفوعا وهذا الذي قاله حذيفه يدل عليه قوله هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
فقد كان قبل ذلك فيهم نفاق مغلوب فلما كان يوم احد غلب نفاقهم فصاروا الى الكفر اقرب
وروى عبد الله ابن المبارك عن عوف ابن ابي جميله عن عبد الله ابن عمرو بن هند عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال ان الايمان يبدو لمظه بيضا في القلب فكلما ازداد العبد
ايمانا ازداد القلب بياضا حتى اذا استكمل الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو
لمظه سودا في القلب فكلما ازداد العبد نفاقا ازداد القلب سوادا حتى اذا استكمل
النفاق اسود القلب وايم الله لو شققتم عن قلب المومن لوجدتموه ابيض ولو شققتم
عن قلب المنافق لوجدتموه اسود وقال ابن مسعود الغنا ينبت النفاق في القلب

الاسلام صح

بعض صح

والكافر صح

كما ينبت المآء البقل رواه احمد وغيره وهذا كثير في كلام السلف يبينون ان القلب قد
يكون فيه ايمان ونفاق والكتاب والسنة يدل على ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر شعب
الايمان وذكر شعب النفاق وقال من كانت فيه شعبة منهن كانت فيه شعبة من النفاق
حتى يدعها وتلك الشعبة قد يكون معها كثير من شعب الايمان ولهذا قال يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فعلم ان من كان معه من الايمان اقل القليل لم يخلد
في النار وان كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك ثم يخرج
وعلى هذا فقوله تعالى للاعراب لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم نفي حقيقة
دخول الايمان في قلوبهم وذلك لا يمنع ان يكون معهم شعبة منه كما نفاه عن الزاني والسارق وعمن
لا يحب لاخيه ما يحب لنفسه ومن لا يامن جاره بوايقه وغير ذلك كما تقدم ذكره فان في القرآن
والحديث من نفي عنه الايمان لترك بعض الواجبات شيء كثير وحينئذ فقول من قال
من السلف اسلمنا اي استسلمنا خوف السيف وقول من قال هو الاسلام الجميع صحيح فان
هذا انما اراد الدخول في الاسلام والاسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون فيدخل فيه من كان
في قلبه ايمان ونفاق وقد علم انه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان بخلاف المنافق
المحض الذي قلبه كله اسود فهذا هو الذي يكون في الدرك الاسفل من النار ولهذا كان
الصحابة رضوان الله عليهم يخشون النفاق على انفسهم ولم يخافوا التكذيب لله ورسوله
فان المؤمن يعلم من نفسه انه لا يكذب الله ورسوله يقينا وهذا مستند من قال انا مؤمن حقا فانه
انما اراد بذلك ما يعلمه من نفسه من التصديق الجازم ولكن الايمان ليس مجرد التصديق
بل لا بد من اعمال قلبية تستلزم اعمالا ظاهرة كما تقدم من حب الله ورسوله من الايمان وحب ما
امر الله به وبغض ما نهى عنه وهذا من اخص الامور بالايمان ولهذا ذكر صلى الله عليه وسلم في غير
احاديث ان من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فهذا يحب الحسنة ويفرح
بها ويبغض السيئة ويسوؤه فعلها وان فعلها بشهوة غالبة وهذا الحب والبغض من
خصايص الايمان ومعلوم ان الزاني حين يزني انما يزني لحب نفسه لذلك الفعل فلو قام
بقلبه خشية الله التي تقهر الشهوة او حب الله الذي يغلبها لم يزن ولهذا قال تعالى
عن يوسف عليه السلام كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
فمن كان مخلصا لله حق الاخلاص لم يزن وانما يزني لخلوه عن ذلك وهذا هو الايمان
الذي



الذي ينتزع منه لم ينتزع منه نفس التصديق ولهذا قيل هو مسلم وليس بمؤمن فان المستحق
للثواب لا بد ان يكون مصدقا والا كان منافقا لكن ليس كل من صدق قام بقلبه من الاحوال
الايمانية الواجبة مثل كمال محبة الله ورسوله ومثل خشية الله والاخلاص له في الاعمال
والتوكل عليه بل يكون الرجل مصدقا بما جاء به الرسول وهو مع ذلك يرائي بعمله باعماله ويكون
اهله وماله احب اليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله وقد خوطب بهذا المؤمنون في
اخر الامر في سورة براءة فقيل لهم ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم
واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ومعلوم
ان كثيرا من المسلمين او اكثرهم بهذه الصفة وقد ثبت انه لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما وانما المؤمن من لم يرتب وجاهد بماله ونفسه في سبيل
الله فمن لم يقم بقلبه الاحوال الواجبة في الايمان هو الذي نفى الله عنه الرسول الايمان
وان كان معه التصديق والتصديق من الايمان ولا بد ان يكون مع التصديق شيء من حب
الله وخشية الله والا فالتصديق الذي لا يكون معه شيء من ذلك ليس ايمانا البتة
بل هو كتصديق فرعون واليهود وابليس وهذا هو الذي انكره السلف على الجهمية
قال الحميدي سمعت وكيعا يقول اهل السنة يقولون الايمان قول وعمل والمرجئة
يقولون الايمان قول والجهمية يقولون الايمان المعرفة وفي رواية اخرى عنه وهذا كفر
قال محمد بن عمر الكلابي سمعت وكيعا يقول الجهمية شر من القدرية قال وقال وكيع
المرجئة الذين يقولون الاقرار يجزي من العمل ومن قال هذا فقد هلك ومن قال النية
تجزي من العمل فهو كفر وهو قول جهم وكذلك قال احمد بن حنبل ولهذا كان القول
ان الايمان قول وعمل عند اهل السنة من شعائر السنة وحكى غير واحد الاجماع
على ذلك وقد ذكرنا عن الشافعي رحمه الله ما ذكره من الاجماع على ذلك وقوله في الام
وكان الاجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن ادركناهم يقولون ان الايمان قول
وعمل ونية لا يجزي واحد من الثلاثة الا بالاخر وذكر ابن ابي حاتم في مناقبه سمعت حرملة
يقول اجتمع حفص الفرد ومصلان الاباضي عند الشافعي في دار الجروي يعني بمصر
في الايمان فاحتج مصلان في الزيادة والنقصان يعني وخالفه حفص الفرد فحمي

الشافعي وبعلد المسله على ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص فنحي حصر الفرد
وقطعه وروى ابو عمر الطلمنكي باسناده المعروف عن موسى ابن هرون الحمال قال
املا علينا اسحق ابن راهويه ان الايمان قول وعمل يزيد وينقص لا شك ان ذلك كما
وصفنا وانا عقلنا هذا بالروايات الصحيحه والاثار العامه المحكمه واخذ اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتابعين هلم جرا على ذلك ولذلك بعد التابعين من اهل العلم
على شي واحد لا يختلفون فيه ولذلك في عهد الاوزاعي بالشام وسفين الثوري بالعراق
وملك ابن انس بالحجاز ومعمر باليمن على ما فسرنا وبينا ان الايمان قول وعمل يزيد
وينقص ٥ وقال اسحق من ترك الصلاة متعمدا حتى ذهب وقتها الظهر الى المغرب والمغرب
الى نصف الليل فانه كافر بالله العظيم يستتاب ثلثة ايام فان لم يرجع وقال تركها الا يكون ذلك
كفرا ضربت عنقه يعني تركها وقال واما اذا صلى وقال ذلك فهذه مسئلة اجتهاد
قال واتبعهم على ما وصفنا من بعدهم من عصرنا هذا اهل العلم الا من باين الجماعه واتبع
الاهواء المختلفة فاوليك قوم لا يعبا الله بهم لما باينوا الجماعه ٥ قال الامام ابو عبيد
القاسم ابن سلام الامام وله كتاب مصنف في الايمان قال هذه تسميه من كان يقول
الايمان قول وعمل يزيد وينقص من اهل مكه عبيد بن عمير الليثي وعطا ابن ابي رباح ومجاهد
ابن جبر ابن ابي مليكه عمرو ابن دينار ابن ابي نجيح عبيد الله ابن عمير عبد الله ابن عمرو بن عثمن
عبد الملك ابن جريج نافع ابن جبير داود ابن عبد الرحمن العطار عبد الله ابن رجا ٥ ومن
اهل المدينه محمد بن شهاب الزهري ربيعه ابن ابي عبد الرحمن ابو حازم الاعرج سعد ابن
ابرهيم ابن عبد الرحمن يحيى ابن سعيد الانصاري هشام ابن عروه ابن الزبير عبيد الله ابن
عمر العمري ملك ابن انس محمد بن ابي ذيب سليمن ابن بلال عبد العزيز ابن عبد الله يعني
ابن الماجشون عبد العزيز ابن ابي حازم ٥ ومن اهل اليمن طاوس اليماني وهب ابن منبه
معمر ابن راشد عبد الرزاق ابن همام ٥ ومن اهل مصر والشام مكحول الاوزاعي سعيد
ابن عبد العزيز الوليد بن مسلم يونس ابن يزيد الايلي يزيد ابن ابي حبيب يزيد بن شريح
سعيد ابن ابي ايوب الليث ابن سعد عبد الله ابن ابي جعفر معويه ابن صالح حيوه ابن
شريح عبد الله ابن وهب ٥ وممن سكن العواصم وغيرها من الجزيره ميمون ابن مهران
يحيى ابن عبد الكريم معقل ابن عبيد الله عبيد الله ابن عمرو الرقي عبد الملك ابن ملك
المعافا



المعافا ابن عمران محمد بن سلمه الحراني ابو اسحق الفزاري مخلد ابن الحسين علي ابن بكار يوسف
ابن اسباط عطا ابن مسلم محمد بن كثير الهيثم ابن جميل ٥ ومن اهل الكوفه علقمه الاسود ابن
يزيد ابو وايل سعيد ابن جبير الربيع ابن خثيم عامر الشعبي ابرهيم النخعي الحكم ابن عتيبه
طلحه ابن مصرف منصور ابن المعتمر سلمه ابن كهيل مغيره الضبي عطا ابن السايب اسمعيل
ابن ابي خالد ابو حيان يحيى ابن سعيد سليمن ابن مهران الاعمش يزيد ابن ابي زياد سفين ابن
سعيد الثوري سفين ابن عيينه الفضيل ابن عياض المقدام ثابت ابن العجلان ابن شبرمه
ابن ابي ليلى زهير شريك ابن عبد الله الحسن بن صالح حفص ابن غياث ابو بكر بن عياش ابو
الاحوص وكيع ابن الجراح عبد الله ابن نمير ابو اسامه عبد الله ابن ادريس زيد بن الحباب
الحسين ابن علي الجعفي محمد بن بشر العبدي يحيى ابن ادم ومحمد ويعلى وعمر بنو عبيد ٥
قال ومن اهل البصره الحسن ابن ابي الحسن محمد بن سيرين قتاده ابن دعامه بكر بن
عبد الله المزني ايوب السختياني يونس ابن عبيد عبد الله ابن عون سليمان التيمي هشام
ابن حسان الدستوائي شعبه ابن الحجاج حماد ابن سلمه حماد ابن زيد ابو الاشهب يزيد ابن
ابرهيم ابو عوانه وهيب ابن خالد عبد الوارث ابن سعيد معتمر ابن سليمن التيمي يحيى ابن سعيد
القطان عبد الرحمن ابن مهدي بشر ابن المفضل يزيد بن زريع المومل ابن اسمعيل خالد ابن
الحرث معاذ ابن معاذ ابو عبد الرحمن المقري ٥ ومن اهل واسط هشيم ابن بشير خالد ابن
عبد الله علي ابن عاصم يزيد بن هرون صالح ابن عمر عاصم ابن علي ٥ ومن اهل المشرق الضحاك
ابن مزاحم ابو حمزه نصر ابن عمران عبد الله ابن المبارك النضر ابن شميل جرير ابن عبد
الحميد الضبي قال ابو عبيد هولا جميعهم جميعا يقولون الايمان
قول وعمل يزيد وينقص وهو قول اهل السنه المعمول به عندنا قلت
ذكر من الكوفيين من قال ذلك اكثر مما ذكر من غيرهم لان الارجا من اهل الكوفه وكان من
اول من قاله حماد ابن ابي سليمن فاحتاج علماوها ان يظهروا انكار ذلك فكثر منهم من قال
ذلك كما ان التجهم وتعطيل الصفات لما كان ابتدا حدوثه بخراسان كثر من علماء خراسان
ذلك الوقت من الانكار على الجهميه ما لم يوجد لمن لم تكن هذه البدعه في بلده ولا سمع
بها كما جا في حديث ان لله عند كل بدعه يكاد بها الاسلام واهله من يتكلم بعلامات
الاسلام فاغتنموا تلك المجالس فان الرحمه تنزل على اهلها او كما قال ٥ واذا كان من

قول السلف ان الانسان يكون فيه ايمان ونفاق فكذلك في قولهم انه يكون فيه ايمان
وكفر هو الكفر الذي ينقل عن الملة كما قال ابن عباس واصحابه في قوله تعالى ومن
لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اتبعهم على ذلك احمد بن حنبل وغيره من
ايمة السنة قال الامام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة اختلف الناس في تفسير
حديث جبريل هذا فقالت طايفة من اصحابنا قول النبي صلى الله عليه وسلم الايمان ان تومن
بالله وما ذكر معه كلام جامع مختصر محتصر له غور وقد اوهمت المرجيه في تفسيره فتاولوه
على غير تاويله قلة معرفة منهم بلسان العرب وغور كلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي
قد اعطي جوامع الكلم وفواتحه واختصر له الحديث اختصارا اما قوله الايمان ان تومن
بالله ان توحده وتصدق به بالقلب واللسان وتخضع له ولامره باعطا العزم للادا لما
امر مجانبا للاستنكاف والاستكبار والمعانده فاذا فعلت ذلك لزمت محابه واجتنبت
مساخطه ٥ واما قوله وملايكته فان تومن بمن سمى الله لك منهم في كتابه وتومن بان لله ملايكة
سواهم لا تعرف اسامهم وعددهم الا الله الذي خلقهم ٥ واما قوله وكتبه فان تومن بما
سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة والانجيل والزبور وتومن بان لله سوى ذلك كتبا انزلها
على انبيايه لا تعرف اساميها وعددها الا الذي انزلها وتومن بالفرقان وايمانك به غير
ايمانك بسائر الكتب ٥ ايمانك بغيره من الكتب اقرارك به بالقلب واللسان وايمانك بالفرقان
اقرارك به واتباعك ما فيه ٥ واما قوله ورسله فان تومن بما سمى الله تعالى في كتابه
من رسله وتومن بان لله سواهم رسلا وانبيا لا تعلم اسماهم الا الذي ارسلهم وتومن بمحمد صلى
الله عليه وسلم وايمانك به غير ايمانك بسائر الرسل ٥ ايمانك بسائر الرسل اقرارك بهم وايمانك
بمحمد صلى الله عليه وسلم اقرارك به وتصديقك اياه دايبا على ما جابه فاذا اتبعت ما جا به
اديت الفرايض واحللت الحلال وحرمت الحرام ووقفت عند الشبهات وسارعت
في الخيرات ٥ واما قوله واليوم الاخر فان تومن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان
والثواب والعقاب والجنة والنار وبكل ما وصف الله تبارك وتعالى انه يوم القيامه
واما قوله وتومن بالقدر خيره وشره فان تومن بان ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك
لم يكن ليصيبك ولا تقل لو كان كذا المرلكن كذا او كذا ولولا كذا وكذا لم يكن كذا
وكذا قال فهذا هو الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ٥

فصل

ليس م

بيانه القلب

لاصح



فصل ح وقد سال عنه انه اذا كان ما اوجبه الله من الاعمال الظاهره
اكثر من هذه الخمس فلماذا قال الاسلام هذه الخمس وقد اجاب بعض الناس بان هذه
اظهر شعاير الاسلام واعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد
انقياده ٥ والتحقيق ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه
مطلقا الذي يجب لله عبادة محضة على الاعيان يجب على كل من كان قادرا عليه ليعبد
الله بها مخلصا له الدين وهذه هي الخمس وما سوى ذلك فانما يجب باسباب المصالح فلا
يعم وجوبها جميع الناس بل اما ان يكون فرضا على الكفاية كالجهاد والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وما يتبع ذلك من امارة وحكم وفتيا واقرا وتحديث وغير ذلك واما ان
يجب بسبب حق للادميين يختص به من وجب له وعليه وقد يسقط باسقاطه
واذا حصلت المصلحه          بحقوق العباد مثل
قضا الديون ورد المغصوب والعواري والودايع والانصاف من المظالم من الدما
والاموال على شخص دون شخص في حال دون حال لم يجب عبادة محضة لله على كل عبد
قادر ولهذا يشترك فيها المسلمون واليهود والنصارى بخلاف الخمسه فانها من خصايص
المسلمين وكذلك ما يجب من صلة الارحام وحقوق الزوجه والاولاد والجيران والشركا
والفقرا وما يجب من ادا الشهاده والفتيا والقضا والاماره والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والجهاد كل ذلك يجب باسباب عارضة على بعض الاعمال دون بعض لجلب
منافع ودفع مضار لو حصلت بدون فعل الانسان لم يجب فما كان مشتركا فهو
واجب على الكفايه وما كان مختصا فانما يجب على زيد دون عمرو ولا يشترك الناس في
وجوب عمل بعينه على كل احد قادر سوى الخمس فان زوجة زيد واقاربه ليس زوجة
عمرو واقاربه فليس الواجب على هذا مثل الواجب على هذا بخلاف صوم رمضان وحج البيت
والصلوات الخمس والزكاه فان الزكاه وان كانت حقا ماليا فانها واجبه لله والاصناف
الثمانيه مصارفها ولهذا وجب فيها النيه ولم يجز ان يفعلها الغير عنه بلا اذنه ولم
يطلب من الكفار وحقوق العباد لا يشترط لها النيه ولو اداها غيره عنه بغير اذنه
برت ذمته ويطلب بها الكفار وما يجب حقا لله كالكفارات هو بسبب من
العبد وفيها شوب العقوبات فان الواجب لله ثلثة انواع عبادات محضة كالصلاه وعقوبات

[illegible]

هذا صح

محضه كالحدود وما يشبهها والكفارات وكذلك كفارات الحج ونحوها ما لله وان
ذلك يجب بسبب فعل من العبد وهو واجب في ذمته واما الزكوة فانها وجبت حقا
لله في ماله ولهذا يقال ليس في المال حق سوى الزكوة اى ليس فيه حق يجب بسبب المال
سوى الزكوة والا ففيه واجبات بغير سبب المال كما يجب النفقات للاقارب والزوجه
والرقيق والبهائم وحمل العاقلة ويجب قضا الديون ويجب اعطا الاعطا في النايبه (نجب صح)
ويجب اطعام الجائع وكسوة العاري فرضا على الكفايه الى غير ذلك من الواجبات
الماليه لكن بسبب عارض والمال شرط في وجوبها كالاستطاعه في الحج فان البدن
سبب الوجوب والاستطاعه شرط والمال في الزكاه هو السبب والوجوب معه حتى
لو لم يكن في بلده من يستحقها حملها الى بلد اخر فهي حق لله وجب لله تعالى ولهذا قال
من قال من الفقها ان التكليف شرط فيها فلا تجب على الصغير والمجنون واما عامه (ان صح)
الصحابه والجمهور كمالك والشافعي واحمد فاوجبوها في مال الصغير والمجنون لان
مالهما من جنس مال غيرهما وليس يقوم مقامهما خلاف بدنهما فانهما انما يتصرف [تعقلها صح]
وعقلها ناقص وصار هذا كما يجب العشر في ارضها مع انه انما يستحقه النايبه
ولذلك الحاق الكفارات في مالها والصلاه والصيام انما يسقط لعجز العقل عن الايجاب
لاسيما اذا انضم الى عجز البدن كالصغير وهذا المعنى منتف في المال فان الولي
قام مقامهما في العمل كما يجبر ... يقوم مقامها في جميع ما يجب في المال واما بدنها
فلا يجب عليه فيه شي ٥ فصل قال محمد بن نصر واستدلوا على ان الايمان
هو ما ذكروه بالايات التي تلوناها عند ذكر تسميه الصلاه وساير الطاعات ايمانا ٥
واستدلوا ايضا بما قص الله من نبا ابليس حين عصى ربه في سجود واحد امر ان يسجدها
لادم فاباها فهل جحد ابليس ربه وهو يقول رب بما اغويتني ويقول رب انظرني
الى يوم يبعثون ايمانا منه بالبعث وايمانا بنفاذ قدرته في انظاره اياه الى يوم يبعثون
وهل جحد احدا من انبيائه وانكر شيا من سلطانه وهو يحلف بعزته وهل كان كفره الا
بترك سجده واحده امر بها فاباها قال واستدلوا ايضا بما قص الله علينا من
نبا ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر الى قوله فاصبح
من الخاسرين قالوا وهل جحد ربه ولم يجحد وهو يقرب الى الله القربان قالوا قال الله
تعالى



تعالى انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم الايه فلم يقل
اذا ذكروا بها اقروا بها فقط وقال الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون
به يعني يتبعونه حق اتباعه قال قيل فهل مما ذكرت من سنة ثابته تبين ان العمل داخل
في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله قيل نعم عامة السنن والاثار ينطق بذلك فيها
حديث وفد عبد القيس وذكر حديث شعبه وقره ابن خالد عن ابي جمره عن ابن عباس كما
تقدم ولفظه امركم بالايمان بالله وحده ثم قال هل تدرون ما الايمان بالله وحده قالوا
الله ورسوله اعلم قال شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاه وايتا الزكوه
وصوم رمضان وان تعطوا الخمس مما غنمتم وذكر احاديث كثيره توجب دخول الاعمال في
الايمان مثل قوله في حديث لما سيل النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال ابو عبد الله محمد ابن نصر اختلف اصحابنا في تفسير قول النبي صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني وهو مومن فقالت طايفه منهم انما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ازاله اسم الايما
عنه من غير ان يخرجه من الاسلام ولا يزيل عنه اسمه وفرقوا بين الايمان والاسلام وقالوا
اذا زنى فليس بمومن وهو مسلم واحتجوا بالفرق بين الايمان والاسلام والايمان
بقوله تعالى قالت الاعراب امنا الايه فقالوا الايمان خاص يثبت به الاسم بالعمل مع التو (حيه)
والاسلام عام يثبت به الاسم بالتوحيد والخروج من الكفر واحتجوا بحديث سعد ابن
ابي وقاص وذكره عن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى رجالا ولم يعط رجلا
منهم شيا فقلت يا رسول الله اعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا وهو مومن فقال
النبي صلى الله عليه وسلم او مسلم اعادها ثلاثا والنبي يقول او مسلم ثم قال اني لاعطي رجالا (ملل صح)
وادع من هو احب الي منهم مخافة ان يكبوا على وجوههم في النار قال الزهري فنرى
الاسلام الكلمه والايمان العمل قال محمد بن نصر واحتجوا بانكار عبد الله ابن مسعود على
من شهد لنفسه بالايمان فقال انا مومن من غير استثنا ولذلك اصحابه من بعده وجل
علما الكوفه على ذلك واحتجوا بحديث ابي هريره يخرج منه الايمان فان رجع رجع اليه
وبما اشبه ذلك من الاخبار وبما روي عن الحسن ومحمد بن سيرين انهما كانا يقولان مسلم
ولا نقول مومن واحتجوا بقول ابي جعفر الذي حدثناه اسحق ابن ابرهيم انا وهب ابن
جرير ابن حازم حدثني ابي عن فضيل ابن يسار عن ابي جعفر محمد ابن علي انه سيل عن

قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن فقال ابو جعفر هذا
الاسلام ودوره دارة واسعة وهذا الايمان ودوره دارة صغيرة في وسط الكبيرة
فاذا زنى او سرق خرج من الايمان الى الاسلام ولا يخرجه من الاسلام الى الكفر بالله ٥
واحتجوا بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسلم الناس وامن عمرو بن العاص
حدثناك يحيى بن يحيى انا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر الجهني ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اسلم الناس وامن عمرو بن العاص وذكر عن حماد بن زيد انه
كان يفرق بين الاسلام والايمان فجعل الايمان خاصا والاسلام عاما قال قلنا في هولا
اسوعنهم فدع معاشت ذلك من النظر وذلك ان الله جعل اسم المومن اسم ثنا
وتزكية ومدحة اوجب عليه الجنة فقال وكان بالمومنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام
واعد لهم اجرا كريما وقال وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال وبشر الذين امنوا
ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم وقال الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار قال ثم اوجب الله النار على
الكباير فدل بذلك على ان اسم الايمان زايل عمن اتى كبيرة قالوا ولم نجده اوجب
الجنة باسم الاسلام فثبت ان اسم الاسلام له ثابت على حاله واسم الايمان زايل عنه
فان قيل في قولهم هذا ليس الايمان ضد الكفر قالوا الكفر ضد الاصل الايمان لان
للايمان اصلا وفرعا فلا يثبت الكفر حتى يزول اصل الايمان الذي هو ضد الكفر
فان قيل لهم فالذين زعمتم ان النبي صلى الله عليه وسلم ازال عنهم اسم الايمان هل فيه
من الايمان شي قالوا نعم اصله ثابت ولولا ذلك لكفروا الم تسمع الى ابن مسعود انكر
على الذي شهد انه مومن ثم قال لكنا نومن بالله وملايكته وكتبه ورسله يخبرك انه قد
امن من جهة انه صدق وانه لا يستحق اسم المومن اذا كان يعلم انه مقصر لانه لا يستحق
هذا الاسم عنده الا من ادى ما وجب عليه وانتهى عما حرم عليه من الموجبات للنار
التي هي الكباير قالوا فلما ابان الله ان هذا الاسم يستحقه من قد استحق الجنة وان الله تعالى
قد اوجب الجنة عليه وعلمنا انا قد امنا وصدقنا لانه لا يخرج من التصديق الا بالتكذيب
ولسنا شاكين ولا مكذبين وعلمنا انا عاصون له مستوجبون للعذاب وهو ضد

الثواب

بلغ مقابلة



الثواب الذي حكم الله به للمومنين على اسم الايمان علمنا انا اذا قد امنا وامسكنا عن الاسم
الذي اوجب الله عليه الحكم بالجنة وهو من الله اسم ثنا وتزكية وقد نهانا الله ان نزكي انفسنا
وامرنا بالخوف على انفسنا واوجب علينا العذاب بعصياننا فعلمنا انا لسنا مستحقين
باسم المومنين اذا اوجب الله على اسم الايمان الثنا والتزكية والرحمة والرافة والمغفرة
والجنة واوجب على الكباير النار وهذان حكمان متضادان فان قيل
كيف امسكتم عن اسم الايمان ان تسموا به وانتم تزعمون ان اصل الايمان في قلوبكم وهو
التصديق بان الله حق وما قاله صدق قالوا ان الله ورسوله وجماهير المسلمين يسمون
الاشيا بما غلب عليها من الاسما فسموا الزاني فاسقا والقاذف فاسقا وشارب الخمر فاسقا
ولم يسموا واحدا من هولا متقيا ولا ورعا وقد اجمع المسلمون ان اصل التقوى والورع وذلك فيه صح
انه يتقي بان يكفر وان يشرك به شيا وكذلك يتقي الله ان يترك الغسل من الجنابة او
الصلوة ويتقي ان ياتي امه فهو في جميع ذلك متق وقد اجمع المسلمون من الموافقين
والمخالفين انهم لا يسمونه متقيا ولا ورعا اذا كان ياتي بالفجور فلما اجمعوا ان اصل التقى
والورع ثابت فيه وانه قد يزيد فيه فروعا بعد الاصل كتورعه عن اتيان المحارم ثم
لا يسمونه متقيا ولا ورعا مع اتيانه بعض الكباير بل سموه فاسقا فاجرا مع علمهم انه قد
اتى بعض التقى والورع فمنعهم من ذلك ان اسم التقى اسم ثناء وتزكية وان الله
قد اوجب عليه المغفرة والجنة قالوا فلذلك لا نسميه مومنا ونسميه فاسقا زانيا وان
كان اصل في قلبه اسم الايمان لان الايمان اسم اثنى الله به على المومنين وزكاهم به واوجب
عليه الجنة ثم قلنا مسلم ولم نقل مومن قالوا ولو كان احد من الموحدين يستحق ان لا المسلمين صح
يكون في قلبه ايمان ولا اسلام لكان احق الناس بذلك اهل النار الذين دخلوها
فلما وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم يخبر ان الله يقول اخرجوا من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من ايمان ثبت ان شر المسلمين في قلبه ايمان ولما وجدنا الامة
تحكم عليه بالاحكام التي الزمها الله للمسلمين ولا يكفرونهم ولا يشهدون لهم بالجنة
ثبت انهم مسلمون اذا اجمعوا ان يمضوا عليهم احكام المسلمين وانهم لا يستحقون
ان يسموا مومنين اذ كان اسم الاسلام يثبت للملة التي يخرج بها المسلم من جميع الملل اسمه صح
الا الاسلام ويثبت احكام الاسلام عليه وتزول عنه احكام جميع الملل فان قال

لهم قايل لم لم تقولوا كافر ان شا الله تريدون به كمال الكفر كما قلتم مومن ان شا الله
تريدون به كمال الايمان قالوا لان الكافر منكر للحق والمومن اصل ايمانه الاقرار
والانكار لا اول له ولا اخر فينتظر به الحقايق والايمان اصله التصديق والاقرار به [illegible] (ينتظر صح)
لادا ما اقر والتحقيق لما صدق ومثل ذلك كمثل رجلين عليهما حق لرجل فسال احدهما
حقه فقال ليس لك عندي حق فانكر وجحد فلم يبق له منزلة يحقق بها ما قال اذ جحد وانكر
وسال الاخر حقه فقال نعم لك عندي على كذا وكذا فليس اقراره بالذي يصل اليه بذلك (ما صح)
حقه وان لم يوفه حقه فهو منتظر له ان يحقق ما قال بالادا ويصدق اقراره بالوفا ولو
اقر ثم لم يود اليه حقه فان ادى اجزا منه حقق بعض ما قال ووفا ببعض ما اقر به وكلما
ادى جزا ازداد تحقيقا لما اقر به وعلى المومن الادا ابدا لما اقر به حتى يموت فمن ثم قلنا
نقول مومن ان شا الله ولم نقل كافر ان شا الله قال ——— محمد بن نصر وقالت
طايفة اخرى من اصحاب الحديث بمثل مقالة هولا الا انهم سموه مسلما لخروجه من ملل الكفر
ولاقراره بالله وبما قال ولم يسموه مومنا وزعموا انهم مع تسميتهم اياه بالاسلام كافر لا كافر
بالله ولكن كافر من طريق العمل وقالوا كفر لا ينقل عن الملة وقالوا محال ان يقول النبي صلى الله
عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والكفر ضد الايمان فيزول عنه اسم الايمان
الا واسم الكفر لازم له لان الكفر ضد الايمان الا ان الكفر كفران كفر هو جحد بالله وبما
قال فذاك ضد الاقرار بالله والتصديق به وبما قال وكفر عمل هو ضد الايمان الذي هو
عمل الا ترى الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يومن احدكم من لا يامن جاره
بوايقه قالوا فاذا لم يومن فقد كفر ولا يجوز غير ذلك الا انه كفر من جهة العمل اذ لم
يومن من جهة العمل لانه لا يضيع المفترض عليه ويترك الكباير الا من قلة خوفه
وانما يقل خوفه من قلة تعظيمه لله ووعيده فقد ترك من الايمان التعظيم الذي صدر عنه الخوف
والورع عن الخوف فاقسم النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يومن من اذا لم يامن جاره بوايقه
ثم قد روى جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قتال المسلم كفر وانه قال لاخيه يا كافر (اذا صح)
فلم يكن لذلك بايا بالكفر فقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم بقتاله اخاه كافرا وبقوله له يا
كافر كافرا وهذه الكلمة دون الزنا والسرقة قالوا فاما قول من احتج علينا فزعم
انا اذا سميناه كافرا لزمنا ان نحكم عليه بحكم الكافرين بالله فنستتيبه ونبطل الحدود

عنه



عنه لانه اذا كفر فقد زالت عنه احكام المومنين وحدودهم وفي ذلك اسقاط الحدود
واحكام المومنين عن كل من اتى كبيرة فانا لم نذهب في ذلك الى حيث ذهبوا ولكنا
نقول للايمان اصل وفرع وضد الايمان الكفر في كل معنى فاصل الايمان الاقرار
والتصديق الذي هو اصل الايمان الكفر بالله وبما قال وترك التصديق به وله وضد
الايمان الذي هو عمل وليس هو اقرار كفر ليس بكفر ولكن كفر تضييع عمل كما كان العمل
ايمانا وليس هو الايمان الذي هو اقرار بالله فكما كان من ترك الايمان الذي هو اقرار بالله
كافرا يستتاب ومن ترك الايمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم او ترك
الورع عن شرب الخمر والزنا قد زال عنه بعض الايمان ولا يجب ان يستتاب عندنا ولا
عندنا ولا عند من خالفنا من اهل السنة واهل البدع ممن قال ان الايمان تصديق وعمل الا
الجوارح وحدها فلذلك لا يجب بقولنا كافر من جهة تضييع العمل ان يستتاب ولا تزول
عنه الحدود وكما لم يكن بزوال الايمان الذي هو عمل استتابته ولا ازالة الحدود عنه
اذ لم يزل اصل الايمان عنه فكذلك لا يجب علينا استتابته وازالة الحدود والاحكام
عنه باثباتنا له اسم الكفر من قبل العمل اذ لم يات باصل الكفر الذي هو جحد بالله
او بما قال قالوا ولما كان العلم بالله ايمانا والجهل به كفرا وكان العمل بالفرايض
ايمانا والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقروا
بالله اول ما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الفرايض التي افترضت عليهم (اليهم صح)
بعد ذلك فلم يكن جهلهم بذلك كفرا ثم انزل الله عليهم الفرايض فكان اقرارهم بها
والقيام بها ايمانا وانما يكفر من جحدها لتكذيبه خبر الله ولو لم يات خبر من الله
ما كان بجهلها كافرا وبعد مجي الخبر من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهلها كافرا والجهل
بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر قالوا فمن ثم قلنا ان ترك التصديق بالله كفر
وان ترك الفرايض مع تصديق الله انه اوجبها كفر ليس بكفر بالله انما هو كفر من جهة
ترك الحق كما يقول القايل كفرتني حقي ونعمتي يريد ضيعت حقي وضيعت
شكر نعمتي قالوا ولنا في هذا قدوة بمن روى عنهم من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتابعين اذ جعلوا للكفر فروعا دون اصله لا تنقل صاحبه عن ملة الا سلام
كما اثبتوا للايمان من جهة العمل فرعا للاصل لا ينقل بتركه عن ملة الاسلام من ذلك

قول ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ن قال
محمد بن نصر ثنا يحيى ابن يحيى ثنا سفيان ابن عيينة عن هشام عن طاوس عن ابن عباس
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ليس بالكفر الذي يذهبون اليه ن
ثنا محمد بن يحيى ومحمد بن رافع قالا ثنا عبد الرزاق ومعمر عن ابن طاوس عن ابيه قال سئل
ابن عباس عن قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال هي به كفر قال
ابن طاوس وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ثنا اسحق ثنا وكيع عن سفيان عن
معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابن عباس قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته
وكتبه ورسله ن وبه ثنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن ابيه قال قلت لابن عباس
ومن لم يحكم بما انزل الله فهو كافر قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله (واليوم الاخر صح)
ثنا محمد بن رافع ثنا عبد الرزاق عن سفيان عن رجل عن طاوس عن ابن عباس قال كفر لا ينقل
عن الملة ن ثنا اسحق انا وكيع عن سفيان عن ابن جريج سعيد المكي عن طاوس قال ليس بكفر
ينقل عن الملة ن ثنا اسحق ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطا قال كفر دون كفر وظلم دون
ظلم وفسق دون فسق قال وقد صدق عطا قد يسمى الكافر ويسمى العاصي من المسلمين
ظالما فظلم ينقل عن الاسلام وظلم لا ينقل قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (ظلم صح)
اولئك لهم الامن وهم مهتدون ن وقال ان الشرك لظلم عظيم ن وذكر حديث ابن مسعود
المتفق عليه قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بذلك الا تسمعوا الى
قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك ن ثنا محمد بن يحيى ثنا الحجاج ابن منهال
عن حماد ابن سلمة عن علي ابن زيد عن يوسف ابن مهران عن ابن عباس ان عمر ابن الخطاب كان اذا
دخل بيته نشر المصحف فقرا فدخل ذات يوم فقرا فاتى على هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم الى اخر الاية فانتعل واخذ رداه ثم اتى ابي ابن كعب فقال يا ابا المنذر اتيت على (قبل صح)
هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقد ترى انا نظلم ونفعل فقال يا امير المومنين
ان هذا ليس بذاك يقول الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم انما ذلك الشرك ن قال
محمد بن نصر وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة وفسق لا ينقل عن الملة فيسمى الكافر
فاسقا والفاسق من المسلمين فاسقا ذكر الله تعالى ابليس فقال ففسق عن امر ربه وكان ذلك

الفسق



الفسق منه كفرا وقال الله تعالى واما الذين فسقوا فماواهم النار يريد الكفار دل على
ذلك قوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون ن وسمى الفاسق من المسلمين فاسقا ولم يخرجه من الاسلام قال الله تعالى ن
والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم
شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون ن وقال تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا
فسوق ولا جدال في الحج فقالت العلما في تفسير الفسوق هاهنا هي المعاصي قالوا فلما كان
الظلم ظلمين والفسق فسقين كذلك الكفر كفران احدهما ينقل عن الملة والاخر لا ينقل
عن الملة وهو الريا قال الله تعالى فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك
بعبادة ربه احدا يريد بذلك المراءاة بالاعمال الصالحة ن وقال النبي صلى الله عليه
وسلم الطيرة شرك ن قال محمد بن نصر فهذان مذهبان هما في الجملة محكيان عن احمد بن حنبل
في موافقيه من اصحاب الحديث حكى الشالنجي اسمعيل ابن سعيد انه سال احمد بن حنبل عن
المصر على الكباير يطلبها بجهده الا انه لم يترك الصلاة والصوم والزكاة هل يكون مصرا
من (كانت صح) هذه حالة قالوا هو مصر مثل قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن يخرج من الايمان
ويقع في الاسلام ومن نحو قوله لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن ولا يسرق حين يسرق
وهو مومن ومن نحو قول ابن عباس في قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
فقلت له ما هذا الكفر فقال كفر لا ينقل عن الملة مثل الايمان بعضه دون بعض فكذلك
الكفر حتى يجي من ذلك امر لا يختلف فيه ن وقال ابن ابي شيبة لا يزني حين يزني
وهو مومن لا يكون مستكمل الايمان يكون ناقصا من ايمانه ن قال وسالت احمد بن حنبل
عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام اقرار قال وبه قال ابو خيثمة
وقال ابن ابي شيبة لا يكون الاسلام الا بايمان ولا ايمان الا باسلام ن قلت
وقد تقدم تمام الكلام بتلازمهما وان كان مسمى احدهما ليس هو مسمى الاخر ن وقد
حكى غير واحد اجماع اهل السنة والحديث على ان الايمان قول وعمل قال ابو عمر ابن عبد
البر في التمهيد اجمع اهل الفقه والحديث على ان الايمان قول وعمل ولا عمل الا بنية والايمان
عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها عندهم ايمان الا ما ذكر
عن ابي حنيفة واصحابه فانهم ذهبوا الى ان الطاعات لا تسمى ايمانا قالوا انما الايمان التصديق

حاشية: ولذا الشرك شركان شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن الملة صح

والاقرار ومنهم من زاد المعرفة وذكر ما احتجوا به الى ان قال واما سائر الفقهاء من
اهل الراي والاثار بالحجاز والعراق والشام ومصر منهم مالك ابن انس والليث ابن سعد
وسفين الثوري والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وابي عبيد القسم
ابن سلام ومن سلك سبيلهم فقالوا الايمان قول وعمل قول باللسان وهو الاقرار

وداود بن علي والطبري صح

واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع الاخلاص بالنية الصادقة قالوا وكلما يطاع الله به
عز وجل من فريضة ونافلة فهو من الايمان والايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي واهل
الذنوب عندهم مومنون غير مستكملي الايمان من اجل ذنوبهم وانما صاروا ناقصي الايمان
بارتكابهم الكباير الا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو
مومن الحديث يريد مستكمل الايمان ولم يرد به نفي جميع الايمان عن فاعل ذلك بدليل
الاجماع على توريث الزاني والسارق وشارب الخمر اذا صلوا الى القبلة وانتحلوا دعوة الاسلام
من قراباتهم المومنين الذين ليسوا بتلك الاحوال واحتج على ذلك ثم قال واكثر اصحاب
مالك على ان الايمان والاسلام شيء واحد ن قال واما المعتزلة فالايمان عندهم
جماع الطاعات ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق لا مومن ولا كافر وهولاء هم المحققون
بالاعتزال اصحاب المنزلة بين المنزلتين الى ان قال وعلى ان الايمان يزيد وينقص يزيد
بالطاعة وينقص بالمعصية جماعة اهل الاثار والفقهاء اهل الفتيا في الامصار ن وروى
ابن القاسم عن مالك ان الايمان يزيد وتوقف في نقصانه ن وروى عنه عبد الرزاق
ومعن بن عيسى وابن نافع انه يزيد وينقص وعلى هذا مذاهب الجماعة من اهل الحديث والحمد لله ن

ابن صح

ثم ذكر حجج المرجية ثم حجج اهل السنة ورد على الخوارج التكفير بالحدود المدلولة للعصاة
في الزنا والسرقة ونحو ذلك وبالموارثة وبحديث عبادة من اصاب من ذلك شيئا فهو
فعوقب به في الدنيا فهو كفارة وقال للايمان مراتب بعضها فوق بعض فليس ناقص الايمان
ككامل الايمان قال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية اي حقا ولذلك قال هم المومنون حقا ولذلك قوله
صلى الله عليه وسلم المومن من امنه الناس على دمائهم واموالهم والمسلم من سلم المسلمون من
لسانه ويده يعني حقا ومن هذا قوله اكمل المومنين ن ومعلوم ان هذا لا يكون اكمل
حتى يكون غيره انقص وقوله اوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله ن وقوله
لا



لا ايمان لمن لا امانة له يدل على ان بعض الايمان اوثق واكمل من بعض وذكر الحديث
الذي رواه الترمذي من احب لله وابغض لله الحديث ولذلك ذكر ابو عمر الطلمنكي اجماع

وغيره صح

اهل السنة على ان الايمان قول وعمل ونية واصابة السنة ن وقال ابو طالب المكي مباني
الاسلام الخمسة يعني الشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصيام شهر رمضان
والحج ن قال واركان الايمان سبعة الايمان يعني الخمسة المذكورة في حديث جبريل والايمان

ن

بالقدر والايمان بالجنة والنار وكلاهما قد روي في حديث جبريل كما سنذكر ان شاء الله
تعالى ن قال والايمان بالله وصفاته والايمان بكتب الله وانبيائه والايمان بالملائكة والشيا

طين باسمائهم

يعني والله اعلم الايمان بالفرق بينهما فان من الناس من جعلهما جنسا واحدا لكن يختلف
باختلاف الاعمال كاختلاف الانسان البر والفاجر والايمان بالجنة والنار وانهما قد خلقتا
قبل ادم والايمان بالبعث بعد الموت والايمان بجميع اقدار الله خيرها وشرها حلوها ومرها
انها من الله قضاء وقدرا مشيئة وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة بالغة استاثر بحكمها
بعلم غيبها وبمعنى حقايقها قال وقد قال قايلون ان الايمان هو الاسلام وهذا قد اذهب
التفاوت والمقامات ن وهذا يقرب من مذاهب المرجية وقال اخرون ان الاسلام
غير الايمان وهولاء قد ادخلوا التضاد والتغاير وهذا اقرب من قول الاباضية فهذه

قريب

مسئلة مشكلة تحتاج الى شرح وتفصيل ه فمثل الاسلام والايمان كمثل الشهادتين

من صح

احداهما من الاخرى في المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة الوحدانية فهما شيئان
في الاعيان واحداهما مرتبطة بالاخرى في المعنى والحكم كشيء واحد كذلك الايمان والا
سلام احدهما مرتبط بالاخر فهما كشيء واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان
له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا يخلو المومن من اسلام به يحقق ايمانه
من حيث اشترط الله للاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال في تحقيق
ذلك ومن يعمل من الصالحات وهو مومن فلا كفران لسعيه وقال في تحقيق الايمان بالعمل ومن
ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى فمن كان ظاهره اعمال الاسلام
لا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان
بالغيب ولا يعمل باحكام الايمان وشرايع الاسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه
توحيد ومن كان مومنا بالغيب مما اخبرت به الرسل عن الله عاملا بما امر الله فهو مومن

مسلم ولولا انه لذلك لكان المومن يجوز ان لا يسمى مسلما وجاز ان المسلم لا يسمى مومنا بالله
وقد اجمع اهل القبلة على ان كل مومن مسلم وكل مسلم مومن بالله ولكتبه قال ومثل الايمان
في الاعمال كمثل القلب في الجسم لا ينفك احدهما عن الاخر لا يكون ذو جسم حي لا قلب له
ولا ذو قلب بغير جسم فهما شيئان منفردان وهما في الحكم والمعنى منفصلان ومثلهما ايضا
مثل حبة لها ظاهر وباطن وهي واحدة لا يقال حبتان لتفاوت صفتهما فكذلك اعمال الاسلام
من الاسلام الاسلام هو ظاهر الايمان وهو من اعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو
من اعمال القلوب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسلام علانية والايمان
في القلب وفي لفظ الايمان سر فالاسلام اعمال الايمان والايمان عقود الاسلام فلا ايمان
الا بعمل ولا عمل الا بعقد ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن احدهما مرتبط بصاحبه
من اعمال القلوب وعمل الجوارح ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
اي لا عمل الا بعقد وقصد لان انما تحقيق للشيء ونفي لما سواه فاثبت بذلك عمل الجوارح
من المعاملات وعمل القلوب من النيات فمثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان
لا يصح الكلام الا بهما لان الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفي سقوط
احدهما بطلان الكلام وكذلك في سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك حين عدد الله
على الانسان ذكر الشفتين مع اللسان في قوله الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين — بالكلام صح
معنى الم نجعله ناطقا متكلما فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لانهما مكان له
وذكر الشفتين لان الكلام الذي جرت به النعمة لا يتم الا بهما ومثل الايمان والاسلام
ايضا كالفسطاط قائما في الارض له ظاهر واطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط
مثل الاسلام له اركان من اعمال العلانية والجوارح وهي الاطناب التي تمسك ارجاء
الفسطاط والعمود الذي في وسط الفسطاط مثله كالايمان لا قيام للفسطاط
الا به فقد احتاج الفسطاط اليها اذ لا قوام له ولا قوة الا بهما كذلك الاسلام في اعمال
الجوارح لا قوام له الا بالايمان والايمان من اعمال القلوب لا ينفع الا بالاسلام وهو
صالح الاعمال وايضا فان الله قد جعل ضد الاسلام والايمان واحدا فلولا انهما كشيء واحد
في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحدا فقال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فجعل ضدهما الكفر قال وعلى مثل هذا اخبر
الرسول



الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاسلام من صنف واحد فقال في
حديث ابن عمر بني الاسلام على خمس وقال في حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس
انهم سالوه عن الايمان فذكر هذه الاوصاف فدل بذلك على انه لا ايمان باطن الا باسلام
ظاهر ولا اسلام ظاهر علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل قرينان لا ينفع احدهما بدون
الاخر صاحبه قال فاما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل بين الايمان
والاسلام فان ذلك تفصيل اعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني التي
وصفها ان تكون عقودا من تفصيل الاعمال الجوارح مما توجبه الافعال الظاهرة
التي وصفها ان تكون علانية لا ان ذلك تفريق بين الاسلام والايمان في المعنى باختلاف
وتضاد ليس فيه دليل انهما مختلفان في الحكم قال ويجتمعان في عبد واحد مسلم مومن
فيكون ما ذكر من عقود القلب وصف قلبه وما ذكر من العلانية وصف جسمه قال
وايضا فان الامة مجتمعة ان العبد لو امن بجميع ما ذكر من عقود القلب في حديث جبريل
من وصف الايمان ولم يعمل بما ذكرناه من وصف الاسلام انه لا يسمى مومنا وانه ان عمل
بجميع ما وصف به الاسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلما وقد اخبر
النبي صلى الله عليه وسلم ان الامة لا تجتمع على ضلالة قلت كانه اراد
بذلك اجماع الصحابة ومن اتبعهم او انه لا يثبت مومنا في الاحكام وانه لا يكون مسلما اذا
انكر بعض هذه الاركان او علم ان الرسول اخبر بها ولم يصدقه او انه لم يرد خلاف
اهل الاهواء خلافا والا فابو طالب كان عارفا بامره وهذا والله اعلم مراده فانه
عقد الفصل الثالث والثلثين في بيان تفصيل الاسلام وشرح عقود معاملة القلب — والايمان صح
من مذاهب اهل الجماعة وهذا الذي قاله اجود مما قاله كثير من الناس لكن ينازع
في شيئين احدهما ان المسلم المستحق للثواب لا بد ان يكون معه الايمان الواجب المفصل
المذكور في حديث جبريل والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم انما نفى مطلق مومن دون — ن
مسلم في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم او مسلم لكونه ليس من خواص المومنين وافاضلهم
كانه يقول لكونه ليس من السابقين المقربين بل من المقتصدين الابرار فهذا مما نازع
فيه جمهور العلماء ويقولون لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الرجل او مسلم لكونه
لم يكن من خواص المومنين وافاضلهم كالسابقين المقربين فان هذا لو كان لذلك لكان

ينفي الايمان المطلق عن الابرار المقتصدين المتقين الموعودين بالجنة بلا عذاب
اذ كانوا من اصحاب اليمين ولم يكونوا من السابقين والمقربين وليس الامر كذلك بل
كل من اصحاب اليمين مع السابقين المقربين كلهم مومنون موعودون بالجنة بلا عذاب
وكل من كان كذلك فهو باتفاق المسلمين من اهل السنة واهل البدع ولو جاز ان ينفى
الاسم الايمان عن شخص لكون غيره افضل منه ايمانا لنفي الايمان عن اكثر اولياء الله المتقين
بل وعن كثير من الانبياء وهذا في غاية الفساد وهذا من جنس قول من يقول نفي الاسم
لنفي كماله المستحب وقد ذكرنا ان مثل هذا لا يوجد في كلام الله ورسوله بل هذا الحد
حصر من قيل فيه مسلم وليس بمومن فلا بد ان يكون ناقصا عن درجة الابرار المقتصدين
اهل الجنة ويكون ايمانه ناقصا عن ايمان هولاء فلا يكون قد اتى بالايمان الذي امر به هولاء
كله ثم ان كان قادرا على ذلك الايمان وترك الواجب كان مستحقا للذم وان قدر انه
لا يقدر على ذلك الايمان وترك الذي اتصف به هولاء كان عاجزا عن مثل ايمانهم ولا
يكون هذا وجب عليه فهو وان دخل الجنة لا يكون كمن قدر انه امن ايمانا مجملا ومات
قبل ان يعلم تفصيل الايمان وقبل ان يتحقق به ويعمل شيء منه فهو يدخل الجنة لكن لا
يكون مثل اولئك لكن قد تفاضل الابرار اهل اليمين هم ايضا على درجات كما في الحديث
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف
وفي كل خير فدرجة المومن القوي في الجنة اعلا وان كان كل منهما اكمل ما وجب
عليه وقد يريد ابو طالب وغيره بقولهم ليس هذا من خواص المومنين هذا المعنى اي
ليس ممن ايمانه كايمان من حقق خاصة الايمان سوا كان من الابرار او من المقربين وان
لم يكن ترك واجبا لعجزه عنه او لكونه لم يومر به فلا يكون مذموما ولا يمدح مدح اولئك
ولا يلزم ان يكون من اولئك المقربين فيقال وهذا ايضا لا ينفى عنه الايمان فيقال
هو مسلم لا مومن كما يقال ليس بعالم ولا مفت ولا هو من اهل الاجتهاد وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهذا لانه
وليس كلما فضل به الفاضل يكون مقدورا لمن دونه فكذلك من حقائق الايمان ما لا
يقدر عليه كثير من الناس بل ولا اكثرهم فهولاء يدخلون الجنة وان لم يكونوا ممن حققوا
حقائق الايمان التي فضل الله بها غيرهم ولا تركوا واجبا عليهم وان كان واجبا على غيرهم
ولهذا



ولهذا كان من الايمان ما هو من المواهب والفضل من الله فانه من جنس العلم والاسلام
الظاهر من جنس العمل وقد قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم
وقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ومثل هذه السكينة قد لا يكون مقدورا ولكن الله يجعل ذلك
في قلبه فضلا منه وجزا على عمل سابق كما قال ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا
لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما وكما قال
اتقوا الله وامنوا برسوله يوتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به وكما قال
اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ولهذا قيل من عمل بما علم ورثه الله علم (بعلم صح)
ما لم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وان كان ما يقدرون عليه من الاعمال الظاهرة
والباطنة هو ايضا بفضل الله واعانته واقداره لهم لكن الامر قسمان منه ما جنسه
مقدور لهم باعانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم اذ قيل
ان الله يعطي من الطاعة قوة في قلبه وبدنه يكون بها قادرا على ما لا يقدر عليه غيره فهذا ايضا
حق وهو من جنس هذا المعنى قال تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين
امنوا وقد قال فاذا لقيتم فية فاثبتوا فامرهم بالثبات وهذا الثبات يوحي الى الملائكة انهم
يفعلونه بالمومنين والمقصود انه قد يكون من الايمان ما يومر به بعض الناس ويذم على
تركه ولا يذم على بعض الناس ممن لا يقدر عليه ويفضل الله ذاك بهذا الايمان (عليه صح)
وان لم يقصد بالمفضول ترك واجبا فيقال ولذلك في الاعمال الظاهرة يومر
القادر على الفعل بما لا يومر به العاجز عنه ويومر بعض الناس بما لا يومر به غيره لكن
الاعمال الظاهرة قد يعطى الانسان مثل اجر العامل اذا كان يومن بها ويريدها جهده
ولكن بدنه عاجز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان بالمدينة لرجالا
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة
حبسهم العذر وكما قال تعالى لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر
والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم
على القاعدين درجة فاستثنى اولي الضرر وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه من غير ان ينقص من اجورهم

شيا ومن دعى الى ضلاله كان عليه من الوزر مثل اوزار من اتبعه من غير ان ينقص
من اوزارهم شيا وفي حديث ابي كبشه الانماري هما في الاجر سوا وهما في الوزر سوا رواه
الترمذي وصححه ولفظه انما الدنيا لاربعه رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يتقي في ذلك المال
ربه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا
كالشخصان فانهما تماثلا في ايمان القلوب معرفه وتصديقا وحبا وقوه وحالا ومقاما فقد
تماثلا وان كان لاحدهما من اعمال البدن ما يعجز عنه بدن الاخر عاجلا في الاثر ان المومن
قوته في قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ليس الشديد بالصرعه انما الشديد الذي
يملك نفسه عند الغضب وقد قال رايت اني انزع على قليب فاخذها ابن ابي قحافه
فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فاخذها ابن الخطاب فاستحالت
في يده غربا فلم ار عبقريا يفري فريه حتى صدر الناس بعطن فذكر ان ابا بكر اضعف
وسوا اراد قصر مدته او اراد ضعفه عن مثل قوه عمر فلا ريب ان ابا بكر اقوى ايمانا من
عمر وعمر اقوى عملا منه كما قال ابن مسعود ما زلنا اعزه منذ اسلم عمر وقوه الايمان
اكمل من قوه العمل وصاحب الايمان يكتب له اجر عمل غيره وما فعله عمر في سيرته
مكتوب مثله لابي بكر فانه هو الذي استخلفه وفي المسند من وجوه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم وزن بالامه فرجح ثم وزن ابا بكر بالامه فرجح ثم وزن عمر
بالامه فرجح وكان في حياه النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته يحصل لعمر بسبب ابي بكر من
الايمان والعلم ما لم يكن عنده فهو قد دعاه الى ما فعله من خير واعانه عليه بجهده والمعين
على الفعل اذا كان يريده اراده جازمه كان كفاعله كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من جهز غازيا فقد غزا وقال من دل على خير فله مثل اجر فاعله وقال
من فطر صايما فله مثل اجره وقد روى في الترمذي من عزى مصابا فله مثل اجره وهذا
وغيره مما بين ان الشخصين قد يتماثلان في الاعمال الظاهره بل يتفاضلان ويكون المفضول
منهما افضل عند الله من الاخر لانه افضل في الايمان الذي في القلب واما اذا تماثلا في
ايمان القلوب فلا يكون المفضول منه افضل عند الله البته وان كان المفضول
لم يهبه الله من الايمان ما وهبه للفاضل ولا اعطاه من الاسباب التي بها نال

ذلك



ذلك الايمان الفاضل بما اعطي المفضول ولهذا فضل الله بعض النبيين على بعض وان
كان الفاضل اقل عملا بالبدن كما فضل الله نبينا صلى الله عليه وسلم ومده نبوته بضع وعشرين
سنه على نوح وقد لبث في قومه الف سنه الا خمسين عاما وفضل امته امه محمد وقد عملوا
من صلوه العصر الى المغرب على من عمل من اول النهار الى صلوه الظهر ومن الظهر الى صلاه
العصر فاعطى امه محمد اجرين واعطى كلا من اوليك اجرا اجرا لان الايمان الذي في قلوبهم
كان اكمل وافضل وكان اوليك اكثر عملا وهولاء اعظم اجرا وهو فضله يوتيه من يشا
بالاسباب التي تفضل بها عليهم وخصهم بها وهذه اسباب من فضله الله تعالى فانه يفضله
بالاسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزا كما يخص احد الشخصين بقوه ينال بها العلم
وبقوه ينال بها العفه والصبر والتوكل والاخلاص وغير ذلك مما يفضله الله به وانما فضله
الله في الجزاء بما فضل به من الايمان كما قال تعالى وقالت طايفه من اهل الكتاب امنوا
بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تومنوا الا لمن
تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند
ربكم قل ان الفضل بيد الله وقال في الايه الاخرى الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقال الله يصطفي من الملايكه رسلا ومن الناس وقال يغفر لمن يشا ويعذب من يشا
وقد بين الله في مواضع كثيره اسباب المغفره واسباب العذاب وكذلك يرزق من
يشا بغير حساب وقد عرف انه قد يخص من يشا باسباب الرزق واذا كان من
الايمان ما يعجز عنه كثير من الناس ويختص الله به من يشا فذلك مما يفضلهم الله به
وذلك الايمان ينفى عن غيرهم لكن لا على وجه الذم بل على وجه التفضيل فان الذم
انما يكون على وجه ترك مامور او فعل محظور لكن هي ما ذكره ابو طالب يقال فمثل هولاء
مسلمون لا مومنون باعتبار ويقال انهم مومنون باعتبار اخر وعلى هذا نفي الايمان
عمن فاته الكمال المستحب بل الكمال الذي يفضل به على من فاته وان كان غير مقدور
للعباد بل نفي عنه الكمال الذي وجب على غيره وان لم يكن في حقه لا واجبا ولا مستحبا
لكن هذا لا يعرف في كلام الشارع ولم يعرف في كلامه الا ان نفي الايمان يقتضي
الذم حيث كان فلا يقع الا عمن له ذنب فتبين ان قوله او مسلم يتوقف في ادا الواجبات
الباطنه والظاهره كما قاله اكابر الناس ثم طايفه يقولون قد يكون منافقا البته

شي من الايمان وهم الذين يقولون الاعراب المذكورون منافقون ليس معهم من الايمان
شي وهذا هو القول الذي نصره طايفة كمحمد ابن نصر والاكثرون يقولون بل هولاء لم
يكونوا من المنافقين الذين لا يقبل منهم شي من العمل وان كان فيهم شعبة نفاق بل كان
معهم تصديق يقبل معه منهم ما عملوه لله ولهذا جعلهم مسلمين ولهذا قال ان هذا لم للايمان
ان كنتم صادقين كما قال مثل ذلك في الزاني والسارق وغيرهما ممن نفي عنه
الايمان مع ان معه التصديق وهذا اصح الاقوال الثلثة فيهم وابو طالب جعل من
كان منهم مومنا الترك ولحسن من الموالفة قلوبهم الذين لم يعطوا شيا وجعل ذلك الشخص
مومنا غيره افضل منه واما الاكثرون فيقولون اثبات الاسلام لهم دون الايمان كاثباته
لذلك الشخص كان مسلما لا مومنا ظاهرا مذموم لا لمجرد ان غيره افضل منه وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا ولم يسلب من دونه
الايمان وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى فاثبت الايمان للفاضل والمفضول
وهذا متفق عليه بين المسلمين وقد قال تعالى النبي صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم
فاصاب فله اجران واذا اجتهد فاخطا فله اجر واحد وقال لسعد ابن معاذ لما حكم
في بني قريظة لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة ارقعة وكان يقول لمن
يرسله في جيش او سرية اذا حاصرت اهل حصن فسالوك ان تنزلهم على حكم الله
فلا تنزلهم على حكم الله فانك لا تدري ما حكم الله فيهم ولكن انزلهم على حكمك وحكم اصحابك
وهذه مسالة الثلثة في الصحيح وفي حديث سليمان عليه السلام اسالك حكما يوافق حكمك الاحادث صح
فهذه النصوص وغيرها تدل على ما اتفق عليه الصحابة والتابعون لهم باحسان ان احد
الشخصين قد يخصه الله باجتهاد يحصل له به من العلم ما يعجز عنه غيره فيكون له اجران
وذلك الاخر عاجز الله له اجر ولا اثم عليه وذلك العلم الذي خص به هذا والعمل به باطنا
وظاهرا زيادة في ايمانه وهو ايمان يجب عليه لانه قادر عليه وغيره عاجز عنه فلا يجب عليه فقد
فضل بايمان يجب عليه وليس بواجب على من عجز عنه وهذا حال جميع الامة فيما تنازعت
فيه من المسايل الخبرية والعملية اذا خص احدهما بمعرفة الحق في بعض الامر مع اجتهاد
الاخر وعجزه وكلاهما محمود مثاب مومن وذلك خصه الله من الايمان الذي وجب عليه
فقا

105

بما فضله به على هذا وذلك المخطي لا يستحق ذما ولا عقابا وان كان ذلك لو فعل ما
فعل ذم وعوقب كما خص الله نبينا بشريعة فضلها به ولو تركنا ما امرنا به فيها امه صح
شيا لكان ذلك سببا للذم والعقاب والانبيا قبلنا لا يذمون بترك ذلك لكن محمد
صلى الله عليه وسلم فضله على الانبيا وفضل امته على الامم من غير ذم لاحد من
الانبيا ولا لمن اتبعه من الامم وايضا فاذا كان الانسان لا يجب عليه من الايمان الا ما يقدر
عليه وهو اذا فعل ذلك يستحق كان مستحقا لما وعد الله به من الجنة فلو كان مثل
هذا يسما مسلما ولا يسما مومنا لوجب ان يكون من اهل الوعيد بالجنة من يسمى مسلما
لا مومنا كالاعراب وكالشخص الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم او مسلم وكسائر من نفي عنه من نفي صح
الايمان مع انه مسلم كالزاني والشارب والسارق ومن لا يامن جاره بوايقه ومن لا يحب لاخيه
من الخير مثل ما يحب لنفسه وغير هولاء وليس الامر كذلك فان الله لم يعلق وعد الجنة
الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الاسلام مع ايجابه الاسلام واخباره انه دينه الذي ارتضاه
وانه لا يقبل دينا غيره ومع هذا فما قال ان الجنة اعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين الجنة
بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الا نهار
فهو يعلقها باسم الايمان المطلق او المقيد بالعمل الصالح كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية جزاوهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار وقوله
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من
ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا
الصلاة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقوله والذين امنوا وعملوا
الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
وفي الاية الاخرى ومن اصدق من الله قيلا وقال واما الذين امنوا وعملوا فيوفيهم اجورهم الصالحات هم
والله لا يحب الظالمين وقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم
وقال فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال والذين امنوا وعملوا الصالحات
لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فالوعد بالجنة والرحمة
في الاخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك

وهذا كما تقدم ان المطلق يدخل فيه فعل ما امر الله به ورسوله ولم يعلق باسم
الاسلام فلو كان من اتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلما
لا مومنا لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلما وان لم يسم مومنا
وليس الامر كذلك بل الجنة لم يعلق الا باسم الايمان وهذا ايضا مما استدل به
من قال انه ليس كل مسلم من المومنين الموعودين بالجنة اذ لو كان كذلك لكان وعد
الجنة معلقا باسم الاسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر
في مثل قوله ان المتقين في جنات ونهر وقوله ان الابرار لفي نعيم وباسم اوليا الله كقوله
الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم فلما لم يجي
اسم الاسلام هذا المجي علم ان مسماه ليس ملازما لمسمى الايمان كما يلازمه اسم البر
والتقوى واوليا الله وان اسم الاسلام يتناول من هو من اهل الوعيد وان كان الله يثيبه
على طاعته مثل ان يكون في قلبه مثقال ذرة من ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه
الله ولا يخلده في النار لان في قلبه مثقال ذرة او اكثر من مثقال ذرة من ايمان وهولا اصحاب
اهل الكباير ايمانهم ناقص واذا كان في قلب احدهم شعبة نفاق عوقب بها
اذا لم يعف الله عنه ولم يخلد في النار فهولا مسلمون وليسوا مومنين ومعهم ايمان
لكن معهم ايضا ما يخالف الايمان من النفاق فلم يكن تسميتهم مومنين باولى من تسميتهم
منافقين لا سيما ان كانوا للكفر اقرب منهم للايمان وهولا يدخلون في خطاب الله يا
ايها الذين امنوا لان ذلك امر لهم بما ينفعهم ونهي لهم عما يضرهم محتاجون الى ذلك
ثم الايمان الذي معهم ان اقتضى شمول لفظ الخطاب لهم فلا كلام والا فليس باسوا
حالا من المنافقين المحض وذلك المنافق يخاطب ببعض الاعمال ويمنعه في الدنيا
والاخرة ويحشر بها مع المومنين يوم القيمة ويتميز بها عن ساير الملل يوم القيمة كما بها مع
ميز عنهم في الدنيا لكن وقت الحقيقة يضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم
وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جا امر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يوخذ منكم
فدية ولا من الذين كفروا ماواكم النار هي مولاكم وبئس المصير وقال تعالى ان المنافقين
في

[illegible]



في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا
بالله واخلصوا دينهم لله فاوليك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين اجرا
عظيما فاذا عملوا صالحا لله فهذا هو الاسلام الذي هو دين الله ويكون معه من
الايمان ما يحشر به مع المومنين يوم القيمة ثم ان كان معه من الذنوب ما يعذب
به عذب واخرج من النار اذا كان في قلبه مثقال حبة من ايمان وان كان معه خردل صح
نفاق ولهذا قال تعالى في هولا فاوليك مع المومنين وسوف يوت الله المومنين
اجرا عظيما لم يقل انهم مومنون بمجرد هذا اذ لم يذكر الايمان بالله وملايكته
وكتبه ورسله بل هم معهم وانما ذكر العمل الصالح واخلاصه لله وقال اوليك مع
المومنين فيكون لهم حكمهم وقد بين تفاضل المومنين في موضع اخر وانه من
اتى بالايمان الواجب استحق الثواب ومن كان فيه شعبة نفاق واتى بالكباير
فذاك من اهل الوعيد وايمانه ينفعه الله به ويخرجه به من النار ولو انه مثقال
حبة من خردل لكن لا يستحق به الاسم المطلق المعلق به وعد الجنة بلا عذاب
وتمام هذا ان الناس قد يكون فيهم من معه شعبة من شعب الايمان وشعبة من الكفر صح
شعب النفاق ويسمى مسلما كما نص عليه احمد وتمام هذا ان الانسان قد يكون فيه
شعبة من شعب الايمان وشعبة من شعب النفاق وقد يكون مسلما وفيه كفر
دون الكفر الذي ينقل عن الاسلام بالكلية كما قال الصحابة ابن عباس وغيره
كفر دون كفر وهذا قول عامة السلف وهو الذي نص عليه احمد وغيره
ممن قال في السارق والشارب ونحوهم ممن قال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بمومن فيه صح
انه يقال لهم مسلمون لا مومنون واستدلوا بالقران والسنة على نفي اسم الايمان
مع اثبات اسم الاسلام وبان الرجل قد يكون مسلما ومعه كفر لا ينقل عن الملة بل كفر
دون كفر كما قال ابن عباس واصحابه في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاوليك
هم الكافرون قالوا كفرا لا ينقل عن الملة وقد قالوا كفر دون كفر وفسق دون فسق
وظلم دون ظلم وهذا ايضا مما استشهد به البخاري في صحيحه فان كتاب الايمان الذي
افتتح به الصحيح قرر فيه مذهب اهل السنة والجماعة وضمنه الرد على المرجية فانه
كان من القايلين بقول السنة والجماعة مذهب الصحابة والتابعين لهم باحسان

وقد اتفق العلما على ان اسم المسلمين في الظاهر يجري على المنافقين لانهم استسلموا
ظاهرا واتوا بما اتوا به من الاعمال الظاهره بالصلوه الظاهره والزكوه الظاهره والحج
الظاهر والجهاد الظاهر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري عليهم احكام الاسلام
الظاهره واتفقوا على انه من لم يكن معه شي من الايمان فهو كما قال ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار وفيها قراتان دَرَك ودَرْك قال ابو الحسن ابن فارس
الجنه درجات والنار دركات قال الضحاك الدرج اذا كان بعضها فوق
بعض والدرك اذا كان بعضها اسفل من بعض فصار المظهرون للاسلام بعضهم
في اعلا درجه في الجنه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في الحديث الصحيح
اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن ثم سلوا الله لي الوسيله فانها درجه
في الجنه لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا ذلك العبد فمن سال
الله لي الوسيله حلت عليه شفاعتي يوم القيمه وقوله صلى الله عليه وسلم وارجوا
ان اكون مثل قوله اني لارجو ان اكون اخشاكم لله واعلمكم بحدوده ولا ريب
انه اخشى الامه لله واعلمهم بحدوده وكذلك قوله اختبات دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيمه فهي نايله ان شا الله من مات لا يشرك بالله شيا وقوله اني
لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنه وامثال هذه النصوص وكان يستدل الامام بلغ
احمد وغيره على الاستثنا في الايمان كما ذكر في موضعه والمقصود ان خير
المومنين في اعلا درجات الجنه والمنافقين في الدرك الاسفل من النار وان كانوا
في الدنيا مسلمين ظاهرا تجري عليهم احكام الاسلام الظاهره فمن كان فيه ايمان
ونفاق يسمى مسلما اذ ليس هو دون المنافق المحض واذا كان نفاقه اغلب
لم يستحق اسم الايمان بل اسم المنافق احق به فان ما فيه بياض وسواد وسواده
اكثر هو باسم الاسود احق منه باسم الابيض كما قال هم للكفر يوميذ اقرب منهم
للايمان واما اذا كان ايمانه اغلب ومعه نفاق يستحق به الوعيد لم يكن ايضا من
المومنين الموعودين بالجنه وهذا حجه لما ذكره ابن نصر عن احمد ولم ار انا فيها لمعنى في
كلام احمد ولا ذكره الخلال ونحوه قال محمد بن نصر وحكى غير هولاء عن احمد انه
قال من اتى هذه الاربعه الزنا والسرقه وشرب الخمر والنهبه التي يرفع الناس فيها
ابصارهم



ابصارهم اليه او سلمين او فعل فعلين فهو مسلم ولا اسميه مومنا ومن اتى دون ذلك
دون الكباير سميته مومنا ناقص الايمان فان صاحب هذا القول يقول لما نفي عنه
النبي صلى الله عليه وسلم اسم الايمان نفيته عنه كما نفاه عنه الرسول صلى الله عليه
وسلم والرسول لم ينفه الا عن صاحب كبيره والا فالمومن الذي يفعل الصغيره هي
مكفره عنه بفعله للحسنات واجتنابه للكباير لكنه ناقص الايمان عمن اجتنب
الصغاير فما اتى بالايمان الواجب ولكن خلطه بسيات كفرت عنه بغيرها ونقصت بذلك
درجته عن درجات من لم يات بذلك واما الذين نفى عنهم الرسول الايمان فنفيه كما نفاه الرسو ل
واولئك وان كان معهم التصديق واصل الايمان فقد تركوا منه ما استحقوا لاجله
سلب الايمان وقد يجتمع في العبد نفاق وايمان وكفر وايمان فالايمان المطلق عند هولاء
ما كان صاحبه مستحقا للوعد بالجنه بالجنه وطوايف اهل الاهواء من الخوارج والمعتزله
والجهميه والمرجيه كراميهم وغير كراميهم يقولون انه لا يجتمع في العبد ايمان ونفاق
ومنهم من يدعي الاجماع على ذلك وقد ذكر ابو الحسن في بعض كتبه الاجماع على ذلك
ومن هنا غلطوا فيه وخالفوا فيه الكتاب والسنه واثار الصحابه والتابعين لهم
باحسان مع مخالفة صريح المعقول بل الخوارج والمعتزله طردوا هذا الاصل الفا سد
وقالوا لا يجتمع في الشخص الواحد طاعه يستحق بها الثواب ومعصيه يستحق بها العقاب محمودا من وجه
ولا يكون الشخص الواحد مذموما من وجه ولا محبوبا مدعوا له من وجه مسخوطا ملعونا
من وجه ولا يتصور ان الشخص الواحد يدخل الجنه والنار جميعا عندهم بل من دخل
احداهما لم يدخل الاخرى عندهم ولهذا انكروا خروج احد من النار او الشفاعه
في احد من اهل النار وحكي عن غاليه المرجيه انهم وافقوهم على هذا الاصل لكن
هولاء قالوا ان اهل الكباير يدخلون الجنه ولا يدخلون النار مقابله لاوليك واما
اهل السنه والجماعه والصحابه والتابعون لهم باحسان وساير طوايف المسلمين
من اهل الحديث والفقها واهل الكلام من مرجيه الفقها والكراميه والكلابيه والا شعريه
والشيعه مرجيهم وغير مرجيهم فيقولون ان الشخص الواحد قد يعذبه الله بالنار
ثم يدخله الجنه كما نطقت بذلك الاحاديث الصحيحه وهذا الشخص الذي
له سيات عذب بها وحسنات دخل بها الجنه وله معصيه وطاعه باتفاق هولاء

هولاء الطوايف لم يتنازعوا في حكمه لكن تنازعوا في اسمه فقالت المرجية جهميتهم وغير جهميتهم هو مومن كامل الايمان واهل السنة والجماعة على انه ناقص الايمان ولولا ذلك لما عذب كما انه ناقص البر والتقوى باتفاق المسلمين وهل يطلق عليه اسم مومن هذا فيه القولان والصحيح التفصيل فاذا سئل عن احكام الدنيا كعتقه في الكفارة قيل هو مومن وكذلك اذا سئل عن دخوله في خطاب المومنين واما اذا سئل عن حكمه في الاخرة فليس قيل ليس هذا النوع من المومنين الموعودين بالجنة بل معه ايمان يمنعه الخلود في النار ويدخل به الجنة بعد ان يعذب في النار ان لم يعف الله له ذنوبه ولهذا قال من قال هو مومن بايمانه فاسق بكبيرته او مومن ناقص الايمان والذين لا يسمونه مومنا من اهل السنة ومن المعتزلة يقولون اسم الفسوق ينافي اسم الايمان لقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان وقوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وعلى هذا الاصل فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر ومعه ايمان ايضا وعلى هذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في تسمية كثير من الذنوب كفرا مع ان صاحبها قد يكون معه اكثر من مثقال ذرة من ايمان فلا يخلد في النار كقوله سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وقوله لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا مستفيض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه فانه امر في حجة الوداع ان ينادى به في الناس فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق كفارا وسمى هذا الفعل كفرا ومع هذا فقد قال تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما الى قوله انما المومنون اخوة فبين ان هولاء لم يخرجوا من الايمان بالكلية ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة كما قال الصحابة كفر دون كفر وكذلك قوله من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما فقد سماه اخاه حين القول وقد اخبر ان احدهما باء بها فلو خرج احدهما عن الاسلام بالكلية لم يكن اخاه بل فيه كفر وكذلك قوله في الحديث الصحيح ليس من رجل ادعى الى غير ابيه وهو يعلمه الا كفر وفي حديث اخر كفر بالله تبرؤ من نسب وان دق وكان من القران الذي نسخ لفظه لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن ابائكم





ابائكم فان حق الوالدين مقرون بحق الله في مثل قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا فالوالد اصله الذي منه خلق والولد من كسبه كما قال ما اغنى عنه ماله وما كسب فالجحد لها شعبة من شعب الكفر فانه جحد لما منه خلق ربه فقد جحد خلق الرب اياه وقد كان في لغة من قبلنا تسمية الرب ابا فكان فيه كفر بالله من هذا الوجه ولكن ليس هذا كفر جحد الخالق بالكلية وسنتكلم ان شا الله تعالى على سائر الحوادث والمقصود هنا اصل ذكر اصل جامع تبنى عليه معرفة النصوص ورد ما تنازع فيه الناس الى الكتاب والسنة فان الناس كثر نزاعهم في مواضع في مسمى الايمان والاسلام لكثرة ذكرهما وكثرة كلام الناس فيهما والاسم كلما كثر التكلم به فتكلم به مطلقا ومقيدا بقيد ومقيدا بقيد اخر في موضع اخر كان هذا سببا لاشتباه بعض معناه ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك ومن اسباب ذلك ان يسمع بعض الناس بعض موارده ولا يسمع بعضها ويكون ما سمعه مقيدا بقيد اوجب اختصاصه بمعنى فيظن معناه في سائر موارده كذلك فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة وعلم ماخذ الشبه اعطى كل ذي حق حقه وعلم ان خير الكلام كلام الله وانه لا بيان اتم من بيانه وان ما اجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون اليه اضعاف اضعاف ما تنازعوا فيه المسلمين فالمسلمون سنيهم وبدعيهم متفقون على وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ومتفقون على وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج ومتفقون على ان من اطاع الله ورسوله فانه يدخل الجنة ولا يعذب وعلى ان من لم يومن بان الله بعث محمدا رسول الله اليهم فهو كافر وامثال هذه الامور التي هي اصول الدين وقواعد الايمان التي اتفق عليها المنتسبون الى الاسلام والايمان فتنازعهم بعد هذا في بعض احكام الوعيد او بعض معاني الاسماء امر خفيف بالنسبة الى ما اتفقوا عليه ان المخالفين للحق البين من الكتاب والسنة هم عند جمهور الامة معروفون بالبدعة مشهود عليهم بالضلال ليس لهم في الامة لسان صدق ولا قبول عام كالخوارج والروافض والقدرية ونحوهم وانما تنازع اهل العلم والسنة في امور دقيقة تخفى على اكثر الناس ولكن يجب رد ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله والرد الى الله ورسوله في مسالة الايمان والاسلام يوجب ان كلا من الاسمين وان كان مسماه واجبا ولا يستحق

احسن الجنة الايمان يكون مومنا مسلما فالحق في ذلك ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
جبريل فجعل الدين واهله ثلث طبقات اولها الاسلام واوسطها الايمان واعلاها الا
حسان ومن وصل الى العليا فقد وصل الى التي تليها فالمحسن مومن والمومن مسلم واما
المسلم فلا يجب ان يكون مومنا وهكذا جاء القران فجعل الامة على هذه الاصناف الثلثه
قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ٥ فالمسلم
الذي لم يقم بواجب الايمان هو الظالم لنفسه والمقتصد هو المومن المطلق الذي
ادى الواجبات حب وترك المحرم والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كانه
يراه ٥ وقد ذكر الله تقسيم الناس في المعاد الى هذه الثلثه في سورة الواقعه والمطففين
وهل اتى وذكر الكفار ايضا ٥ واما هنا فجعل التقسيم للمصطفين من عباده وقال ابو سليمان
الخطابي ما اكثر ما يغلط الناس في هذه المسله فاما الزهري فقال الاسلام الكلمه
والايمان العمل واحتج بالايه وذهب غيره الى ان الايمان والاسلام شي واحد واحتج
بقوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ٥ قال الخطابي
وقد تكلم رجلان من اهل العلم وصار كل واحد منهما الى قول من هذين ورد الاخر منهما
على المتقدم وصنف عليه كتابا يبلغ عددا اوراقه المئين قال الخطابي والصحيح من ذلك
ان يقيد الكلام في هذا ولا يطلق وذلك ان المسلم قد يكون مومنا في بعض الاحوال
ولا يكون مومنا في بعضها والمومن مسلم في جميع الاحوال فكل مومن مسلم وليس كل
مسلم مومنا واذا حملت الامر على هذا استقام لك تاويل الايات واعتدل القول فيها
ولم يختلف شي منها ٥ قلت ____ الرجلان اللذان اشار اليهما الخطابي اظن
احدهما وهو السابق محمد بن نصر فانه الذي علمته بسط الكلام في ان الاسلام والايمان
شي واحد من اهل السنه والحديث وما علمت قبله بسط في هذا والاخر هو الذي رد
عليه اظنه لكن لم اقف على رده والذي اختاره الخطابي هو قول من فرق بينهما
كابي جعفر وحماد بن زيد وعبد الرحمن بن مهدي وهو قول احمد بن حنبل وغيره وما علمت
احدا من المتقدمين خالف هولاء فجعل نفس الاسلام نفس الايمان ولهذا كان عامة
اهل السنه على هذا الذي قاله هولاء كما ذكر الخطابي ولذلك ذكر ابو القاسم
التيمي



بيان السنة

التيمي الاصبهاني وابنه محمد شارح مسلم وغيرهما ان المختار عند اهل السنة انه لا يطلق
على السارق والزاني اسم مومن كما دل عليه النص وقد ذكر الخطابي في شرح البخاري
كلاما يقتضي تلازمهما مع افتراق اسميهما وذكر البغوي في شرح السنه فقال فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم الاسلام اسما لما ظهر من الاعمال وجعل الايمان اسما لما بطن من الاعتقاد
وليس ذلك لان الاعمال ليست من الايمان او التصديق بالقلب ليس من الاسلام بل ذلك
تفصيل لجملة هي كلها شي واحد وجماعها الدين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هذا
جبريل جاءكم يعلمكم دينكم والتصديق والعمل يتناولهما اسم الاسلام والايمان جميعا
يدل عليه قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقوله رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا
وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ٥ فبين ان الدين الذي رضيه ويقبله
من عباده هو الاسلام ولا يكون الدين في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق
الى العمل ٥ قلت ____ تبيين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل وان
اقتضى ان الاعلى هو الاحسان يتضمن الايمان والايمان يتضمن الاسلام فلا يدل على العكس
ولو قدر انه دل على التلازم فهو صريح بان مسمى هذا ليس مسمى هذا ولكن المقصود ان
الدلالة تختلف بالتجريد والاقتران كما قد بيناه ومن فهم هذا انحلت عنه اشكالات
كثيره في كثير من المواضع حار فيها طوايف في مسله الايمان وغيرها وما ذكره من ان الدين
لا يكون في محل الرضا والقبول الا بانضمام التصديق الى العمل يدل بحجته على انه لابد مع العمل
من ايمان فهذا يدل على وجوب الايمان مطلقا لكن لا يدل على ان العمل الذي هو الدين ليس
اسمه اسلاما واذا كان الايمان شرطا في قبوله لم يلزم ان يكون ملازما له ولو كان
ملازما له لم يلزم ان يكون جزء مسماه ٥ وقال ____ الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح قوله صلى
الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله الى اخره والايمان ان تومن بالله وملايكته
الى اخره قال هذا بيان لاصل الايمان وهو التصديق الباطن وبيان لاصل الاسلام وهو
الاستسلام والانقياد الظاهر وحكم الاسلام في الظاهر يثبت بالشهادتين وانما اضاف
اليها الاربع لكونها اظهر شعاير الاسلام ومعظمها وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه
لها يشعر بحل قيد انقياده او اختلاله ثم ان اسم الايمان يتناول ما فسر به الاسلام في
هذا الحديث وساير الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذي هو اصل الايمان

ومقومات ومتممات وحافظات له ولهذا فسر صلى الله عليه وسلم الايمان في حديث
وفد عبد القيس بالشهادتين والصلوة والزكاة والصوم واعطا الخمس من المغنم
ولهذا لا يقع اسم المومن المطلق على من ارتكب كبيرة او ترك فريضة لان اسم الشي الكامل
يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهرا الا بقيد ولذلك جاز اطلاق
نفيه عنه في قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن واسم الاسلام
يتناول ايضا ما هو اصل الايمان وهو التصديق ويتناول اصل الطاعات فان ذلك
كله استسلام قال فخرج مما ذكرناه وحققناه ان الاسلام والايمان يجتمعان ويفترقان
وان كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا قال فهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات
النصوص الواردة في الايمان والاسلام التي طال ما غلط فيها الخائضون وما
حققناه من ذلك موافق لمذاهب جماهير العلماء من اهل الحديث وغيرهم فيقال
هذا الذي ذكره رحمه الله فيه من الموافقة ما قد بين من اقوال الائمة وما دل عليه الكتاب
والسنة ما ظهر به ان الجمهور يقولون كل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا وقوله
ان الحديث ذكر فيه اصل الايمان واصل الاسلام فقد يورد عليه ان النبي صلى
الله عليه وسلم اجاب عن الايمان والاسلام بما هو من جنس الجواب بالحد عن المحدود
ويكون ما ذكره مطابقا لهما لا لاصلهما فقط فالايمان هو الايمان بما ذكر باطنا وظاهرا
لكن لما ذكر مع الايمان يتضمن الاسلام كان الاحسان يتضمن الايمان وقول القائل
اصل الاستسلام هو الاسلام الظاهر فالاستسلام هو الاستسلام لله والانقياد
له باطنا وظاهرا وهذا هو دين الاسلام الذي ارتضاه الله كما دلت عليه نصوص الكتاب
والسنة ومن اسلم بظاهره دون باطنه فهو منافق يقبل ظاهره فانه لم يومر ان يشق
عن قلوب الناس وايضا فاذا كان الاسلام يتناول التصديق الباطن الذي
هو اصل الايمان فيلزم ان يكون كل مسلم مومنا وهو خلاف ما نقل عن الجمهور لكن
لابد في الاسلام من تصديق يحصل به اصل الايمان والا لم يثبت عليه فيكون حينئذ
مسلما مومنا فلا بد ان يبين المسلم الذي ليس بمومن ودخوله في الحد والنبي صلى الاسلام
الله عليه وسلم قال هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم وقوله الاسلام هو الاركان الخمسة
لا يعني به من اداها بلا اخلاص لله بل مع النفاق بل المراد من فعلها كما امر بها باطنا وظاهرا
وذكر



وذكر الخمس انها هي الاسلام لانها هي العبادات المحضة التي تجب لله تعالى على كل عبد
مطيق لها وما سواها اما واجب على الكفاية بمصلحة اذا حصلت سقط الوجوب واما
من حقوق الناس بعضهم على بعض وان كان فيها قربة ونحو ذلك وذلك تابعة
لهذه كما قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وافضل الاسلام ان تطعم الطعام
وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف ونحو ذلك فهذه الخمس هي الاركان
والمباني كما في الايمان ثم قول القائل الطاعات ثمرات التصديق الباطن يراد به
شيئان يراد به انها لوازم له فمتى وجد الايمان الباطن وجدت وهذا مذهب السلف
واهل السنة ويراد به ان الايمان الباطن سبب وقد يكون الايمان الباطن تاما كاملا وهي
لم توجد وهذا قول المرجئة من الجهمية وغيرهم وقد ذكرنا فيما تقدم انهم غلطوا
في ثلاثة اوجه احدها ظنهم ان الايمان الذي في القلب تصديق بلا عمل للقلب
كمحبة الله وخشيته والثاني ظنهم ان الايمان الذي في القلب يكون تاما بدون العمل
الظاهر وهذا يقول به جميع المرجئة والثالث قولهم كل من كفره الشارع
فانما كان لانتفاء تصديق القلب بالرب تبارك وتعالى وكثير من المتاخرين لا يميزون
بين مذاهب السلف واقوال المرجئة والجهمية لاختلاط هذا بهذا في كلام كثير منهم
ممن هو في باطنه يرى راي الجهمية والمرجئة في الايمان وهو معظم للسلف واهل
الحديث فيظن انه يجمع بينهما او يجمع بين كلام امثاله وكلام السلف قال ابو عبد الله محمد
ابن نصر المروزي وقالت طائفة ثالثة وهم الجمهور الاعظم من اهل السنة والجماعة
واصحاب الحديث الايمان الذي دعا الله العباد اليه وافترضه عليهم هو الاسلام الذي
جعله دينا وارتضاه لعباده ودعاهم اليه وهو ضد الكفر الذي سخطه فقال ولا يرضى
لعباده الكفر وقال ورضيت لكم الاسلام دينا وقال فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام وقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فمدح الله الاسلام
بمثل ما مدح به الايمان وجعله اسم ثناء وتزكية فاخبر ان من اسلم فهو على نور من ربه
وهدى واخبر انه دينه الذي ارتضاه وما ارتضاه فقد احبه وامتدحه الا ترى ان
انبيا الله ورسله رغبوا فيه اليه وسالوه اياه فقال ابراهيم واسمعيل ربنا واجعلنا مسلمين
لك وقال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب

يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون وقال قل للذين أوتوا الكتاب
والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وقال في موضع آخر قولوا آمنا بالله وما أنزل
إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلى قوله فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا
وإن تولوا فإنما هم في شقاق فحكم الله بأن من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى
فسواهما قال وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان وأنهما لا يفترقان ولا
يتباينان في موضع غير هذا الموضع فلم نر إعادته في هذا الموضع كراهة التطويل
غير أنا سنذكر من الحجة ما لم نذكر في غير هذا الموضع ونبين خطأ تأويلهم الحجج التي
احتجوا بها من الكتاب والأخبار على التفرقة بين الإسلام والإيمان. قلت
مقصود محمد بن نصر المروزي رحمه الله أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح وأن المذموم
ناقص الإسلام والإيمان وأن كل مؤمن فهو مسلم وكل مسلم فلا بد أن يكون معه إيمان
وهذا صحيح وهو متفق عليه ومقصوده أيضا أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه
الإيمان وهذا فيه نزاع لفظي ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر وهذا لا يعرف
عن أحد من السلف وإن قيل هما متلازمان فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو
مسمى هذا وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين
المشهورين أنه قال مسمى الإيمان هو مسمى الإسلام كما نص بل ولا عرفت أنا أحدا
قال ذلك من السلف ولكن المشهور عن جماعة من السلف والخلف أن المؤمن المستحق
لوعد الله هو المسلم المستحق لوعد الله فكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا متفق
على معناه بين السلف والخلف بل وبين فرق الأمة كلهم يقولون إن المؤمن الذي
وعد بالجنة لا بد أن يكون مسلما والمسلم الذي وعد بالجنة لا بد أن يكون مؤمنا وكل
من يدخل الجنة بلا عذاب من الأولين والآخرين فهو مؤمن مسلم ثم أهل السنة يقولون
الذين يخرجون من النار بعض ذلك وإنما النزاع في إطلاق الاسم فالمنقول متواترة
عن السلف بأن الإيمان قول وعمل ولم ينقل عنهم شيء من ذلك في الإسلام ولكن لما
كان الجمهور العظيم يقولون إن الإسلام هو الدين كله ليس هو الكلمة فقط
خلاف ظاهر ما نقل عن الزهري وكانوا يقولون أن الصلاة والزكاة والصيام والحج
وغير ذلك من الأفعال المأمور بها هي من الإسلام كما هي من الإيمان ظن أنهم يجعلونها
شيئا



شيئا واحدا وليس كذلك فإن الإيمان مستلزم للإسلام باتفاقهم وليس إذا
كان الإسلام داخلا فيه يلزم أن يكون هو إياه وأما الإسلام فليس معه دليل على
أن يستلزم الإيمان ولكن هل يستلزم الإيمان الواجب أو كمال الإيمان فيه نزاع
وليس معه دليل على أنه مستلزم للإيمان ولكن الأنبياء الذين وصفهم الله بالإسلام
كلهم كانوا مؤمنين وقد وصفهم الله بالإيمان ولو لم يذكر ذلك عنهم فنحن نعلم قطعا
أن الأنبياء هم مؤمنون وكذلك السابقون الأولون كانوا مسلمين مؤمنين ولو
قدر أن الإسلام يستلزم الإيمان الواجب فغاية ما يقال أنهما متلازمان فكل مسلم
مؤمن وكل مؤمن مسلم وهذا صحيح إذا أريد أن كل مسلم يدخل الجنة معه الإيمان الوا جب
وهو متفق عليه إذا أريد أن كل مسلم يثاب على عبادته فلا بد أن يكون معه أصل الإيمان
فما من مسلم إلا وهو مؤمن وإن لم يكن هو الإيمان الذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم
عمن لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه وعمن يفعل الكبائر وعن الأعراب وغيرهم إذا
قيل إن الإسلام والإيمان التام متلازمان لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر كالروح
والبدن فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح وليس
أحدهما الآخر فالإيمان كالروح فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن والإسلام كالبدن
ولا يكون البدن حيا إلا مع الروح بمعنى أنهما متلازمان لا أن مسمى أحدهما هو مسمى
الآخر وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح فما من بدن حي إلا وفيه روح
ولكن الأرواح متنوعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما
تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وليس كل من صلى يكون قلبه منورا
بذكر الله والخشوع وفهم القرآن وإن كانت صلاته يثاب عليها ويسقط الفرض
فهذا الإسلام الظاهر بمنزلة الصلاة الظاهرة والإيمان بمنزلة ما يكون في القلوب حين
الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبر القرآن فكل من خشع قلبه خشعت جوارحه
ولا ينعكس فإذا صلح القلب صلح الجسد وليس إذا كان البدن بجسد في عبادة يكون القلب
قائما بحقائقها والناس في الإيمان والإسلام على ثلاث مراتب ظالم لنفسه ومقتصد وسابق
بالخيرات فالمسلم باطنا وظاهرا إذا كان ظالما لنفسه فلا بد أن يكون معه إيمان لكن
لم يأت بالواجب ولا ينعكس وكذلك في الآخر وسيأتي إن شاء الله تعالى. والإيمان

التي احتج بها محمد بن نصر يدل على وجوب الاسلام وانه دين الله وان الله يحبه
ويرضاه وانه ليس له دين غيره وهذا كله حق لكن ليس في هذا ما يدل على انه
هو الايمان بل ولا يدل على ان مجرد الاسلام يكون الرجل به من اهل الجنة كما ذكر في حجة
القول الاول وان الله وعد المومنين بالجنة في غير اية ولم يذكر هذا الوعد باسم
الاسلام وحينئذ فمدحه وايجابه ومحبة الله له يدل على دخوله في الايمان وانه بعض
مومن حج منه وهذا متفق عليه بين اهل السنة كلهم يقولون كل مومن مسلم وكل من اتى بالايمان الواجب
فقد اتى بالاسلام الواجب لكن النزاع في العكس وهذا كما ان الصلاة يحبها الله
ويامر بها ويوجبها ويثني عليها وعلى اهلها في غير موضع ثم لم يدل ذلك على ان مسمى الصلاة
مسمى الايمان بل الصلاة تدخل في الايمان فكل مومن يصلي ولا يلزم ان يكون كل من صلى
واتى الكبائر مومنا وجميع ما ذكره من الحجة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان فيها الفرق بين
مسمى الايمان والاسلام اذا ذكرا جميعا كما في حديث جبريل وغيره وفيها ايضا ان
اسم الايمان اذا اطلق دخل فيه الاسلام قال ابو عبد الله بن حامد في كتابه المصنف
في اصول الدين قد ذكرنا ان الايمان قول وعمل فاما الاسلام فكلام احمد يحتمل روايتين
احداهما انه كالايمان والثانية انه قول بلا عمل وهو نصه في رواية اسمعيل بن سعيد قال
وعمل حج والصحيح ان المذهب رواية واحدة انه قول وعمل ويحتمل قوله ان الاسلام قول يريد به انه لا يجب
فيه ما يجب في الايمان من العمل المشروط فيه لان الصلاة ليست من شرطه اذ النص عنه
انه لا يكفر بترك الصلاة قال وقد قضينا ان الاسلام والايمان اسمان لمعنى وقد ذكرنا اختلاف
الفقهاء وقد ذكر قبل ذلك ان الاسلام والايمان اسمان لمعنيين مختلفين وبه قال مالك وشريك
وحماد بن زيد بالتفرقة بين الاسلام والايمان قال وقال اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة
انهما اسمان معناهما واحد قال ويفيد هذا ان الايمان قد ينفى عنه تسميته مع بقاء الاسلام عليه
وهو باتيان الكبائر التي ذكرت في الخبر فيخرج عن تسمية الايمان الا انه مسلم فاذا تاب من ذلك
عاد الى ما كان عليه من الايمان ولا ينفى عنه تسمية الايمان بارتكاب الصغائر من الذنوب بل
الاسم باق عليه ثم ذكر ادلة ذلك ولكن ما ذكره فيه ادلة كثيرة على من يقول الاسلام مجرد
الكلمة فان الادلة الكثيرة تدل على ان الاعمال من الاسلام بل النصوص كلها تدل على ذلك فمن
قال ان الاعمال الظاهرة المامور بها ليست من الاسلام فقوله باطل بخلاف التصديق الذي في

القلب



القلب فان هذا ليس في النصوص ما يدل على انه من الاسلام بل هو الايمان وانما الاسلا م
الدين فسره النبي صلى الله عليه وسلم بان يسلم قلبه ووجهه وقلبه لله فاخلاص الدين لله
اسلام وهذا غير التصديق ذاك من جنس عمل القلب وهذا من جنس علم القلب واحمد بن
حنبل وان كان قد قال في هذا الموضع ان الاسلام هو الكلمة فقد قال في موضع ان الاعمال
من الاسلام وهو اتبع هنا الزهري رحمه الله فان كان مراد من قال ذلك انه بالكلمة
يدخل في الاسلام ولم يات بتمام الاسلام فهذا قريب وان كان مراده انه اتى بجميع الاسلام
فهذا غلط قطعا بل قد انكر احمد هذا الجواب وهو قول من قال يطلق عليه الاسلام وان لم
يعمل متابعة لحديث جبريل فكان ينبغي ان يذكر قول احمد جميعه قال اسمعيل بن سعيد
سالت احمد عن الاسلام والايمان فقال الايمان قول وعمل والاسلام الاقرار قال وسالت
احمد عمن قال في الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اذ ساله عن الاسلام قال فاذا فعلت
ذلك فانا مسلم فقال نعم فقال قايل وان لم يفعلوا الذي قال جبريل للنبي صلى الله عليه
وسلم فهو مسلم ايضا فقال هذا معاند للحديث فقد جعل احمد من جعله مسلما اذا لم يات بالخمس
معاندا للحديث مع قوله ان الاسلام الاقرار فدل ذلك على ان ذاك اول الدخول في
الاسلام وانه لا يكون قايما بالاسلام الواجب حتى ياتي بالخمس واطلاق الاسم مشروط بها
فانه ذم من لم يتبع حديث جبريل وايضا فهو في اكثر اجوبته يكفر من لم يات بالصلاة بل ونحوها ها
من المباني والكافر لا يكون مسلما باتفاق المسلمين فعلم انه لم يرد ان الاسلام هو مجرد القول
بلا عمل وان قدر انه اراد ذلك فهذا يكون انه لا يكفر بترك شي من المباني الاربعة واكثر
الروايات عنه بخلاف ذلك والذين لا يكفرون من ترك هذه المباني يجعلونها من الاسلام
كالشافعي ومالك وابي حنيفة وغيرهم فكيف لا يجعلها احمد من الاسلام وقوله في دخولها
في الاسلام اقوى من قول غيره وقد روي عنه انه جعل حديث سعد معارضا لحديث عمر
ورجح حديث سعد قال الحسن بن علي سالت احمد بن حنبل عن الايمان اولا او الاسلام
قال جاء حديث كحديث عمر هذا وحديث سعد احب الي كانه فهم ان حديث عمر يدل على
ان الاعمال هي مسمى الاسلام فيكون مسمى الايمان افضل وحديث سعد يدل على ان مسمى الايمان
افضل ولكن حديث عمر لم يرد ان الاسلام الا الاعمال الظاهرة فقط وهذه لا تكون ايمانا الا
مع الايمان الذي في القلب بالله وملايكته وكتبه ورسله فيكون حينئذ بعض الايمان فيكون

مسمى الايمان افضل كما دل عليه حديث سعد فلا منافاة بين الحديثين واما تفريق
احمد بين الاسلام والايمان فكان يقول به تارة وتارة يحكي الخلاف ولا يجزم به وكان
اذا قرن بينهما فتارة يقول الاسلام الكلمة وتارة لا يقول ذلك وكذلك التكفير
بترك المباني كان تارة يلحقه بها حتى يغضب وتارة لا يلحق بها قال الميموني
قلت يا ابا عبد الله تفرق بين الاسلام والايمان قال نعم قلت باي شي تحتج قال عامة
الاحاديث تدل على هذا ثم قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين قال
يسرق وهو مؤمن ٥ وقال الله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا قال حماد ابن زيد يفرق بين الاسلام والايمان قال ـــــ وثنا ابو سلمة الخزاعي
قال قال مالك وشريك وذكر قولهم وقول حماد ابن زيد فرق بين الاسلام والايمان قال ـــ
احمد قال لي رجل لو لم يجئنا في الايمان الا هذا لكان حسنا قلت لابي عبد الله فتذهب
الى ظاهر الكتاب مع السنن قال نعم قلت فاذا كانت المرجئة يقولون ان الاسلام
هو القول قال هم يصيرون هذا كله واحدا ويجعلونه مسلما ومؤمنا شيئا واحدا على
ايمان جبريل ومستكمل الايمان ٥ قلت ـــــــ من ههنا حجتنا عليهم قال
نعم فقد ذكر عنه الفرق مطلقا واحتجاجه بالنصوص ٥ وقال صالح ابن احمد سئل ابي عن
الاسلام والايمان قال قال ابن ابي ذيب الاسلام القول والايمان العمل قيل له ما تقول
انت قال الاسلام غير الايمان وذكر حديث سعد وقول النبي صلى الله عليه وسلم فهو
في هذا الحديث لم يختر قول من قال الاسلام القول بل اجاب بان الاسلام غير الايمان
كما دل عليه الحديث الصحيح مع القران وقال حنبل ثنا ابو عبد الله حديث بريدة كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان قائلهم يقول السلام عليكم
اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شا الله بكم لاحقون الحديث قال وسمعت ابا ن مح
عبد الله يقول في هذا الحديث حجة على من قال الايمان قول فمن قال انا مؤمن فقوله من
المؤمنين والمسلمين فبين المؤمن من المسلم رد على من قال انا مؤمن مستكمل الايمان
وقوله ان شا الله بكم لاحقون وهو يعلم انه ميت يشد قول من قال انا مؤمن ان شا الله انا مم
الاستثنا في هذا الموضع ٥ وقال ابو الحارث سالت ابا عبد الله قلت قوله لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن قال قد تاولوه فاما عطا
فقال



فقال يتنحى عنه الايمان وقال طاوس اذا فعل ذلك زال عنه الايمان وروي عن الحسن
قال ان رجع راجعه الايمان وقد قيل يخرج من الايمان الى الاسلام ولا يخرج من الاسلام ن
وروى هذه المسالة صالح فان مسايل ابي الحرث يرويها صالح ايضا وصالح سال اباه عن هذه
القصة فقال فيها هكذا يروى عن ابي جعفر قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن قال
يخرج من الايمان الى الاسلام والايمان مقصور في الاسلام فاذا زنا خرج من الايمان الى
الاسلام قال الزهري يعني لما روي حديث سعد او مسلم فنرى ان الاسلام الكلمة
والايمان العمل قال احمد وهو حديث متاول والله اعلم فقد ذكر اقوال التابعين فيه ولم
يرجح شيا وذلك والله اعلم لان جميع ما قالوه حق وهو موافق على ذلك كله كما قد
ذكر في مواضع اخر انه يخرج من الايمان الى الاسلام ونحو ذلك واحمد وامثاله من السلف
لا يريدون بلفظ التاويل صرف اللفظ عن ظاهره بل التاويل عندهم مثل التفسير
وبيان ما يؤول اليه اللفظ لقول عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك يتاول القران والا فاذل التابعين
لا تخالف ظاهر الحديث بل توافق فقد وقول احمد يتاوله اي يفسر معناه وان كان ذلك
يوافق ظاهره لئلا يظن مبتدع ان معناه انه صار كافرا لا ايمان معه بحال كما يقول
الخوارج فان الحديث لا يدل على هذا والذي نفى عن هولاء الايمان كان يجعلهم مسلمين
لا يجعلهم مومنين قال المروذي قيل لابي عبد الله نقول نحن المؤمنون فقال نحن المسلمون
قلت لابي عبد الله نقول انا مؤمنون قال ولكن نقول انا مسلمون وهذا لان من اصله الا سنشنا
في الايمان لانه لا يعلم انه مؤد لجميع ما امر الله به فهو مثل قوله انا بري انا تقي انا ولي الله
كما ذكر في موضعه وهو لا يمنع ترك الاستثنا اذا اراد انه مصدق فانه يجزم بما في
قلبه من التصديق ولا يجزم بانه ممتثل لكل ما امر به وكما يجزم بانه يحب الله ورسوله
وانه يبغض الكفر ونحو ذلك مما يعلم انه في قلبه ولذلك اذا اراد بانه مؤمن في الظاهر
فلا يمنع ان يجزم بما هو معلوم له وانما يكره ما كرهه سائر الغالية من قول المرجئة او يقولو ل
الايمان شي متماثل في جميع اهله مثل كون كل انسان له راس فيقول احدهم انا مؤمن
حقا وانا مؤمن عند الله ونحو ذلك كما يقول الانسان لي راس حقا وانا لي راس
في علم الله حقا فمن جزم به على هذا الوجه فقد اخرج الاعمال الباطنة والظاهرة منه

وهذا انكر من القول ورد عند الصحابة والتابعين فكيف بمن بعدهم من سائر المسلمين ولنا
في مسئلة الاستثناء كلام يذكر في موضعه والمقصود هنا ان هنا قولين متطرفين قول
من يقول الاسلام مجرد الكلمة والاعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمى الاسلام وقول
من يقول مسمى الاسلام والايمان واحد وكلاهما ضعيف مخالف لحديث جبريل وسائر قول مح
احاديث النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لما نصر محمد بن نصر المروزي القول الثاني لم
يكن معه حجة على صحته ولكن احتج بما يبطل به القول الاول واحتج بقوله في قصة الاعراب
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين قال فدل ذلك على ان الاسلام هو
الايمان فيقال بل يدل على نقيض ذلك لان القوم لم يقولوا اسلمنا بل قالوا امنا والله امرهم
ان يقولوا اسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالاسلام فقال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان
كنتم صادقين في قولكم امنا ولو كان الاسلام هو الايمان لم يحتج ان يقول ان كنتم صادقين
فانهم صادقون في قولهم اسلمنا ثم ذكر تسميتهم بالاسلام فقال بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
ان كنتم صادقين مع انهم لم يقولوا ولكن الله قال يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم
بل الله يمن عليكم اي يمنون عليك ما فعلوه من الاسلام فالله تعالى سمى فعلهم اسلاما وليس
في ذلك ما يدل على انهم سموه اسلاما وانما قالوا امنا ثم اخبر ان المنة تقع بالهداية الى الايمان
فاما الاسلام الذي لا ايمان معه فكان الناس يفعلونه خوفا من السيف فلا منة لهم بفعله
واذا امتن الله عليهم بالايمان كان ذلك كاسلام المنافق فلا يقبله الله منهم فاما اذا
كانوا صادقين في قولهم امنا فالله هو المان عليهم بهذا الايمان وما يدخل فيه من الاسلام
وهو سبحانه نفى عنهم الايمان اولا وهنا علق منة الله به على صدقهم فدل على جواز صدقهم
وقد قيل انهم صاروا صادقين بعد ذلك ويقال المعلق بشرط لا يستلزم وجود ذلك
الشرط ويقال لانه كان معهم ايمان ما لكن ما هو الايمان الذي وصفوا به بل معهم
شعبة من الايمان قال محمد بن نصر وقال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا
الله مخلصين له الدين الاية وقال ان الدين عند الله الاسلام فسمى اقام الصلاة وايتاء الزكاة
دينا قيما وسمى الدين اسلاما فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم الذي اخبر الله انه
عنده الدين وهو الاسلام بعضا قال وقد جامعتنا هذه الطائفة التي فرقت بين الاسلام
والايمان على ان الايمان قول وعمل وان الصلاة والزكاة من الايمان وقد سماها الله دينا
واخبر



واخبر ان الدين عنده الاسلام فقد سمى الله الاسلام بما سمى به الايمان وسمى الايمان
بما سمى به الاسلام وبمثل ذلك جاءت الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن زعم ان
الاسلام هو الاقرار وان العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة ولا فرق بينه وبين
المرجئة اذ زعمت ان الايمان الاقرار بلا عمل فيقال اما قوله ان الله جعل الصلاة
والزكاة من الدين والدين عنده هو الاسلام فهذا كلام حسن موافق لحديث جبريل
ويرد على من جعل العمل الصالح من الاسلام كلام حسن واما قوله ان الله سمى الايمان بما
سمى به الاسلام وسمى الاسلام بما سمى به الايمان فليس كذلك فان الله تعالى انما قال
ان الدين عند الله الاسلام ولم يقل قط ان الدين عند الله الايمان ولكن هذا الدين من
الايمان وليس اذا كان منه يكون هو اياه فان الايمان اصله معرفة القلب وتصديقه
وقوله والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ولازم له ولا يكون مؤمنا الا بها واما الاسلام
فهو عمل محض مع قول والعلم والتصديق ليس هو جزء مسماه لكن يلزمه جنس التصديق
فلا يكون عمل الا بعلم لكن لا يستلزم الايمان المفصل الذي بينه الله ورسوله كما قال تعالى
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل
الله اولئك هم الصادقون وقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وسائر النصوص التي تنفي الايمان عمن لم
يتصف بما ذكر فان كثيرا من المسلمين مسلم باطنا وظاهرا ومعه تصديق مجمل ولم يتصف
بهذا الايمان والله تعالى قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وقال ورضيت
لكم الاسلام دينا ولم يقل ومن يبتغ غير الاسلام علما ومعرفة وتصديقا وايمانا ولا قال
ورضيت لكم الاسلام تصديقا وعلما فان الاسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد د
والخضوع فمن ابتغى غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والايمان طمأنينة ويقين اصله علم وتصديق
ومعرفة والدين تابع له يقال امنت بالله واسلمت لله وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم
بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فلو كان مسماهما واحدا كان هذا تكريرا وكذلك
قوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات كما قال والصادقين والصابرين والصا شعين
والمؤمن يتصف بهذا كله لكن هذه الاسماء كلها لا تطابق الايمان في العموم والخصوص
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت

فيما يكتبه فيه كما قال ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك
على الله يسير. قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال
لعلمه كن كتابا فكان كتابا فأنزل تصديق ذلك في قوله ألم تعلم أن الله يعلم ما في
السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير وقال تعالى ما أصابكم من — أصاب صح
مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير
وقال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وقال
تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وقال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة
قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم
ما لا تعلمون فالملائكة قد علمت ما يفعل بنو آدم من الفساد وسفك الدماء فلعلها لا يعلمه
الله سواء علموه بأن أعلمهم الله ما يكون هو أعلمها إياه كما قاله أكثر المفسرين أو قالوه بالقياس — علم بها صح
على من كان قبلهم كما قاله طائفة منهم أو بغير ذلك فالله أعلم بما سيكون من مخلوقاته الذين
لا علم لهم إلا ما علمهم وما أوحاه إلى أنبيائه وغيرهم مما سيكون هو أعلم به منهم فإنهم
لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وأيضا فإنه قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قبل
أن يأمرهم بالسجود لآدم وقبل أن يمتنع إبليس وقبل أن ينهى آدم عن أكله من الشجرة وقبل
أن يأكل منها ويكون أكله سبب إهباطه إلى الأرض فقد علم سبحانه أنه سيستخلفه مع
أمره له ولإبليس بما يعلم أنهما يخالفانه فيه ويكون الخلاف سبب أمره لهما بالإهباط
والاستخلاف في الأرض وهذا يبين أنه علم ما يفعلونه من مخالفة الأمر فإن إبليس
امتنع من السجود لآدم وأبغضه فصار عدوه فوسوس له حتى أكل من الشجرة فيذنب
آدم أيضا فإنه قد قال إنه ليغوينهم أجمعين وسأل الإنظار إلى يوم يبعثون فهو
حريص على إغواء بني آدم وردهم بكل ما أمكنه لكن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه
واجتباه ربه وهداه بتوبته فصار لبني آدم سبيل إلى نجاتهم وسعادتهم مما أوقعهم الشيطان
فيه من الإغواء وهو التوبة قال تعالى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما وقدر الله قد
أحاط بهذا كله قبل أن يكون وإبليس أصر على الذنب واحتج بالقدر وسأل الإنظار
ليهلك غيره وآدم تاب وأناب وقال هو وزوجه ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا

وترحمنا



واجتباه صح

وترحمنا لنكونن من الخاسرين فتاب الله عليه وهداه وأنزله إلى الأرض ليعمل فيها
بطاعته ويرفع الله بذلك درجته ويكون دخوله الجنة بعد هذا أكمل مما كان فمن أذنب
من أولاد آدم فاقتدى بأبيه آدم في التوبة كان سعيدا وإذا أناب وآمن وعمل صالحا بدل
الله سيئاته حسنات وكان الله بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة كسائر أولياء الله المتقين
ومن اتبع منهم إبليس فأصر على الذنب واحتج بالقدر وأراد أن يغوي غيره كان من الذين
قيل فيهم لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين والمقصود هنا ذكر القدر وقد
ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قدر الله مقادير
الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء
وفي صحيح البخاري عن عمران ابن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الله
ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه أخبر أن الله قد علم أهل الجنة
من أهل النار وما يعمله العباد قبل أن يعملوا وفي الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود
أن الله يبعث ملكا بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح فيه فيكتب أجله ورزقه وعمله وشقي
أو سعيد وهذه الأحاديث تأتي إن شاء الله في مواضعها فهذا القدر هو الذي
أنكره القدرية الذين كانوا في أواخر زمن الصحابة وقد روي أن أول من ابتدعه
بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سيسويه من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني
ويقال أول ما حدث في الحجاز لما احترقت الكعبة فقال رجل احترقت بقدر الله تعالى
فقال آخر لم يقدره الله هذا ولم يكن على عهد الخلفاء الراشدين أحد ينكر القدر فلما ابتدع
هؤلاء التكذيب بالقدر رده عليهم من بقي من الصحابة كعبد الله ابن عمر وعبد الله ابن عباس
وواثلة ابن الأسقع وكان أكثره بالبصرة والشام وقليل منه بالحجاز فأكثر كلام السلف
في ذم هؤلاء القدرية ولهذا قال وكيع ابن الجراح القدرية يقولون الأمر مستقبل
وأن الله لم يقدر الكتابة والأعمال والمرجئة يقولون القول يجزي من العمل والجهمية
يقولون المعرفة تجزي من القول والعمل قال وكيع وهو كله كفر رواه ابن
ولكن لما اشتهر الكلام في القدر ودخل فيه كثير من أهل النظر والعباد صار جمهور
القدرية يقرون بتقدم العلم وإنما ينكرون عموم المشيئة والخلق وعن عمرو بن عبيد

فعي
في انكار الباب المتقدم والسنة روايتان وقول اوليك كفرهم عليه ملل والنشا
واحد وغيرهم واما هولاء فهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزله اوليك
وفي هولاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم العلم واخرج البخاري ومسلم لجماعه
منهم لكن من كان داعيه اليه لم يخرجوا له وهذا مذهب فقها الحديث كاحمد وغيره
ان من كان داعيه الى بدعه فانه يستحق العقوبه لدفع ضرره عن الناس وان كان
في الباطن مجتهدا واقل عقوبته ان يهجر فلا يكون له مرتبه في الدين لا يوخذ عنه العلم
ولا يستقضى ولا تقبل شهادته ونحو ذلك ومذهب مالك قريب من هذا ولهذا لم يخرج
اهل الصحيح لمن كان داعيه ولكن رووا هم وسائر اهل العلم عن كثير ممن كان
يرى في الباطن راي القدريه والمرجيه والخوارج والشيعه وقال احمد لو
تركنا الروايه عن القدريه لتركنا اكثر اهل البصره وهذا لان مسله خلق افعال
العباد واراده الكائنات مسله مشكله وكان القدريه من المعتزله وغيرهم
اخطاوا فيها فقد اخطا فيها كثير ممن رد عليهم او اكثرهم فانهم سلكوا في الرد عليهم
مسلك جهم بن صفوان واتباعه فنفوا حكمه الله في خلقه وامره ونفوا رحمته بعباده
ونفوا ان يجعل من الاسباب خلقا وامرا وجحدوا من الحقايق الموجوده في مخلوقاته
وشرايعه ما صار ذلك سببا لنفور اكثر العقلا الذين فهموا قولهم عما يظنونه
السنه اذ كانوا يزعمون ان قول اهل السنه في القدر هو القول الذي ابتدعه
جهم وهذا مبسوط في موضع اخر وانما المقصود هنا ان السلف في ردهم على
المرجيه والجهميه والقدريه وغيرهم يردون من اقوالهم ما بلغهم عنهم وما سمعوه
من بعضهم وقد يكون ذلك قول طايفه منهم وقد ينقلون نقلا مغيرا فلهذا ردوا على
المرجيه الذين يجعلون الدين والايمان واحدا ويقولون هو القول وايضا فلم
يكن حدث في زمنهم من المرجيه من يقول الايمان هو مجرد القول بلا تصديق ولا
معرفه في القلب فان هذا انما احدثه ابن كرام وهذا هو الذي انفرد به ابن كرام
واما سائر ما قاله فاقوال قيلت قبله ولهذا لم يذكر الاشعري ولا غيره ممن يحكي
مقالات الناس عنه قولا انفرد به الا هذا واما سائر اقواله فيحكونها عن ناس قبله
ولا يذكرونه ولم يكن ابن كرام في زمن احمد وغيره فلهذا لم يحكوا اجماع الناس على خلاف من الايمه صح

هذا



هذا القول كما ذكر ذلك ابو عبد الله احمد بن حنبل وابو ثور وغيرهما وكان قول المرجيه
قبله ان الايمان قول باللسان وتصديق بالقلب وقول جهم انه تصديق القلب فلما قال
ابن كرام انه مجرد قول اللسان صارت اقوال المرجيه ثلثه لكن احمد كان اعلم بمقالات
الناس من غيره فكان يعرف قول الجهميه في الايمان واما ابو ثور فلم يكن يعرفه ولا يعرف
الا مرجيه الفقها فلهذا حكى الاجماع على خلاف قول الجهميه والكراميه قال ابو ثور في رده على
المرجيه كما روى ذلك ابو القسم الطبري اللالكاي وغيره عن ادريس بن عبد الكريم قال
سال رجل من اهل خراسان ابا ثور عن الايمان وما هو يزيد وينقص قول هو او قول وعمل او تصديق بق
وعمل فاجابه ابو ثور بهذا فقال سالت رحمك الله وعفا عنا وعنك عن الايمان ما هو يزيد وينقص
وقول هو او قول وعمل وتصديق وعمل فاخبرك بقول الطوايف واختلافهم اعلم رحمنا الله
واياك ان الايمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح وذلك انه ليس بين
اهل العلم خلاف في رجل لو قال اشهد ان الله عز وجل واحد وان ما جات به الرسل حق واقر
بجميع الشرايع ثم قال ما عقد قلبي على شي من هذا ولا اصدق به انه ليس بمسلم ولو قال المسيح
هو الله وجحد امر الاسلام ثم قال لم يعتقد قلبي على شي من ذلك انه كافر باظهار ذلك وليس بمومن ذلك صح
فلما لم يكن بالاقرار اذ لم يكن معه التصديق مومنا ولا بالتصديق اذ لم يكن معه الاقرار مومنا
حتى يكون مصدقا بقلبه مقرا بلسانه فاذا كان تصديقا بالقلب واقرارا باللسان كان عندهم
مومنا وعند بعضهم لا يكون حتى يكون مع التصديق عمل فيكون بهذه الاشيا اذا اجتمعت مومنا
فلما نفوا ان يكون الايمان شي واحد وقالوا يكون بشيين في قول بعضهم وبثلثه اشيا
في قول غيرهم لم يكن مومنا الا بما اجمعوا عليه من هذه الثلثه الاشيا وذلك انه اذا جا بهذه
الثلثه الاشيا فكلهم يشهد انه مومن فقلنا بما اجمعوا عليه من التصديق بالقلب والاقرار
باللسان والعمل بالجوارح فاما الطايفه التي ذهبت الى ان العمل ليس من الايمان
فيقال لهم ما اراد الله من العباد اذ قال لهم اقيموا الصلوه واتوا الزكوه الاقرار بذلك او الاقرار
والعمل فان قالت ان الله اراد الاقرار ولم يرد العمل فقد كفرت عند اهل العلم من قال ان
الله لم يرد من العباد ان يصلوا ولا يوتوا الزكاه وان قالت اراد منهم الاقرار والعمل قيل
فاذا كان اراد منهم الامرين جميعا لم زعمتم انه يكون مومنا باحدهما دون الاخر وقد
ارادهما جميعا ارايتم لو ان رجلا قال اعمل جميع ما امر الله به ولا اقر به ايكون مومنا فان قالوا

لا قيل لهم فان قال اقر بجميع ما امر الله به ولا اعمل به اكون مومنا فان قالوا نعم قيل ما
الفرق فقد زعمتم ان الله اراد الامرين جميعا فان جاز ان يكون باحدهما مومنا اذا
ترك الاخر جاز ان يكون بالاخر اذا عمل ولم يقر مومنا لا فرق بين ذلك فان احتج فقال
لو ان رجلا اسلم فاقر بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ايكون مومنا بهذا الاقرار
قبل ان يجي وقت عمل قيل له انما نطلق له الاسم بتصديقه ان العمل عليه بقوله ان يعمله في وقته
اذا جا وليس عليه في هذا الوقت الا الاقرار بجميع ما يكون مومنا ولو قال اقر ولا اعمل لم
نطلق له اسم الايمان قلت ـــــ يعني الامام ابو ثور رحمه الله عليه انه
لا يكون مومنا الا اذا التزم بالعمل مع الاقرار والا فلو اقر ولم يلتزم العمل لم يكن مومنا
وهذا الاحتجاج الذي ذكره ابو ثور هو دليل وجوب الامرين الاقرار والعمل وهو
يدل على ان كلا منهما من الدين وانه لا يكون مطيعا لله ولا مستحقا للثواب ولا ممدوحا عند
الله ورسوله الا بالامرين وهو حجة على من يجعل الاعمال خارجة عن الدين والايمان جميعا
واما من يقول انها من الدين ويقول ان الفاسق يعصى من حيث اخذ ببعض الدين وهو
الايمان عندهم وترك بعضه فهذه الحجه عليه تبين احتجاج ابو ثور وغيره من
علما السنه عامه احتجاجهم مع هذا الصنف واحمد كان اوسع علما بالاقوال والحجج من
ابي ثور ولهذا انما حكى الاجماع على خلاف قول الكراميه ثم انه تورع في الحكم على عادته
ولم يجزم بنفي الخلاف لكن قال لا احسب احدا يقول بهذا وهذا في رسالته الى ابي عبد
الرحيم الجوزجاني ذكرها الخلال في كتاب السنه وهو جامع كتاب يذكر فيه اقوال احمد في
مسايل الاصول الدينيه وان كان له اقوال زايده على ما فيه كما ان كتابه في العلم اجمع كتاب
يذكر فيه اقوال احمد في الاصول الفقهيه قال المروذي رايت ابا عبد الرحيم الجوزجاني
عند ابي عبد الله وقد كان ذكر ابو عبد الله فقال كان ابوه او جده مرجيا او قال صاحب
راي واما ابو عبد الرحيم فاثنى عليه وقد كان كتب الى ابي عبد الله من خراسان يساله عن
الايمان ذلك الرساله من طريق عن عبد الرحيم وجواب احمد (ابي م)

بسم الله الرحمن الرحيم احسن الله الينا واليك في الامور كلها وسلمنا واياك من
كل سوء برحمته اتاني كتابك تذكر فيه ما تذكر من احتجاج من احتج من المرجيه واعلم رحمك الله
ان الخصومه في الدين ليس من طريق اهل السنه وان تاويل من تاول القران بلا سنه يدل

على

بلغ



على معناها ما اراد الله منه او اثر عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرف ذلك بما
جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم او عن اصحابه فهم شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وشهدوا
تنزيله وما قصه الله له في القران وما عني به وما اراد به اخاص هو او عام فاما من تاوله
على ظاهره بلا دلالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من اصحابه فهذا تاويل اهل
البدع لان الايه قد تكون خاصه ويكون حكمها حكما عاما ويكون ظاهرها على العموم
وانما قصدت لشي بعينه ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله وما
اراد واصحابه اعلم بذلك منا لمشاهدتهم الامر وما اريد بذلك فقد تكون الايه خاصه
اي معناها مثل قوله يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وظاهرها على العموم
اي من وقع عليه اسم ولد فله ما فرض الله فجات سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا
يرث مسلم كافرا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس بالثبت الا انه عن اصحابه انهم
لم يورثوا قاتلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن الكتاب ان الايه انما
قصدت للمسلم لا الكافر ومن حملها على ظاهرها لزمه ان يورث من وقع عليه اسم الولد
كافرا او قاتلا ولذلك احكام المواريث من الابوين وغير ذلك مع اي كثير يطول (كان م)
به الكتاب وانما استعملت السنه من النبي صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه الا من دفع ذلك اي (الامه م)
~~ما استعملت الا السنه اي لم يخالفها~~ من اهل البدع والخوارج وما يشبههم فقد رايت الى
ما خرجوا قلت ـــــ لفظ المجمل والمطلق والعام كان في اصطلاح الايمه
كالشافعي واحمد وابي عبيد واسحق وغيرهم سوا لا يريدون بالمجمل ما لا يفهم منه معنى
كما فسره به بعض المتاخرين واخطا في ذلك بل المجمل ما لا يكفي وحده في العمل به وان كان
ظاهره حقا كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها فهذه الايه
ظاهرها ومعناها مفهوم ليست مما لا يفهم المراد به بل نفس ما دلت عليه لا يكفي وحده
فان المامور به صدقة تكون مطهره مزكيه لهم وهذا انما يعرف ببيان الرسول صلى الله عليه
وسلم ولهذا قال احمد يحذر المتكلم في الفقه هذين الاصلين المجمل والقياس وقال اكثر
ما يخطي الناس من جهة التاويل والقياس يريد بذلك انه لا يحكم بما يدل عليه العام والمطلق
قبل النظر فيما يخصصه ويقيده ولا يعمل بالقياس قبل النظر في دلالة النصوص هل تدفعه
فان اكثر خطا المتكلمين بما يظنونه من دلالة اللفظ والقياس فالامور الظنيه لا يعمل بها حتى
(الناس م)

يبحث عن المعارض بخاطبهم الطلب اليه والا اخطا من لم يفعل ذلك وهذا هو الواقع
في المتمسك بالظواهر والاقيسة ولهذا جعل الاحتجاج بالظواهر مع الاعراض عن تفسير
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه طريق اهل البدع وله في ذلك مصنف لهم وكذلك التمسك
بالاقيسة مع الاعراض عن النصوص والاثار طريق اهل البدع ولهذا كان كل قول انفرد به
هولاء عن هولاء قولا فاسدا وانما الصواب ما وافق فيه السلف من
الصحابة والتابعين لهم باحسان وقوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم سماه عاما وهو مطلق
في الاحوال يعمها على طريق البدل كما يعم قوله فتحرير رقبة جميع الرقاب لا يعمها كما
يعم لفظ الولد للاولاد ومن اخذ بهذا لم ياخذ بما دل عليه ظاهر لفظ القران بل اخذ
بما ظهر له مما سكت عنه القران فكان الظهور لسكوت القران عنه لا لدلالة القران
على انه ظاهر وكانوا متمسكين بظاهر من القول لا بظاهر القول وعمدتهم عدم العلم
بالنصوص التي فيها علم بما قيد والا فكلما سنه القران واظهره فهو حق بخلاف ما يظهر
للانسان لمعنى اخر غير تفسير القران تسمى ظاهر القران كاستدلالات اهل البدع من
المرجية والجهمية والخوارج والشيعة قال احمد واما من زعم ان الايمان الاقرار
فما يقول في المعرفة هل يحتاج الى المعرفة مع الاقرار وهل يحتاج ان يكون مصدقا بما عرف
فان زعم انه يحتاج الى المعرفة مع الاقرار فقد زعم انه من شيئين وان زعم انه يحتاج ان
يكون مقرا ومصدقا بما عرف فهو من ثلثة اشيا وان جحد وقال لا يحتاج الى المعرفة
والتصديق فقد قال قولا عظيما ولا احسب احدا يدفع المعرفة والتصديق وكذلك
العمل مع هذه الاشيا قلت احمد وابو ثور وغيرهما من الائمة كانوا قد عرفوا اصل
قول المرجية وهو ان الايمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه فلا يكون ذا عدد اثنين
او ثلثة فانه اذا كان له عدد امكن ذهاب بعضه وبقا بعضه بل لا يكون الا شيا واحدا
ولهذا قالت الجهمية انه شي واحد في القلب وقالت الكرامية انه شي واحد على اللسان
كل ذلك فرارا من تبعض الايمان وتعدده فلهذا صار واحد يناظرونهم بما يدل على انه ليس
شيا واحدا كما قلتم فابو ثور احتج بما احتج عليه فقها المرجية من انه تصديق وعمل ولم
يكن يعد قول متكلميهم وجهميتهم او لم يعد خلافهم خلافا واحمد ذكر انه لا بد من المعرفة
والتصديق مع الاقرار وقال ان جحد المعرفة والتصديق فقد قال
قولا



قولا عظيما فان فساد هذا القول معلوم من دين الاسلام ولهذا لم يذهب اليه احد قبل
الكرامية مع ان الكرامية لا تنكر وجوب المعرفة والتصديق ولكن يقولون لا يدخل
في اسم الايمان حذرا من تبعيضه وتعدده لانهم راوا انه لا يمكن ان يذهب بعضه ويبقى
بعضه بل ذلك يقتضي ان يجتمع في القلب ايمان وكفر واعتقدوا الاجماع على نفي ذلك
كما ذكر هذا الاجماع الاشعري وغيره وهذه الشبهة التي اوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادة
وحسن اسلامه وايمانه ولهذا دخل في ارجاء الفقهاء جماعة هم عند الامة اهل علم ودين ولهذا
لم يكفر احد من السلف احدا من مرجية الفقهاء بل جعلوا هذا من بدع الاقوال والافعال لا من
بدع العقايد فان كثيرا من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة
هو الصواب فليس لاحد ان يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك
ذريعة الى بدع اهل الكلام من اهل الارجاء وغيرهم والى ظهور الفسق فصار ذلك
الخطا اليسير في اللفظ سببا لخطا عظيم في العقايد والاعمال فلهذا عظم القول في ذم
الارجاء حتى قال ابرهيم النخعي لفتنتهم يعني المرجية اخوف على هذه الامة من فتنة
الازارقة وقال الزهري ما ابتدعت في الاسلام بدعة اضر على اهله
من الارجاء وقال الاوزاعي كان يحيى ابن ابي كثير وقتادة يقولان ليس شي من الاهواء
اخوف عندهم على الامة من الارجاء وقال شريك القاضي وذكر المرجية فقال
هم اخبث قوم حسبك بالرافضة خبثا ولكن المرجية يكذبون على الله وقال
سفين الثوري تركت المرجية الاسلام ارق من ثوب سابري وقال قتادة انما احدث الارجاء
بعد فرقة ابن الاشعث وسئل ميمون ابن مهران عن كلام المرجية فقال انا اكبر من ذلك
وقال سعيد بن جبير لذر الهمداني الا تستحيي من راي انت اكبر منه وقال ايوب السختياني
انا اكبر من دين المرجية ان اول من تكلم في الارجاء رجل من اهل المدينة من بني هاشم يقال
له الحسن وقال زاذان اتينا الحسن ابن محمد فقلنا ما هذا الكتاب الذي وضعت وكان
هو الذي اخرج كتاب المرجية فقال لي يا ابا عمر لوددت اني كنت مت قبل ان اخرج هذا الكتاب
او اضع هذا الكتاب فان الخطا في اسم الايمان ليس كالخطا في اسم محدث ولا كالخطا في غيره
من الاسماء اذ كانت احكام الدنيا والاخرة متعلقة باسم الايمان والاسلام والكفر والنفاق

واحمد رضي الله عنه فرق بين المعرفه التي في القلب وبين التصديق الذي في القلب فان
تصديق اللسان هو الاقرار وقد ذكر ثلثة اشيا وهذا يحتمل شيئين يحتمل ان يفرق بين
تصديق القلب ومعرفته وهذا قول ابن كلاب والقلانسي والاشعري واصحابه يفرقون
بين معرفه القلب وبين تصديق القلب فان تصديق القلب قوله وقول القلب عندهم
ليس هو العلم بل نوعا اخر ولهذا قال احمد هل يحتاج الى المعرفه مع الاقرار وهل يحتاج الى
ان يكون مصدقا بما عرف فان زعم انه يحتاج الى المعرفه مع الاقرار فقد زعم انه من شيين
وان زعم انه يحتاج ان يكون مقرا ومصدقا بما عرف فهو من ثلثه اشيا فان جحد وقال
لا يحتاج الى المعرفه والتصديق فقد اتى عظيما ولا احسب احدا يدفع المعرفه والتصديق
والذين قالوا الايمان هو الاقرار فالاقرار باللسان يتضمن التصديق باللسان والمرجيه
لم يختلفوا ان الاقرار باللسان فيه التصديق فعلم انه اراد تصديق القلب ومعرفته مع الاقرار
باللسان الا ان يقال اراد تصديق القلب واللسان جميعا مع المعرفه والاقرار ومراده بالاقرار
الالتزام لا التصديق كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمه ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال ااقررتم واخذتم على ذلكم
اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فالميثاق الماخوذ على انهم يومنون
به وينصرونه وقد امروا بذلك وليس هذا الاقرار تصديقا فان الله لم يخبرهم بخبر بل اوجب
عليهم اذا جاهم ذلك الرسول ان يومنوا به وينصروه هذا الاقرار والتزموه فهذا
هو اقرارهم والانسان قد يقر للرسول بمعنى انه ملتزم ما امر به مع غير معرفه ومن غير
تصديق له بانه رسول الله لكن لم يقل احد من المرجيه ان هذا الاقرار يكون ايمانا بل لا بد
عندهم من الاقرار الخبري وهو ان يقر له بانه رسول الله كما يقر المقر لمن يقر بما يقر به
من الحقوق ولفظ الاقرار يتناول الالتزام والتصديق ولا بد منهما وقد يراد بالاقرار
بالاقرار مجرد التصديق بدون التزام الطاعه والمرجيه تارة يجعلون هذا هو الايمان
وتارة يجعلون الايمان التصديق والالتزام معا هذا هو الاقرار الذي يقوله فقها المرجيه
انه ايمان والا لو قال انا لا اطيعه ولا اصدق انه رسول الله او اصدقه ولا التزم طاعته
لم يكن مسلما ولا مومنا عندهم واحمد قال لا يسع هذا الاقرار ان يكون مصدقا وان
يكون



يكون عارفا وان يكون مصدقا بما عرف وفي روايه اخرى مصدقا بما اقر وهذا يقتضي
انه لا بد من تصديق باطن ويحتمل ان يكون لفظ التصديق عنده يتضمن القول والعمل جميعا
كما قد ذكرنا شواهده انه يقال صدق بالقول والعمل فيكون تصديق القلب عنده يتضمن
انه مع معرفه قلبه انه رسول الله قد خضع له وانقاد فصدقه بقول قلبه وعمل قلبه محبه وتعظيما
والا مجرد معرفه قلبه انه رسول الله مع الاعراض عن الانقياد له ولما جا به اما حسدا واما
كبرا واما لمحبته دينه الذي يخالفه واما لغير ذلك فلا يكون ايمانا ولا بد في الايمان من علم
القلب وعمله فاراد احمد بالتصديق انه مع المعرفه صار القلب مصدقا له تابعا له محبا له
معظما له فان هذا لا بد منه ومن دفع هذا عن ان يكون من الايمان فهو من جنس من دفع
المعرفه عن ان يكون من الايمان وهذا اشبه بان يحمل عليه كلام احمد لان وجوب انقياد القلب
مع معرفته ظاهر ثابت بدلايل الكتاب والسنه واجماع الامه بل ذلك معلوم بالاضطرار
من دين الاسلام ومن نازع من الجهميه في ان انقياد القلب من الايمان فهو كمن نازع من
الكراميه في ان معرفه القلب من الايمان فكان حمل كلام احمد على هذا هو المناسب
لكلامه في هذا المقام وايضا فان الفرق بين معرفه القلب وبين مجرد تصديق القلب
الخالي عن انقياد الذي يجعل قول القلب امر دقيق واكثر العقلا ينكرونه وبتقدير صحته
لا يجب على كل احد ان يوجب شيئين لا يتصور الفرق بينهما واكثر الناس لا يتصورون
الفرق بين معرفه القلب وتصديقه ويقولون ان ما قاله ابن كلاب والاشعري من
الفرق كلام باطل لا حقيقه له وكثير من اصحابه اعترف بعدم الفرق وعمدتهم من الحجه
انما هو خبر الكاذب قالوا ففي قلبه خبر بخلاف علمه فدل على الفرق فقال لهم الناس
ذاك يقدر خبرا وعلما ليس هو علما حقيقيا ولا خبرا حقيقيا ولما اثبتوا من قول القلب
المخالف للعلم والاراده انما يعود الى تقدير علوم وارادات لا الى جنس اخر يخالفها
ولهذا قالوا ان الانسان لا يمكنه ان يقوم بقلبه خبر بخلاف ما يعلمه فهذا غير ممكن وهذا
مما استدلوا به على ان الرب تعالى لا يتصور قيام الكذب بذاته لانه بكل شي عليم ويمتنع
قيام معنى يضاد العلم بذات العالم والخبر النفساني الكاذب يضاد العلم
فيقال لهم الخبر النفساني لو كان خلافا للعلم لجاز وجود العلم مع ضده كما
يقولون مثل ذلك في مواضع لكن هي من اقوى الحجج التي يحتج بها القاضي ابو بكر وموافقوه

في مسله العقل وعيرها القاضي ابي يعلى وابي محمد بن اللبان وابي علي بن شاذان وابي الطيب
وابي الوليد الباجي وابي الخطاب وابن عقيل وغيرهم ممن يقولون العقل نوع من العلم فانه ليس
بضد له فان لم يكن نوعا منه كان خلافا له ولو كان خلافا لجاز وجوده مع ضد العقل ٥
وهذه الحجه وان كانت ضعيفه كما ضعفها الجمهور وابو المعالي الجويني ممن ضعفها
فان ما كان مستلزما للغير لم يكن ضدا له اذ قد اجتمعا وليس هو من نوعه بل هو خلاف
له على هذا الاصطلاح الذي يقسمون فيه كل شيين الى ان يكونا مثلين او خلافين او ضدين
فالملزوم كالاراده مع العلم وكالعلم مع الحياه ونحو ذلك ليس ضدا ولا مثلا بل هو خلاف
ومع هذا فلا يجوز وجوده مع ضد اللازم فان ضد اللازم ينافيه ووجود الملزوم بدون
اللازم محال كوجود الاراده بدون العلم والعلم بدون الحيوه فهذان خلافان عندهم ولا يجوز
وجود احدهما مع ضد الاخر لذلك العلم هو مستلزم للعقل فكل عالم عاقل والعقل شرط
في العلم فليس مثلا له ولا ضدا ولا نوعا منه ومع هذا لا يجوز وجوده مع ضد العقل للذهن
الحجه يقال لهم في العلم مع كلام النفس الذي هو الخبر فانه ليس ضدا ولا مثلا بل خلافا
فيجوز وجود العلم مع ضد الخبر الصادق وهو الكاذب فيبطل بذلك الحجه على امتناع الكذب
النفساني من العالم وبسط هذا الموضع اخر ٥ والمقصود هنا ان الانسان اذا رجع الى
نفسه عسر عليه التفريق بين علمه بان الرسول صادق وبين تصديق قلبه تصديقا مجردا
عن انقياد وغيره من اعمال القلب بانه صادق ٥ ثم احتج الامام احمد على ان الاعمال
من الايمان بحجج كثيره فقال وقد سال وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الايمان فقال شهاده ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوه وايتا الزكوه وصوم
رمضان وان يعطوا خمسا من المغنم فجعل ذلك كله من الايمان قال وقال النبي صلى الله عليه
وسلم الحيا شعبه من الايمان وقال اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وقال ان
البذاذه من الايمان وقال الايمان بضع وسبعون شعبه فادناها اماطه الاذى
عن الطريق وارفعها قول لا اله الا الله مع اشيا كثيره منها اخرجوا من النار من كان في
قلبه مثقال ذره من ايمان وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفه المنافق ثلث من
كن فيه فهو منافق مع حجج كثيره وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تارك الصلاه
وعن اصحابه من بعده ثم ما وصف الله تبارك وتعالى في كتابه من زياده الايمان في غير
موضع



موضع مثل قوله هو الذي انزل السكينه في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقال
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا وقال واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا وقال فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون وقال انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون وقال فان تابوا واقاموا
الصلوه واتوا الزكوه فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وقال فان تابوا واقاموا الصلاه
واتوا الزكوه فاخوانكم في الدين ٥ وقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
وهو حنفا ويقيموا الصلوه ويوتوا الزكاه وذلك دين القيمه ٥ قال احمد يلزمه ان يقول
هو مومن باقراره وان اقر بالزكاه في الجمله ولم يجد في كل مايتي خمسه انه مومن فيلزمه ان
يقول اذا اقر ثم شد الزنار في وسطه وصلى للصليب واتى الكنايس والبيع وعمل الكباير
كلها الا انه في ذلك مقر بالله فيلزمه ان يكون عنده مومنا وهذه الاشيا من اشنع ما
يلزمهم ٥ قلت هذا الذي ذكره احمد من احسن ما احتج به الناس عليهم جمع
في ذلك جملا يقول غيره بعضها وهذا الالزام لا محيد لهم عنه ولهذا لما عرف متكلميهم
مثل جهم ومن وافقه انه لازم التزموه وقالوا لو فعل من الافعال الظاهره لم يكن بذلك
كافرا في الباطن لكن يكون دليلا على الكفر في احكام الدنيا فاذا احتج عليهم بنصوص
تقتضي انه يكون كافرا في الاخره قالوا فهذه النصوص تدل على انه في الباطن ليس معه
من معرفه الله شي فانها عندهم شي واحد فخالفوا صريح العقل وصريح الشرع وهذا
فانهم القول مع فساده عقلا وشرعا ومع لوازمه عند المحقق لا يثبت ايمانا جعلوا الايمان
شيا واحدا لا حقيقه له كما قالت الجهميه ومن وافقهم مثل ذلك في وحده الرب
انه ذات بلا صفات وقالوا ان القران مخلوق وانه لا يرى في الاخره وما يقوله من وحده
الكلام وغيره من الصفات فقولهم في الرب وصفاته وكلامه والايمان به يرجع الى
تعطيل محض وهذا قد وقع فيه طوايف لكثير من المتاخرين المنتسبين الى السنه والحديث
والفقه المتبعين للايمه الاربعه المتعصبين للجهميه والمعتزله بل وللمرجيه ايضا لكن
لعدم معرفتهم بالحقايق التي نشات منها البدع يجمعون بين الضدين ولكن من رحمه الله بعباده
المسلمين ان الايمه الذين لهم في الامه لسان صدق كالايمه الاربعه وغيرهم كمالك والثوري

والاوزاعي والليث ابن سعد وكالشافعي واحمد واسحق وابي عبيد وابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد كانوا ينكرون على اهل الكلام من الجهمية قولهم في القران والايمان وفي صفات
الرب وكانوا متفقين على ما كان عليه السلف من ان الله تعالى يرى في الاخرة وان القران
كلام الله غير مخلوق وان الايمان لا بد فيه من تصديق القلب واللسان فلو شتم الله ورسوله
كان كافرا باطنا وظاهرا عندهم كلهم ومن كان موافقا لقول جهم في الايمان بسبب
انتصار ابي الحسن لقوله في الايمان يبقى تارة يقول بقول السلف والايمة وتارة يقول بقول
المتكلمين الموافقين لجهم حتى في مسلة سب الله ورسوله رايت طايفة من الحنبليين والشافعيين
والمالكيين اذا تكلموا بكلام الايمة قالوا ان هذا كفر باطنا وظاهرا واذا تكلموا بكلام
اوليك قالوا هذا كفر في الظاهر وهو في الباطن يجوز ان يكون مومنا تام الايمان فان الايمان
عندهم لا يتبعض ولهذا لما عرف القاضي عياض هذا من قول بعض اصحابه انكره ونصر
قول مالك واهل السنة واحسن في ذلك وقد ذكرت بعض ما يتعلق بهذا
في كتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول ولذلك تجدهم في مسايل الايمان يذكرون
اقوال الايمة والسلف ويبحثون بحثا يناسب قول الجهمية لان البحث اخذوه من كتب
اهل الكلام الذين نصروا قول جهم في مسلة الايمان والرازي لما صنف مناقب
قول جهم الشافعي ذكر قوله في الايمان وقول الشافعي مع الصحابة والتابعين وقد ذكر الشافعي
انه اجماع من الصحابة والتابعين ومن لقيه استشكل قول الشافعي جدا لانه كان
من ح قد انعقد في نفسه شبهة اهل البدع في الايمان من الخوارج والمعتزلة والجهمية والكرامية
وسائر المرجية وهو ان الشي المركب اذا زال بعض اجزايه لزم زواله كله لكن هو لم
يذكر الا ظاهر شبهتهم والجواب عن ذلك سهل فانه يسلم ان الهيئة
الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت لكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الاجزاء
والشافعي مع الصحابة والتابعين وسائر السلف يقولون ان الذنب يقدح في كمال
الايمان ولهذا نفى الشارع الايمان عن هولاء فذلك المجموع الذي هو الايمان لم يبق
مجموعا مع الذنوب لكن يقولون بقي بعضه اما اصله واما اكثره واما غير ذلك فيعود
الكلام الى انه يذهب بعضه ويبقى بعضه ولهذا كانت المرجية تنفر من لفظ النقص
اعظم من نفورها من لفظ الزيادة لانه اذا نقص لزم ذهابه كله عندهم ان كان متبعضا
متعددا



متعددا عند من يقول بذلك وهم الخوارج والمعتزلة واما الجهمية فهو واحد عندهم
لا يقبل التعدد فيثبتون واحدا لا حقيقة له كما قالوا مثل ذلك في وحدانية الرب
ووحدانية صفاته عند من اثبتها منهم ومن العجب ان الاصل الذي اوقعهم في هذا اعتقا دهم
انه لا يجتمع في الانسان بعض الايمان وبعض الكفر او ما هو ايمان وما هو كفر واعتقدوا
ان هذا متفق عليه بين المسلمين كما ذكر ذلك ابو الحسن وغيره فلاجل اعتقادهم هذا
الاجماع وقعوا فيما هو مخالف للاجماع الحقيقي اجماع السلف الذي ذكره غير واحد من الايمة
بل وصرح غير واحد منهم بكفر من قال بقول جهم في الايمان ولهذا نظاير متعددة
يقول الانسان قولا مخالفا للنص والاجماع القديم حقيقة ويكون معتقدا انه متمسك بالنص
والاجماع وهذا اذا كان مبلغ علمه واجتهاده فالله يثيبه على ما اطاع الله فيه من اجتهاده ويغفر
له ما عجز عن معرفته من الصواب الباطن وهم لما توهموا ان الايمان الواجب على جميع الناس
نوع واحد صار بعضهم يظن ان ذلك النوع من حيث هو لا يقبل التفاضل فقال لي
مرة بعضهم الايمان من حيث هو ايمان لا يقبل الزيادة والنقصان فقلت له قولك من
حيث هو كما تقول الانسان من حيث هو انسان والحيوان من حيث هو حيوان
والوجود من حيث هو وجود والسواد من حيث هو سواد وامثال ذلك لا يقبل الزيادة
والنقصان فتثبت لهذه المسميات وجودا مطلقا مجردا عن جميع القيود والصفات وهذا
لا حقيقة له في الخارج وانما هو شي يقدره الانسان في ذهنه كما يقدر موجودا لا قديما
ولا حادثا ولا قايما بنفسه ولا بغيره ويقدر انسانا لا موجودا ولا معدوما ويقول
الماهية من حيث هي هي لا توصف بوجود ولا عدم والماهية من حيث هي هي يقدره شي ح
الذهن وذلك موجود في الذهن لا في الخارج واما تقدير شي لا يكون في الذهن ولا في
الخارج ممتنع وهذا التقدير لا يكون الا في الذهن كما يقدر الامور الممتنعة مثل
تقدير صدور العالم عن صانعين ونحو ذلك فان هذه المقدرات في الذهن فهكذا تقدير
ايمان لا يتصف به مومن بل هو مجرد عن كل قيد وتقدير انسان لا يكون موجودا ولا معدوما وما
بل ما ثم ايمان الا مع المومنين ولا ثم انسانية الا ما اتصف بها الانسان فكل انسان
له انسانية تخصه وكل مومن له ايمان يخصه فانسانية زيد تشبه انسانية عمرو وليست
هي هي واذا اشتركا في نوع الانسانية فمعنى ذلك انهما يشتبهان فيما يوجد في الخارج

ومشترك كان في امر كلي مطلق يكون في الذهن ولذلك اذا قيل ايمان زيد مثل ايمان
عمرو فايمان كل واحد يخصه فلو قدر ان الايمان متماثل لكان لكل مؤمن ايمان
يخصه وذلك الايمان مختص معين ليس هو الايمان من حيث هو هو بل هو ايمان
معين وذلك الايمان يقبل الزيادة والذين ينفون التفاضل في هذه الامور يتصورون
في انفسهم ايمانا مطلقا وانسانا مطلقا او وجودا مطلقا مجردا عن جميع الصفات المعينة
له ثم يظنون ان هذا هو الايمان الموجود في الناس وذلك لا يقبل التفاضل بل لا يقبل
في نفسه التعدد اذ هو تصور معين قائم في نفس متصوره ولهذا يظن كثير من هولاء
ان الامور المشتركة في شي واحد هي واحدة بالشخص والعين حتى انتهى الامر بطائفة
من علمائهم علما وعبادة الى ان جعلوا الوجود كذلك فتصوروا الموجودات مشتركة في مسمى
الوجود وتصوروا هذا في انفسهم فظنوه في الخارج كما هو في انفسهم ثم ظنوا انه الله تعالى
فجعلوا الرب هو هذا الوجود الذي لا يوجد قط الا في نفس متصوره لا يكون في الخارج
وهكذا كثير من الفلاسفة تصوروا اعدادا مجردة وحقائق مجردة ويسمونها المثل الافلاطونية
وزمانا مجردا عن الحركة والمتحرك وبعدا مجردا عن الاجسام وصفاتها ثم ظنوا وجود
ذلك في الخارج وهولاء كلهم اشتبه عليهم ما في الاذهان بما في الاعيان وهولاء قد
يجعلون الواحد اثنين والاثنين واحدا فتارة يجيئون الى الامور المتعددة المتفاضلة
في الخارج فيجعلونها واحدا او متماثلة وتارة يجيئون الى ما في الخارج من الحيوان والمكان
والزمان فيجعلون الواحد اثنين والمتفلسفة والجهمية وقعوا في هذا وهذا فجاؤا الى
صفات الرب التي هي انه عالم قدير وقادر فجعلوا هذه الصفة هي عين الاخرى وجعلوا
الصفة هي الموصوف وهكذا القايلون بان الايمان شي واحد وانه متماثل في بني ادم غلطوا
في كونه واحدا وفي كونه متماثلا كما غلطوا في امثال ذلك من مسايل التوحيد والصفات
والقران ونحو ذلك فكان غلط جهم واتباعه في الايمان كغلطهم في الرب الذي
يومن به المومنون وفي كلامه وصفاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وكذلك السواد والبياض يقبل الاشتداد والضعف بل عامة الصفات التي يتصف
بها الموصوفون تقبل التفاضل ولهذا كان العقل يقبل التفاضل والايجاب والتحريم
تقبل التفاضل فيكون ايجاب اقوى من ايجاب وتحريم اقوى من تحريم وكذلك المعرفة



التي في القلوب تقبل التفاضل على الصحيح عند اهل السنة وفي هذا كله نزاع فطائفة من
المنتسبين الى السنة ينكرون التفاضل في هذا كله كما اختار ذلك القاضي ابو يعلى وابن
عقيل وغيرهما وقد حكي عن احمد في التفاضل في المعرفة روايتان وانكار التفاضل في
هذه الصفات هو من جنس اصل قول المرجئة ولكن يقوله من يخالف المرجئة وهولاء يقولون
التفاضل انما هو في الاعمال واما الايمان الذي في القلوب فلا يتفاضل وليس الامر كذا
قالوا بل جميع ذلك يتفاضل وقد يقولون ان اعمال القلب تتفاضل بخلاف معارف
القلوب وليس الامر كذلك بل ايمان القلوب يتفاضل من جهة ما وجب على هذا ومن
جهة ما وجب على هذا فلا يستوون في الوجوب وامة محمد صلى الله عليه وسلم وان وجب
عليهم جميعهم الايمان بعد استقرار الشرع فوجوب الايمان بالشي المعين موقوف على
ان يبلغ العبد ان كان خبرا وعلى ان يحتاج الى العمل به ان كان امرا عمليا والا فلا يجب على
كل مسلم ان يعرف كل خبر وكل امر في الكتاب والسنة ويعرف معناه فان هذا
لا يقدر احد عليه فالوجوب مما يتنوع الناس فيه ثم قدرهم في اداء الواجب متفاوته
ثم نفس المعرفة تختلف بالاجمال والتفصيل والقوة والضعف ودوام الحضور ومع
الغفلة فليست المفصلة المستحضرة الثابتة التي يثبت الله صاحبها بالقول الثابت في
كالمجملة التي غفل عنها واذا حصل له ما يريبه ذمها في قلبه ثم احوال القلوب واعمالها مثل
محبة الله ورسوله وخشية الله والتوكل عليه والصبر على حكمه والشكر له والانابة اليه
واخلاص العمل له مما يتفاضل الناس فيها تفاضلا لا يعرف قدره الا الله تعالى ومن انكر
تفاضلهم في هذا فهو اما جاهل لم يتصوره واما معاند قال … الامام احمد فان
زعموا انهم لا يقبلون زيادة الايمان من اجل انهم لا يدرون ما زيادته وانها غير محدودة
فما يقولون في انبياء الله وكتبه ورسله هل يقرون بهم في الجملة ويزعمون انه من الايمان
فاذا قالوا نعم قيل لهم هل تحدونهم وتعرفون عددهم اليس انما تصيرون في ذلك الى
الاقرار بهم في الجملة ثم يكفون عن عددهم فكذلك زيادة الايمان ومن حجتهم ان قالوا لو انهم
لم يعرفوا منتهى زيادته لامتنعتم من الاقرار بها في الجملة كما انهم يومنون بالانبياء والكتب
وهم لا يعرفون عدد الكتب والرسل وهذا الذي ذكره احمد وذلك مما يبين تصور غيرها
يبين انهم لم يعلموا عدد الكتب والرسل وان حدث اي شي في ذلك لم يثبت عندهم واما

قول من سوى بين الايمان والاسلام فقال ان الله سمى الايمان بما سماه به الاسلام وسمى
الاسلام بما سماه به الايمان فليس كذلك فان الله ورسوله قد فسر الايمان بانه الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبين ايضا ان العمل بما امر به يدخل في الايمان
ولم يسم الله الايمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت اسلاما بل انما سمى الاسلام
الاستسلام له بقلبه وقصده واخلاص الدين والعمل بما امر به كالصلوة والزكوة خالصا
لوجهه فهذا هو الذي سماه الله اسلاما وجعله دينا وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا
فلن يقبل منه ولم يدخل فيما خص به الايمان وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
بل ولا اعمال القلوب مثل حب الله ورسوله ونحو ذلك فان هذه جعلها من الايمان
والمسلم المؤمن يتصف بها وليس اذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم ان يكون من الاسلام
بل هي من الايمان والاسلام فرض والايمان فرض والاسلام داخل فيه فمن اتى بالايمان الذي
امر به فلا بد ان يكون قد اتى بالاسلام المتناول لجميع الاعمال الواجبة ومن اتى بما سمي اسلاما
لم يلزم ان يكون قد اتى بالايمان الا بدليل منفصل كما علم ان من اثنى الله عليه بالاسلام من الحواريون
الانبياء واتباعهم الى الحواريين كلهم كانوا مؤمنين كما هم مسلمين كما قال الحواريون امنا
بالله واشهد بانا مسلمون وقال واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد
باننا مسلمون ولهذا امرنا الله بهذا وبهذا في خطاب واحد كما قال قولوا امنا بالله وما
انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان امنوا
بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو
السميع العليم وقال في الاية الاخرى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في
الاخرة من الخاسرين فهذا يقتضي ان كل من دان بغير دين الاسلام فعمله مردود وهو
خاسر في الاخرة فيقتضي وجوب دين الاسلام وبطلان ما سواه لا يقتضي ان مسمى الدين
هو مسمى الايمان بل امرنا ان نقول امنا بالله وامرنا ان نقول ونحن له مسلمون فامرنا بالاثنين
فكيف نجعلهما واحدا واذا جعلوا الاسلام والايمان شيئا واحدا فاما ان يقولوا اللفظ مترادف
فيكون هذا تكريرا محضا ثم مدلول هذا اللفظ عين مدلول هذا اللفظ واما ان يقولوا احد
اللفظين يدل على صفة غير الصفة الاخرى كما في اسماء الله واسماء كتابه لكن هذا لا يقتضي الامر
بهما



بهما جميعا لكن يقتضي ان يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف فلا يقول قائل قد
فرض الله عليك الصلوات الخمس والصلوة المكتوبة وهذا هو هذا والعطف بالصفات
يكون اذا قصد بيان الصفات لما فيها من المدح والذم كقوله سبح اسم ربك الاعلى الذي
خلق فسوى والذي قدر فهدى لا يقال صل لربك الاعلى ولربك الذي خلق فسوى قال
محمد بن نصر المروزي رحمه الله فقد بين الله في كتابه وسنة رسوله ان الاسلام والايمان
لا يفترقان فمن صدق بالله فقد امن بالله ومن امن بالله فقد خضع له وقد اسلم له ومن
ت اسلم له ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الايمان
والاسلام المفترض عليه ومن ترك من ذلك شيئا فلن يزول عنه اسم الايمان ولا الاسلام
الا انه انقص من غيره في الاسلام والايمان من غير نقصان من الاقرار بان الله وما قال
حق لا باطل وصدق لا كذب ولكن ينقص من الايمان الذي هو تعظيم لله وخضوع للهيبة
والجلال والطاعة للمصدق به وهو الله فمن ذلك يكون النقصان لا من اقرارهم بان الله
حق وما قاله صدق فيقال ما ذكره يدل على ان من اتى بالايمان الواجب فقد اتى
بالاسلام وهذا حق لكن ليس فيه ما يدل على ان من اتى بالاسلام الواجب فقد اتى بالايمان
فقوله من امن بالله فقد خضع له وقد استسلم له حق لكن اي شيء في هذا يدل على ان من
اسلم لله وخضع له فقد امن به وبملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وقوله ان الله
ورسوله قد بين ان الاسلام والايمان لا يفترقان ان اراد ان الله اوجبهما جميعا ونهى
عن التفريق بينهما فهذا حق وان اراد ان الله جعل مسمى هذا مسمى هذا فنصوص الكتاب
والسنة تخالف ذلك وما ذكره لم يحتج له قط نصا واحدا يدل على اتفاق المسميين ولكن
قوله من فعل ما امر به وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الايمان والاسلام فهذا صحيح اذا
فعل ما امر به باطنا وظاهرا ويكون قد استكمل الايمان والاسلام الواجب عليه
ولا يلزم ان يكون ايمانه واسلامه مساويا للايمان والاسلام الذي فعله اولو العزم من
الرسل كالخليل ابرهيم ومحمد خاتم الانبياء عليهما الصلاة والسلام بل كان معه من الايمان
والاسلام ما لا يقدر عليه ولم يؤمر به وقوله من ترك من ذلك شيئا فلن يزول عنه
اسم الاسلام والايمان الا انه انقص من غيره في ذلك فيقال ان اريد بذلك
انه بقي معه شيء من الاسلام والايمان فهذا حق كما دلت عليه النصوص خلافا للخوارج

والمعتزلة وان اراد انه يطلق عليه بلا تقييد مومن ومسلم في سياق الثناء والوعد بالجنة
فهذا خلاف الكتاب والسنة ولو كان كذلك لدخلوا في قوله وعد الله المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار وامثال ذلك مما وعد واتيه بالجنة بلا عذاب وايضا فصاحب
الشرع قد نفى عنهم الاسم في غير موضع بل قال فقال المومن كفر وقال لا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض واذا احتج بقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا
ونحو ذلك قيل هولاء انما سموا به مع التقييد بانهم فعلوا هذه الامور ليذكر الرجل
ما هو ممدوح به وما هو مذموم به غيرهم ولذلك قوله لا يكون النقصان من اقرارهم
بان الله حق وما قاله صدق فيما [illegible] بل النقصان يكون في الايمان
الذي في القلوب من معرفتهم ومن علمهم فلا يكون معرفتهم وتصديقهم بالله واسمائه وصفاته
وما قاله من امر ونهي ووعد ووعيد كمعرفة غيرهم وتصديقه لا من جهة الاجمال والتفصيل
ولا من جهة القوة والضعف ولا من جهة الذكر والغفلة وهذه الامور كلها داخلة في
الايمان بالله وبما ارسل به رسوله وكيف يكون الايمان بالله واسمائه وصفاته متماثلا في
القلوب ام كيف يكون الايمان بانه بكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وانه غفور رحيم
عزيز حكيم شديد العقاب ليس هو من الايمان به ولا ان يدعي تماثل الناس فيه واما ما
ذكره من ان الاسلام ينقص كما ينقص الايمان فهذا ايضا حق كما دلت عليه الاحاديث
الصحيحة فان من نقص من الصلاة والزكاة والصيام والحج شيئا فقد نقص من اسلامه بحسب
ذلك ومن قال ان الاسلام هو الكلمة فقط ولكن اراد بذلك انه لا يزيد ولا ينقص فقوله
خطا ورد الذين جعلوا الاسلام والايمان سوا انما يتوجه على هولاء فان قولهم في الاسلام
يشبه قول المرجئة في الايمان ولهذا صار الناس في الاسلام والايمان على ثلثة اقوال
فالمرجئة يقولون الاسلام افضل فانه يدخل فيه الايمان واخرون يقولون الايمان والاسلام
سوا وهم المعتزلة والخوارج وطائفة من اهل الحديث والسنة وحكاه محمد بن نصر عن
جمهورهم وليس كذلك والقول الثالث ان الايمان اكمل وافضل وهذا هو الذي
دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع وهو الماثور عن الصحابة والتابعين لهم باحسان
ثم هولاء منهم من يقول الاسلام مجرد القول والاعمال ليست من الاسلام والصحيح ان
الاسلام هو الاعمال الظاهرة كلها واحمد انما منع الاستثناء فيه على قول الزهري هو

الكلمة



كتاب [illegible] الايمان

الكلمة هكذا نقل الاثرم والمروذي وغيرهما عنه واما على جوابه الاخر الذي لم يختر فيه
قول من قال الاسلام الكلمة فيستثني في الاسلام فان الانسان لا يجزم بانه قد فعل كل ما
امر به من الاسلام واذا قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
وبني الاسلام على خمس يجزم بانه فعل الخمس بلا نقص كما امر يجزم بايمانه فقد قال
تعالى ادخلوا في السلم كافة اي في الاسلام كافة اي في جميع شرائع الاسلام وتاويل احمد وغيره
من السلف ما ذكروه في اسم الايمان يجيء في اسم الاسلام فاذا اريد بالاسلام الكلمة فلا
استثناء فيه كما نص عليه احمد وغيره واذا اريد به فعل الواجبات الظاهرة كلها فالاستثناء
فيه كالاستثناء في الايمان ولما كان كل من اتى بالشهادتين صار مسلما متميزا عن اليهود
والنصارى تجري عليه احكام الاسلام التي تجري على المسلمين كان هذا مما يجزم به
بلا استثناء فيه فلهذا قال الزهري الاسلام الكلمة وعلى ذلك وافقه احمد وغيره وحين
وافقه لم يرد ان الاسلام الواجب هو الكلمة وحدها فان الزهري اجل من ان يخفى عليه
ذلك ولهذا احمد لم يجب بهذا في جوابه الثاني خوفا من ان يظن ان الاسلام ليس هو
الا الكلمة ولهذا لما قال الاثرم لاحمد فاذا قال انا مسلم فلا يستثني قال نعم لا يستثني اذا
قال انا مسلم قال فقلت له اقول هذا مسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده وانا اعلم انه لا يسلم الناس منه فذكر حديث معمر عن الزهري قال فنرى
ان الاسلام الكلمة والايمان العمل فقد اخبر ان الاسلام اذا كان هو الكلمة فلا استثناء
فيها فحيث كان هو المفهوم من لفظ الاسلام فلا استثناء فيه ولو اريد بالايمان هذا كما
يراد ذلك في مثل قوله فتحرير رقبة مومنة فانما اريد من اظهر الاسلام فان الايمان الذي
علقت به احكام الدنيا هو الايمان الظاهر وهو الاسلام فالمسمى واحد في الاحكام
الظاهرة ولهذا لما ذكر الاثرم لاحمد احتجاج المرجئة بقول النبي صلى الله عليه وسلم اعتقها
فانها مومنة اجابه بان المراد حكمها في الدنيا حكم المومنة لم يرد انها مومنة عند الله تستحق
دخول الجنة بلا نار اذا لقيته بمجرد هذا الاقرار وهذا هو المومن المطلق في كتاب الله
وهو الموعود بالجنة بلا نار اذا مات على ايمانه ولهذا كان ابن مسعود وغيره من السلف يلزمون
من شهد لنفسه بالايمان ان يشهد لها بالجنة يعنون اذا مات على ذلك فانه قد عرف
ان الجنة لا يدخلها الا من مات مومنا فاذا قال الانسان انا مومن قطعا وانا مومن عند الله

قيل له فاقطع بانك تدخل الجنة بلا عذاب اذا مت على هذه الحال فان الله اخبر ان المتقين في
الجنة واتبع احمد حديث ابن عيينه ان عبد الله رجع عن الاستثنا فان ابن مسعود لما قيل له
ان قوما يقولون انا مومنون فقال افلا سالتموهم افي الجنة هم وفي رواية افلا قالوا نحن
اهل الجنة وفي رواية قيل له ان هذا يزعم انه مومن قال فسلوه افي الجنة هو او في النار فسالوه
فقال الله اعلم فقال له عبد الله فلا وكلت الاولى كما وكلت الثانية من قال انا مومن فهو كافر
ومن قال هو عالم فهو جاهل ومن قال هو في الجنة فهو في النار يروى عن عمر ابن الخطاب من
وجوه مرسلا من حديث قتاده ونعيم ابن ابي هند وغيرهما والسوال الذي يورده المرجيه
على ابن مسعود ويقولون ان يزيد بن عميره اورده حتى جعل هذا ان الانسان يعلم حاله الان
ولا يدري ماذا يموت عليه ولهذا السوال صار طايفه كثير يقولون المومن من سبق
في علم الله ان يختم له بالايمان والكافر من سبق في علم الله انه كافر وانه لا اعتبار بما كان
قبل ذلك وعلى هذا يجعلون الاستثنا وهذا احد قولي الناس من اصحاب احمد وغيرهم
وهو قول ابي الحسن واصحابه لكن احمد وغيره من السلف لم يكن مقصودهم هذا وانما مقصودهم
ان الايمان المطلق يتضمن فعل المامورات فقوله انا مومن كقوله انا ولي الله وانا مومن تقي
وانا من الابرار ونحو ذلك وابن مسعود رضي الله عنه لم يكن يخفى عليه ان الجنة لا يدخلها
الا من مات مومنا وان الانسان لا يعلم على ماذا يموت فان ابن مسعود اجل قدرا من هذا
وانما اراد سلوه هو في الجنة ان مات على هذه الحال كانه قال سلوه اكون من اهل الجنة
على هذه الحال فلما قال الله ورسوله اعلم قال فلا وكلت الاولى كما وكلت الثانية يقول
هذا التوقف يدل على انك لا تشهد لنفسك بفعل الواجبات وترك المحرمات فانه من شهد
لنفسه بذلك شهد لنفسه انه من اهل الجنة ان مات على ذلك ولهذا صار الذين يرون
الاستثنا لاجل الحال الحاضر لا للموافاة لا يقطعون بان الله يقبل توبة تايب كما لا يقطعون
بان الله يعاقب مذنبا فانهم لو قطعوا بقبول توبته لزمهم ان يقطعوا له بالجنة وهم لا يقطعون
لاحد من اهل القبله لا بجنة ولا نار الا من قطع له النص واذا قيل الجنة هي لمن اتى بالتوبة
النصوح من جميع السيئات قالوا ولو مات على هذه التوبة لم يقطع له بالجنة وهم لا يستثنون
في الاحوال بل يجزمون بان المومن الان مومن تام الايمان ولكن عندهم الايمان عند الله
هو ما يوافي به فمن قطعوا له بانه مات مومنا لا ذنب له قطعوا له بالجنة فلهذا لا يقطعون
بقبول



بقبول التوبة بلا ملزمهم ان يقطعوا له بالجنة واما ائمة السلف فانما لم يقطعوا بالجنة لانهم
لا يقطعون بانه فعل المامور وترك المحظور ولا انه اتى بالتوبة النصوح والا فهم يقطعون ف
بان من تاب توبة نصوحا قبل الله توبته وجماع الامر ان الاسم الواحد ينفى ويثبت بحسب
الاحكام المتعلقة به فلا يجب اذا اثبت او نفي في حكم ان يكون كذلك في ساير الاحكام
وهذا في كلام العرب وساير الامم لان المعنى مفهوم مثال ذلك المنافقون قد يجعلون
من المومنين في موضع وفي موضع اخر يقال ما هم منهم قال الله تعالى قد يعلم الله المعوقين
منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا اشحة عليكم فاذا جا الخوف رايتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد اشحة على الخير اوليك لم يومنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك
على الله يسيرا فهاهنا جعل هولا المنافقين الخايفين من العذاب والناكلين عن الجهاد
الناهين لغيرهم الذامين للمومنين منهم وقال في الاية الاخرى ويحلفون بالله انهم
لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجا او مغارات او مدخلا لولوا اليه
وهم يجمحون وهولا ذنبهم اخف فانهم لم يوذوا المومنين لا بنهي ولا سلق بالسنة حداد
ولكن حلفوا بالله انهم من المومنين في الباطن بقلوبهم والا فقد علم المومنون انهم منهم
في الظاهر فكذبهم الله وقال وما هم منكم وهناك قال قد يعلم الله المعوقين منكم فالخطاب
لمن كان في الظاهر مسلما مومنا ان منكم من هو بهذه الصفة وليس مومنا بل احبط الله
عمله فهو منكم في الظاهر لا الباطن ولهذا لما استوذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل
بعض المنافقين قال لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فانهم من اصحابه في الظاهر
عند من لا يعرف حقايق الامور واصحابه الذين هم اصحابه ليس فيهم منافق كالذين علموا
سنته الناس وبلغوها اليهم وقاتلوا المرتدين بعد موته والذين بايعوه تحت الشجرة واهل
بدر وغيرهم بل الذين كانوا منافقين غيرهم الناس وكذلك الانساب مثل كون الانسان
ابا لاخر او اخاه يثبت في بعض الاحكام دون بعض فانه قد ثبت في الصحيحين انه لما
اختصم الى النبي صلى الله عليه وسلم سعد ابن ابي وقاص وعبد ابن زمعه ابن الاسود في ابن
وليدة زمعه وكان عتبه ابن ابي وقاص قد فجر بها في الجاهليه وولدت منه ولدا فقال
عتبه لاخيه سعد اذا قدمت مكه فانظر ابن وليدة زمعه فانه ابني فاختصم فيه هو

وعبد ابن زمعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ابن اخي عتبه عهد
الي اخي عتبه فيه اذا قدمت مكه انظر ابن وليده زمعه فانه ابني لا ترى يا رسول الله
شبهه بعتبه فقال عبد عبد رسول الله اخي وابن وليده اي ولد على فراش ابي فراى
النبي صلى الله عليه وسلم شبها بينا بعتبه فقال هو لك يا عبد ابن زمعه الولد للفراش
وللعاهر الحجر واحتجبي منه يا سوده لما راى من شبهه البين بعتبه فقد جعله النبي صلى
الله عليه وسلم ابن زمعه لانه ولد على فراشه وجعله اخا الولد بقوله فهو لك يا عبد ابن
زمعه وقد صارت سوده اخته يرثها وترثه لانه ابن ابيها زمعه ولد على فراشه ومع هذا
فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان تحتجب منه لما راى من شبهه البين بعتبه فانه قام
فيه دليلان متعارضان الفراش والشبه والنسب في الظاهر لصاحب الفراش لان
الفراش قوي ولانه امر ظاهر مباح والفجور امر باطن لا يعلم وتجب ستره لا اظهاره
كما قال للعاهر الحجر كما يقال بفيك الكثكث صح ويقال الاثلب اي عليك ان تسكت
عن العهار والفجور فان الله يبغض ذلك ولما كان احتجابها منه ممكنا من غير ضرر امرها
بالاحتجاب لما ظهر من الدلالة على انه ليس اخاها في الباطن فتبين ان الاسم الواحد
ينفى في حكم ويثبت في حكم فهو اخ في الميراث وليس باخ في المحرمية ولذلك ولد الزنا
عند بعض العلماء وابن الملاعنة عند الجميع الا من شذ ليس بولد في الميراث وفي المحرمية
ونحو وهو ولد في تحريم النكاح والمحرمية ولفظ النكاح وغيره في الامر يتناول
الكامل وهو العقد والوطء كما في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله حتى
تنكح زوجا غيره وفي النهي يعم الناقص والكامل فينهى عن العقد مفردا وان لم يكن
وطء لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وهذا لان الامر مقصوده تحصيل المصلحة وتحصيل
المصلحة انما يكون بالدخول كما لو قال اشتر لي طعاما فالمقصود ما يحصل به الا بالشراء
والقبض والنهي مقصوده دفع المفسدة فيمنع كل جزء منه لان وجوده مفسدة وكذلك
النسب والميراث معلق بالكامل منه والتحريم معلق بادنى سبب حتى الرضاع
ولذلك كل ما يكون له مبتدا وكمال ينفى تارة باعتبار انتفاء كماله ويثبت تارة باعتبار
ثبوت مبداه فلفظ الرجال يعم الذكور وان كانوا صغارا في مثل قوله وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين ولا يعم الصغار في مثل قوله الا المستضعفين بلغ
من



من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها
فان باب الهجرة والجهاد عمل يعمله القادر دون غيره فلو اقتصر على ذكر المستضعفين من
ص الرجال لظن ان الولدان غير داخلين لانهم ليسوا من اهله وهم ضعفاء لكن هم بالاسم الخا
ليبين عذرهم في ترك الهجرة ووجوب الجهاد ولذلك الايمان له مبدا وكمال وظاهر
وباطن فاذا علقت به الاحكام الدنيوية من الحقوق والحدود كحقن الدماء والمال
ظن والمواريث والعقوبات الدنيوية علقت بظاهره لا يمكن غير ذلك اذ تعلق ذلك بالبا
متعذر وان قدر احيانا فهو متعسر علما وقدرة فلا يعلم ذلك علما يثبت به في الظاهر
ولا يمكن عقوبة من يعلم ذلك منه في الباطن وبهذا يتبين كان النبي صلى الله عليه وسلم
يمتنع من عقوبة المنافقين فان فيهم من لم يكن يعرفهم كما اخبر الله بذلك والذين كان يعرفهم
لو عاقب بعضهم لغضب له قومه ولقال الناس ان محمدا يقتل اصحابه فكان يحصل نفور
عن الاسلام اذ لم يكن الذنب ظاهرا يشترك الناس في معرفته وما هم بعقوبة من تخلف
عن الصلاة معه من في البيوت من النساء والذرية واما مبداه فتعلق به خطاب الامر والنهي
فاذا قال الله يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اذا نودي للصلوة ونحو ذلك فهو
امر في الظاهر لكل من اظهره وهو خطاب في الباطن لكل من عرف من نفسه انه مصدق
للرسول وان كان عاصيا وان كان لم يقر بالواجبات الباطنة والظاهرة وذلك انه ان
كان لفظ الذين امنوا يتناولهم فلا كلام وان كان لم يتناولهم فذلك لذنوبهم فلا يكون
ذنوبهم مانعة من امرهم بالحسنات التي ان فعلوها كانت سبب رحمتهم وان تركوها
كان امرهم بها وعقوبتهم عليها عقوبة على ترك الايمان والكافر يجب عليه ايضا لكن لا
يصح منه حتى يؤمن ولذلك المنافق المحض لا يصح منه في الباطن حتى يؤمن واما من كان
ما الحمه صح معه اول الايمان فهذا يصح منه لان معه اقراره في الباطن بوجوب ما اوجبه الرسول
وتحريم ما حرمه وهذا سبب الصحة واما كماله فيتعلق بخطاب الوعد والنصر
والسلامة من النار فان هذا الوعد انما هو لمن فعل المامور وترك المحظور ومن فعل بعضا
وترك بعضا فيثاب على ما فعله ويعاقب على ما تركه فلا يدخل هذا في اسم المؤمن المستحق
للحمد والثناء دون الذم والعقاب ومن نفى عنه الرسول الايمان فنفى الايمان في هذا الحكم
لانه ذكر ذلك على سبيل الوعيد والوعيد انما يكون بنفي ما يقتضي الثواب ويدفع العقاب

اجزاه فلم يجعلوا معهم شيا من الايمان والاسلام صح

ولهذا ما في الكتاب والسنة من نفي الايمان عن اصحاب الذنوب فانما هو في خطاب الوعيد
والذم لا في خطاب الامر والنهي ولا احكام الدنيا واسم الاسلام والايمان والاحسان
هي اسما مدح مرغوب فيها الحسنى العاقبة لاهلها فنفى النبي صلى الله عليه وسلم ان
العاقبة الحسنة لمن يتصف بها على الوجه الذي سنه ولهذا كان من نفى عنهم الايمان هي صح
او الايمان والاسلام جميعا ولم يجعلهم كفارا انما نفى ذلك في احكام الاخرة وهو الثواب
لم ينفه في احكام الدنيا لكن المعتزلة جعلوهم مخلدين في الاخرة وهذا خلاف الكتاب
والسنة واجماع السلف ولو لم يكن معهم شي من الايمان والاسلام لم يثبت في حقهم
شي من احكام المومنين والمسلمين لكن كانوا كالمنافقين وقد ثبت بالكتاب والسنة
والاجماع التفريق بين المنافق الذي يكذب الرسول في الباطن وبين المومن المذنب فالمعتزلة
سووا المنافقين في احكام الدنيا والاخرة في نفي الاسلام والايمان عنهم لكن قد يثبتونه اهل الذنوب ويرى صح
للمنافق ظاهرا ويسمونه عن المذنب باطنا وظاهرا وهذا خطا فان قيل فاذا كان كل مومن
مسلم وليس كل مسلم مومنا الايمان الكامل كما دل عليه حديث جبريل وغيره من الاحاديث
مع القران وكما ذكر ذلك غير واحد من السلف كان الاسلام الطاعات الظاهرة وهو
وهو الاستسلام والانقياد لان الاسلام في الاصل هو الاستسلام والانقياد وهذا
هو الانقياد والطاعة والايمان فيه معنى التصديق والطمانينة وهذا قدر زايد فما تقولون
فيمن فعل ما امر الله وترك ما نهى الله عنه مخلصا لله تعالى باطنا وظاهرا السرهد امثله
باطنا وظاهرا وهو من اهل الجنة فاذا كان كذلك فالجنة لا يدخلها الا نفس مومنة فهذا
يجب ان يكون مومنا قلنا قد ذكرنا غير مرة انه لا بد ان يكون معه الايمان الذي وجب عليه
اذ لو لم يودي الواجبات لكان معرضا للوعيد لكن قد يكون من الايمان ما لا
يجب عليه اما لكونه لم يخاطب به او لكونه كان عاجزا عنه وهذا اولى لان الايمان الموصوف
في حديث جبريل والاسلام ايضا لم يكونا واجبين في اول الاسلام بل ولا واجبا على من تقدم
قبلنا من الامم اتباع الانبيا اهل الجنة مع انهم مومنون مسلمون ومع ان الاسلام دين الله
الذي لا يقبل دينا غيره وهو دين الله في الاولين والاخرين لان الاسلام عبادة الله وحده
لا شريك له بما امر فقد تتنوع اوامره في الشريعة الواحدة فضلا عن الشرائع فيصير في الاسلام
بعض الايمان ما لم يخرج عنه في وقت اخر كالصلاة الى الصخرة كان من الاسلام حين كان الله امر
ثم ذا



ثم خرج من الاسلام لما نهى الله عنه ومعلوم ان الخمس المذكورة في حديث جبريل لم تجب
في اول الاسلام بل الصيام والحج وفرائض الزكاة انما وجبت بالمدينة والصلوات الخمس انما
وجبت ليلة المعراج ولهذا من الاحاديث ليس فيها ذكر الحج لتاخر وجوبه الى سنة تسع او
عشر على اصح القولين ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كان من اتبعه وامن بما جاء به
مومنا مسلما واذا مات كان من اهل الجنة ثم انه بعد هذا زاد الايمان والاسلام حتى قال
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وكذلك الايمان فان هذا الايمان المفصل الذي ذكره في حديث
جبريل لم يكن مامورا به في اول الامر لما انزل الله سورة العلق والمدثر بل انما جاء هذا في السور
المدنية كالبقرة والنساء واذا كان كذلك لم يلزم ان يكون هذا الايمان المفصل واجبا
على من تقدم قلنا فاذا كان كذلك فقد يكون الرجل مسلما يعبد الله وحده لا يشرك به هذا م
شيا ومعه الايمان الذي فرض عليه وهو من اهل الجنة وليس معه الايمان المذكور في حديث
جبريل لكن تكمل معه ما امر به من الايمان والاسلام وقد يكون مسلما يعبد الله كما امر هذا
ولا يعبد غيره ويخافه ويرجوه ولكن لم يخلص الى قلبه ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما ولا ان يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله احب اليه من جميع اهله وماله وان
يحب لاخيه ما يحب لنفسه وان يخاف الله لا يخاف غيره وان لا يتوكل الا على الله وهذه
كلها من الايمان الواجب فليست من لوازم الاسلام فان الاسلام هو الاستسلام وهو
يتضمن الخضوع لله وحده والانقياد له والعبودية لله وحده وهذا قد يتضمن خوفه ورجاه
واما طمانينة القلب بمحبته وحده وان يكون احب اليه مما سواهما وبالتوكل عليه وحده وان
يحب لاخيه المومن ما يحب لنفسه فهذه من حقائق الايمان التي يختص بها من لم يتصف بها لم
يكن من المومنين حقا وان كان مسلما والذي وجل قلبه اذا ذكر الله وكذلك زيادة الايمان
اذا تليت عليه اياته فان قيل فهوات هذا الايمان من الذنوب ام لا قيل اذا لم يبلغ الانسان ن
الخطاب الموجب لذلك لم يكن تركه من الذنوب واما ان بلغه الخطاب الموجب صح
لذلك فلم يعمل به كان تركه من الذنوب اذا كان قادرا على ذلك وكثير من الناس
او اكثرهم ليس عندهم هذه التفاصيل التي تدخل في الايمان مع انهم قائمون بالطاعة الوا جبة
في الاسلام واذا وقعت منهم ذنوب تابوا واستغفروا منها وحقائق الايمان التي في
القلوب لا يعرفون وجوبها بل ولا انها من الايمان بل كثير ممن يعرفها منهم يظن انها

من النوافل المستحبة ان صدق بوجوبها فالاسلام يتناول من اظهر الاسلام وليس
معه شي من الايمان وهو المنافق المحض ويتناول من اظهر الاسلام وليس معه التصديق
المجمل في الباطن ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا هذا وهم الفساق يكون
في احدهم شعبة نفاق ويتناول من اتى بالاسلام الواجب وما يلزمه من الايمان ولم من صح
يات بتمام الايمان الواجب وهولا ليسوا فساقا تاركين فريضة ظاهرة ولا مرتكبين
محرما ظاهرا لكن تركوا من حقائق الايمان الواجبة علما وعملا بالقلب يتبعه بعض الجوارح
ما كانوا به مومنين وهذا هو النفاق الذي كان يخافه السلف على نفوسهم فان صاحبه
قد يكون فيه شعبة نفاق وبعد هذا ما ميز الله به المقربين على الابرار اصحاب اليمين
من ايمان وتوابعه وذلك قد يكون من باب المستحبات وقد يكون ايضا افضل به المومن
ايمان واسلام ما وجب عليه ولم يجب على غيره ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى
منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان وفي الحديث الاخر ليس وراء ذلك من الايمان مثقال حبة خردل فان مراده
انه لم يبق بعد هذا الانكار ما يدخل في الايمان حتى يفعله المومن بل الانكار
بالقلب اخر حدود الايمان ليس مراده ان من لم ينكر لم يكن معه من الايمان حبة خردل
ولهذا قال ليس وراء ذلك من الايمان مثقال حبة خردل فجعل المومنين ثلث طبقات
وكل منهم فعل الايمان الذي يجب عليه لكن الاول لما كان اقدرهم كان الذي يجب
عليه اكمل مما يجب على الثاني وكان ما يجب على الثاني اكمل مما يجب على الاخر
وعلم بذلك ان الناس يتفاضلون في الايمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع
بلوغ الخطاب اليهم كلهم

فصل

واما الاستثنا في الايمان بقول الرجل
انا مومن ان شا الله فالناس فيه على ثلثة اقوال منهم من يوجبه ومنهم من يحرمه ومنهم من ٢
من يجوز الامرين باعتبارين وهذا اصح الاقوال فالذين يحرمونه هم المرجية والجهمية
ونحوهم ممن يجعل الايمان شيا واحدا يعلمه الانسان من نفسه كالتصديق بالرب ونحو
ذلك مما في قلبه فيقول احدهم انا اعلم اني مومن كما اعلم اني تكلمت بالشهادتين
وكما اعلم اني قرات الفاتحة وكما اعلم اني احب رسول الله واني ابغض اليهود والنصارى
فقولي انا مومن كقولي انا مسلم وكقولي تكلمت بالشهادتين وقرات الفاتحة وكقولي اني
ابغض



ابغض اليهود والنصارى ونحو ذلك من الامور الحاضرة التي انا اعلمها واقطع بها
وكما انه لا يجوز ان يقال انا قرات الفاتحة ان شا الله كذلك لا يقول انا مومن ان شا الله
لكن اذا كان يشك في ذلك فيقول فعلته ان شا الله قالوا فمن استثنى في ايمانه فهو
شاك فيه وسموهم الشكاكة والذين اوجبوا الاستثنا لهم ماخذان احدهما ان
الايمان هو ما مات عليه الانسان والانسان انما يكون عند الله مومنا وكافرا باعتبار
الموافاة وما سبق في علم الله انه يكون عليه وما قبل ذلك لا عبرة به قالوا والايمان الذي
يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافرا ليس بايمان كالصلوة التي يفسدها صاحبها قبل
الكمال وكالصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب وصاحب هذا هو عند الله كا فر صح
لعلمه بما يموت عليه ولذلك قالوا في الكفر وهذا الماخذ ماخذ كثير من المتاخرين من
الكلابية وغيرهم ممن يريد ان ينصر ما اشتهر عن اهل السنة والحديث من قولهم
انا مومن ان شا الله ويريد مع ذلك ان الايمان لا يتفاضل ولا يشك الانسان في
الموجود منه وانما يشك في المستقبل وانضم الى ذلك انهم يقولون محبة الله ورضاه
وسخطه وبغضه قديم ثم هل ذلك هو الارادة ام صفات اخر لهم في ذلك قولان
واكثر قدمايهم يقولون ان الرضا والسخط والغضب ونحو ذلك صفات ليست
هي الارادة كما ان السمع والبصر ليس هو العلم وكذلك الولاية والعداوة هذه كلها صفات
قديمة ازلية عند ابي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ومن اتبعه من المتكلمين ومن
اتباع المذاهب من الحنبلية والشافعية والمالكية وغيرهم قالوا والله يحب في ازله من
كان كافرا اذا علم انه يموت مومنا فالصحابة ما زالوا محبوبين لله وان كانوا محبوبين لله وان
كانوا قد عبدوا الاصنام مدة من الدهر وابليس ما زال الله يبغضه وان كان لم يكفر
بعد وهذا على احد القولين لهم فالرضا والسخط يرجع الى الارادة والارادة تطابق العلم
فالمعنى ما زال الله يريد ان يثيب هولاء بعد ايمانهم ويعاقب ابليس بعد كفره وهذا
معنى صحيح فان الله يريد ان يخلق كلما علم انه سيخلقه وعلى قول من يثبتها صفات اخر يقول
هو ايضا صفة تابع لمن يريد ان يثيبه فكل من اراد اثابته فهو يحبه وكل من اراد عقو بته
فانه يبغضه وهذا تابع للعلم وهولا عندهم لا يرضى عن احد بعد ان كان ساخطا عليه
ولا يفرح بتوبة عبد بعد ان تاب عليه بل ما زال يفرح بتوبته والفرح عندهم اما الارادة

واما الرضا والمحبة فما زال يريد اثابته او يرضى عمن يريد اثابته وكذلك الكره عندهم
لا يبغض يوم القيامة دون ما قبله بل يبغضه قديما اما بمعنى الاراده واما بمعنى
اخر فهولا يقولون اذا علم ان الانسان يموت كافرا لم يزل مريدا لعقوبته
فذاك الايمان الذي كان معه باطل لا فايده فيه بل وجوده كعدمه فليس هذا
بمومن اصلا واذا علم انه يموت مومنا لم يزل مريدا لاثابته وذلك الكفر الذي فعله
وجوده كعدمه فلم يكن هذا كافرا عندهم اصلا فهولا يستثنون في الايمان بنا
على هذا الماخذ وكذلك بعض محققيهم يستثنون في الكفر مثل ابي منصور الماتريدي
فان ما ذكروه مطرد فيهما ولكن جماهير الايمه على انه لا يستثنى في الكفر والاستثنا
فيه بدعه لم يعرف عن احد من السلف ولكن هو لازم لهولا والذين فرقوا من هولا
قالوا يستثنى في الايمان رغبه الى الله في ان يثبتنا عليه الى الموت والكفر لا يرغب فيه
احد لكن يقال اذا كان قولك مومن كقولك في الجنه فانت تقول عن الكافر
هو كافر ولا تقول هو في النار الا معلقا بموته على الكفر فدل على انه كافر في الحال
قطعا وان جاز ان يصير مومنا كذلك المومن وسوا اخبر عن نفسه او عن غيره فلو قيل عن
يهودي او نصراني هذا كافر قال ان شا الله اذا لم يعلم انه يموت كافرا وعند هولا
لا يعلم احد احدا مومنا الا اذا علم انه يموت عليه وهذا القول قاله كثير من اهل
الكلام اصحاب ابن كلاب ووافقهم على ذلك كثير من اتباع الايمه لكن ليس هذا قول
احد من السلف لا الايمه الاربعه ولا غيرهم ولا كان احد من السلف الذين يستثنون
في الايمان يعللون بهذا لا احمد ولا من قبله وماخذ هذا القول طرده طايفه ممن كانوا
في الاصل يستثنون في الايمان اتباعا للسلف وكانوا قد اخذوا الاستثنا عن السلف
وكان اهل الشام شديدين على المرجيه وكان محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري
مرابطا بعسقلان لما كانت معموره وكانت من خيار ثغور المسلمين ولهذا كان
فيها فضايل لفضيله الرباط في سبيل الله وكانوا يستثنون في الايمان اتباعا للسلف
واستثنوا ايضا في الاعمال الصالحه كقول الرجل صليت ان شا الله ونحو ذلك بمعنى
القبول لما في ذلك من الاثار عن السلف ثم صار كثير من هولا باخره يستثنون
في كل شي فيقول هذا ثوبي ان شا الله وهذا حبل ان شا الله فاذا قيل لاحدهم هذا
لا



لا شك فيه قال نعم لا شك فيه لكن اذا شا الله ان يغيره غيره فيريدون بقولهم ان شا الله
جواز تغييره في المستقبل وان كان في الحال لا شك فيه كان الحقيقه عندهم التي لا يستثنى
فيها ما لم يتبدل كما يقولونه في الايمان ان الايمان ما علم الله انه لا يتبدل حتى يموت
صاحبه عليه لكن هذا القول قاله قوم من اهل العلم والدين باجتهاد ونظر وهولا
الذين يستثنون في كل شي تلقوا ذلك عن بعض اتباع شيخهم شيخهم الذي
ينتسبون اليه يقال له ابو عمرو عثمان بن مرزوق لم يكن ممن يرى هذا الاستثنا بل
كان في الاستثنا على طريقة من قبله ولكن احدث ذلك بعض اصحابه بعده وكان شيخهم
منتسبا الى الامام احمد وهو من اتباع عبد الوهاب ابن الشيخ ابي الفرج المقدسي وابو الفرج
من تلامذه القاضي ابي يعلى وهولا كلهم وان كانوا منتسبين الى الامام احمد فهم
موافقون ابن كلاب على اصله الذي كان احمد ينكره على الكلابيه وامر بهجر الحارث المحاسبي
من اجله كما وافقه على اصله طايفه من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفه كابي المعالي
الجويني وابي الوليد الباجي وابي منصور الماتريدي وغيرهم وقول هولا في مسايل
متعدده من مسايل الصفات وما يتعلق بها كمسله القران هل هو سبحانه يتكلم بمشيته
وقدرته ام القران لازم لذاته وقولهم في الاستثنا مبني على ذلك الاصل وكذلك
بناه الاشعري واتباعه عليه لان هولا كلهم عندهم ان الله لم يتكلم بمشيته
وقدرته ولا يرضى ويغضب على احد بعد ايمانه وكفره ولا يفرح بتوبه التايب بعد توبته
ولهذا اتفق السلف على ان القران كلام الله غير مخلوق ثم قالوا انه قديم لم يتكلم
به بمشيته وقدرته ثم اختلفوا بعد هذا اهو القديم معنى واحد ام حروف قديمه
مع تعاقبها كما قد بسطت الفاظهم واقوال غيرهم في موضع اخر وهذه الطايفه المتاخره
تنكر ان يقال قطعا في شي من الاشيا مع غلوهم في الاستثنا حتى صار هذا اللفظ منكرا
عندهم وان قطعوا بالمعنى يجزمون بان محمدا رسول الله وان الله ربهم ولا يقولون
قطعا وقد احتج طايفه منهم لما انكر عليهم ذلك وامتنعت من فعل مطلوبهم حتى
يقولوا قطعا واحضروا الى ثنايه احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقول
الرجل قطعا وهي احاديث موضوعه مختلقه قد افتراها بعض المتاخرين والمقصود
هنا ان الاستثنا في الايمان لما علل بمثل تلك العله طرد اقوام تلك العله في الاشيا

الاشيا التي لا يجوز الاستثنا فيها باجماع المسلمين بنا على ان الاستثنا شا الموجود
الان اذا كانت في علم الله تتبدل احوالها فيستثنى في صفاتها الموجوده في الحال ويقول هذا
صغير ان شا الله لان الله قد يجعله كبيرا ويقول هذا مجنون ان شا الله لان الله قد يجعله
عاقلا ويقول للمرتد هذا كافر ان شا الله لامكان ان يتوب وهولا الذين يستثنوا
في الايمان بنا على هذا الماخذ ظنوا هذا قول السلف وهولاء وامثالهم من اهل الكلام
ينصرون ما ظهر من دين الاسلام كما ينصر ذلك المعتزله والجهميه وغيرهم من
المتكلمين فينصرون اثبات الصانع والنبوه والمعاد ونحو ذلك وينصرون مع ذلك
ما ظهر من مذاهب اهل السنه والجماعه كما ينصر ذلك الكلابيه والكراميه والاشعريه
ونحوهم ينصرون ان القران كلام الله غير مخلوق وان الله يرى في الاخره وان اهل القبله
لا يكفرون بالذنب ولا يخلدون في النار وان النبي صلى الله عليه وسلم له شفاعه في
اهل الكبائر وان فتنة القبر حق وعذاب القبر حق وحوض نبينا صلى الله عليه وسلم
في الاخره حق وامثال ذلك من الاقوال التي شاع انها من اصول اهل السنه والجماعه
كما ينصرون خلافة الخلفا الاربعه وفضيله ابي بكر وعمر ونحو ذلك وكثير من اهل الكلام
في كثير مما ينصره لا يكون عارفا بحقيقة دين الاسلام في ذلك ولا بما جاءت به السنه
وكان عليه السلف فينصر ما ظهر من قولهم بغير الماخذ التي كانت ماخذهم في الحقيقه
بل بماخذ اخر قد تلقاها عن غيرهم من اهل البدع فيقع في كلام هولاء من التناقض
والاضطراب والخطا ما ذم به السلف مثل هذا الكلام واهله فان كلامهم في ذم
مثل هذا الكلام لبدعه والكلام المذموم هو المخالف للكتاب والسنه وكلما خالف
الكتاب والسنه فهو باطل وكذب فهو مخالف للشرع وللعقل وتمت كلمات ربك صدقا
وعدلا لا مبدل لكلماته فهولاء لما اشتهر عندهم عن اهل السنه انهم يستثنون
في الايمان وراوا ان هذا لا يمكن الا اذا جعل الايمان هو ما يموت العبد عليه وهو ما يوافي ادام
به العبد ربه ظنوا ان الايمان عند السلف هو هذا فصاروا يحكون هذا عن السلف
وهذا القول لم يقل به احد من السلف ولكن هولاء يحكون عنهم بحسب ظنهم لما راوا
ان قولهم لا يتوجه الا على هذا الاصل وهم يدعون ان ما نصروه من اصل جهم في الايمان
هو قول المحققين والنظار من اصحاب الحديث ومثل هذا يوجد كثيرا في مذاهب السلف
التي



التي خالفها بعض النظار واظهر حجته في ذلك ولم يعرف حقيقة قول السلف
فيقول من عرف حجه هولاء دون السلف او من يعظمهم لما يراه من تميزهم عليه
هذا قول المحققين وقال المحققون ويكون ذلك من الاقوال الباطله المخالفه
للعقل مع الشرع وهذا اكثر ما يوجد في كلام بعض المتبدعين وبعض المحدثين ومن
اتاه الله علما وايمانا علم انه لا يكون عند المتاخرين من التحقيق الا ما هو دون تحقيق
السلف لا في العلم ولا في العمل ومن كان له خبره بالنظريات والعقليات وبالعمليات
علم ان مذهب الصحابه دائما ارجح من قول من بعدهم وانه لا يبتدع احد قولا في الاسلام
الا كان خطا وكان الصواب قد سبق اليه من قبله قال ابو القاسم الانصاري
فيما حكاه عن ابي اسحق الاسفرايني لما ذكر قول ابي الحسن واصحابه في الايمان وصحح انه
تصديق القلب قال ومن اصحابنا من قال بالموافاه وشرط في الايمان الحقيقي ان يوافي
ربه به ويختم عليه ومنهم من لم يجعل ذلك شرطا فيه في الحال قال الانصاري لما
ذكر ان معظم ائمه السلف كانوا يقولون الايمان معرفه بالقلب واقرار باللسان وعمل
بالجوارح قال الاكثرون من هولاء على القول بالموافاه ومن قال بالموافاه فانما يقوله فيمن
لم يرد الخبر بانه من اهل الجنه واما من ورد الخبر بانه من اهل الجنه فانه يقطع على ايمانه
كالعشره من الصحابه ثم قال والذي يقتضي اختيار المحققين ان الايمان هو التصديق
وقد ذكرنا اختلاف اقوالهم في الموافاه وان ذلك هل هو شرط في صحه الايمان وحقيقته
في الحال او في كونه معتدا عند الله به وفي حكمه فمن قال ان ذلك شرط فيه يستثنون في
الاطلاق في الحال لا انهم يشكون في حقيقه التوحيد والمعرفه لكنهم يقولون
الفرح لا ندري اي الايمان نحن موصوفون به في الحال هل هو معتد به عند الله على معنى
بهم انا ننتفع به في العاقبه ونجتني من ثماره فاذا قيل لهم امومنون انتم حقا او يقولون ان
شا الله او يقولون نرجوا فيقولون نحن مومنون ان شا الله يعنون بهذا الاستثنا
تفويض الامر في العاقبه الى الله سبحانه وتعالى وانما يكون الايمان ايمانا معتدا به
في حكم الله اذا كان ذلك علم الفوز وايه النجاه فاذا كان صاحبه والعياذ بالله في حكم
في صح الله من الاشقياء يكون ايمانه الذي يحل به الحال عاريه قال ولا فرق عند الصائرين
الى هذا المذهب بين ان يقول انا من اهل الجنه قطعا وبين ان يقول انا مومن حقا

قلت هذا انما يجي على قول من جعل الايمان متناولا لادا الواجبات
وترك المحرمات فمن مات على هذا كان من اهل الجنة واما على قول الجهمية والمرجئة
وهو القول الذي نصره هولاء الذين نصروا قول جهم فانه يموت على الايمان قطعا
ويكون كامل الايمان عندهم وهو مع هذا عندهم من اهل الكباير الذين يدخلون النار
فلا يلزم اذا وافى بالايمان ان يكون من اهل الجنة وهذا اللازم لقولهم يدل على فساده
لان الله وعد المومن بالجنة ولذلك قالوا الاستثنا والله سبحانه يقول وعد
الله المومنين والمومنات جنات الاية قال فهولا يعني القايلين بالموافاة جعلوا
الثبات على هذا التصديق والايمان الذي وصفناه الى العاقبة والوفا به في المال
شرطا في الايمان شرعا لا لغة ولا عقلا قال وهذا مذهب سلف اصحاب الحديث
والاكثرين قال وهو اختيار الامام ابو بكر ابن فورك وكان الامام محمد بن اسحق
ابن خزيمة يغلو فيه وكان يقول من قال انا مومن حقا فهو مبتدع واما مذهب سلف
اصحاب الحديث كابن مسعود واصحابه والثوري وابن عيينة واكثر علما الكوفة
ويحيى ابن سعيد القطان فيما يرويه عن علما اهل البصرة واحمد بن حنبل وغيره من
ايمة السنة فكانوا يستثنون في الايمان وهذا متواتر عنهم لكن ليس في هولاء
من قال انا استثني لاجل الموافاة وان الايمان انما اسم لما يوافي به بل صرح ايمة هولاء هو هم
بان الاستثنا انما هو لان الايمان يتضمن فعل جميع الواجبات فلا يشهدون لانفسهم
بذلك كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى فان ذلك مما لا يعلمونه وهو تزكية لانفسهم
بلا علم كما سنذكر اقوالهم ان شا الله تعالى في ذلك واما الموافاة فما علمت احدا من
السلف علل بها الاستثنا ولكن كثير من المتاخرين يعلل بها من اصحاب الحديث من اصحاب
احمد ومالك والشافعي وغيرهم كما يعلل بها نظارهم كابي الحسن الاشعري واكثر اصحابه
لكن ليس هذا قول سلف اصحاب الحديث ثم قال فان قال قايل اذا قلتم ان الايمان المامور
به في الشريعة هو ما وصفتم من شرايطه وليس ذلك متلقا من اللغة فكيف يستقيم
قولكم ان الايمان لغوي قلنا الايمان هو التصديق لغة وشرعا غير ان الشرع ضم الى التصديق
اوصافا وشرايط مجموعها يصير مجزيا مقبولا كما قلنا في الصلاة والصوم والحج ونحوها والصلاة
في اللغة هو الدعا غير ان الشرع ضم اليها شرايط فيقال هذا يناقض ما ذكره

في



في مسمى الايمان فانهم لما زعموا انه في اللغة التصديق والشرع لم يغيره اوردوا على انفسهم
فان قيل اليس الصلاة والحج والزكاة ونحوها معدولة عن اللغة مستعملة في غير ما وضعت له
قلنا قد اختلف العلما في ذلك والصحيح انها مقررة على استعمال اهل
اللغة ومبقاة على مقتضياتها وليست منقولة او محمولة على وجه من المجاز بدليل
مقطوع به فعليه اقامة الدليل على وجود ذلك في الايمان فانه لا يجب ازالة ظواهر القرا ن
بسبب ازالة ظاهر منها فيقال انتم في الاستثنا جعلتم الشرع زاد فيه
وجعلتموه كالصلاة والزكاة مع انه لا يمكن احدا ان ينقل من الشرع دليلا على ان الايمان لا
يسمى به الا الموافي به ويقين ذلك فمعلوم ان دلالة الشرع على ضم الاعمال اليه اكثر واشهر
فكيف لم تدخل الاعمال في مسماه شرعا وقوله لا بد من دليل مقطوع به فهو انما يحتاج اليه
في النقض بالموافاة فانه لا يقطع فيه الثاني لا نسلم بل نحن نقطع بان حب الله ورسوله
وخشية الله ونحو ذلك داخل في مسمى الايمان في كلام الله ورسوله اعظم مما يقطع ببعض
افعال الصلاة والصوم والحج كمسايل النزاع قال ابو الحسن وابن فورك وغيرهما من القايلين
بالموافاة وهم لا يجعلون الشرع ضم اليه شيا بل عندهم كل من سلبه الشرع اسم الايمان
فقد عدم من قلبه التصديق قال ومن اصحابنا من لم يجعل الموافاة على الايمان شرطا في
كونه ايمانا حقيقيا في الحال وان جعل ذلك شرطا في استحقاق الثواب عليه وهذا مذهب
المعتزلة والكرامية وهو اختيار ابي اسحق الاسفرايني وكلام القاضي يدل عليه قال
وهو اختيار شيخنا ابي المعالي فانه قال الايمان ثابت في الحال قطعا لا شك فيه ولكن الايمان
الذي هو علم الفوز وآية النجاة ايمان الموافاة فاعتنى السلف به وقرنوه بالاستثنا ولم يقصدوا
الشك في الايمان الناجز قال ومن صار الى هذا يقول الايمان صفة يشتق منها اسم
المومن وهو المعرفة والتصديق كما ان العالم يشتق من العلم فاذا عرفت ذلك من
نفسي قطعت به كما قطعت باني عالم وعارف ومصدق فان ورد في المستقبل ما
يزيله خرج اذ ذاك عن استحقاق هذا الوصف ولا يقال تبينا انه لم يكن ايمانا مامورا به
بل كان ايمانا مجزيا فتغير وبطل وليس كذلك قوله انا من اهل الجنة فان ذلك غيب
عنه وهو مرجو قال ومن صار الى القول الاول يتمسك باشيا منها ان قال الايمان عبادة
العمر وهو كطاعة واحدة فيتوقف صحة اولها على سلامة اخرها كما يقول في الصلاة والصيام

والحج قالوا ولا شك انه لا يسمى في الحال وليا ولا سعيدا ولا مرضيا عند الله ولذلك الكافر
لا يسمى في الحال عدوا لله ولا شقيا الا على معنى انه يجري عليه احكام الاعدا في الحال
لا لظهار من نفسه علامتهم قلت ـــــــ هذا الذي قالوا انه لا شك فيه هو قول
ابن كلاب والاشعري واصحابه ومن وافقهم من اصحاب احمد ومالك والشافعي وغيرهم
واما اكثر الناس فيقولون بل هو اذا كفر فهو عدو لله ثم اذا امن واتقى صار وليا كان صح
لله قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
الى قوله عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور
رحيم ولذلك كان فان هولاء اهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح
امن اكثرهم وصار وامنوا اولياء الله ورسوله وابن كلاب واتباعه بنوا ذلك على ان الولاية
صفة قديمة لذات الله هي الارادة او المحبة والرضا ونحو ذلك فمعناها ارادة اثابته بعد
الموت وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم انه يموت مومنا لم يزل وليا لله لانه لم يزل الله
مريدا لادخاله الجنة وكذلك العداوة واما الجمهور فيقولون الولاية والعداوة وان تضمنت
محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضى عن الانسان ويحبه بعد ان يومن
ويعمل صالحا وانما يسخط عليه ويغضب بعد ان يكفر كما قال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما
اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم فاخبر ان الاعمال اسخطته ولذلك قال فلما
اسفونا انتقمنا منهم قال المفسرون اغضبونا ولذلك قال تعالى ان تشكروا يرضه
لكم وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء
ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع
وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت واكره
مساءته ولا بد له منه فاخبر انه لا يزال يتقرب اليه بالنوافل حتى يحبه ثم قال فاذا احببته
كنت كذا وكذا وهذا يبين ان حبه لعبده بعد اتيانه بمحابه والقران قد دل على
مثل ذلك قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومصر فقوله يحببكم الله
جواب



جواب الامر في قوله فاتبعوني وهو بمنزلة الجزا مع الشرط ولهذا جزم وهذا ثواب
عملهم وهو اتباع الرسول فاثابهم على ذلك بان احبهم وجزا الشرط وثواب العمل ومسبب
السبب لا يكون الا بعده لا قبله وهذا كقوله تعالى ادعوني استجب لكم وقوله يا قومنا
اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وقوله اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومثل هذا كثير ولذلك قوله
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين وقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر
مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان
مرصوص وكانوا قد سالوا لو علمنا اي العمل احب الى الله لعملناه وقوله ان الذين كفروا ينادون ون
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم فيكفرون فهذا يدل على ان حبه ومقته جزا لعملهم وانه اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
يحبهم اذا اتقوا وقاتلوا ولهذا رغبهم في العمل بذلك كما رغبهم بسائر ما يعد هو به وجزا
العمل بعد العمل ولذلك قوله اذ تدعون الى الايمان فتكفرون فانه مقتهم اذ يدعون
الى الايمان فيكفرون ومثل هذا قوله لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا فقوله لقد رضي الله عن
المومنين اذ يبايعونك بين انه رضي عنهم هذا الوقت فان حرف اذ ظرف لما مضى من الزمان
فعلم انه في ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وثوابا عليه والمسبب لا يكون
قبل سببه والموقت بوقت لم يكن قبله قبل وقته واذا كان راضيا عنهم من حينه فهذا
الرضا الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن الا حينئذ كما ثبت في الصحيح انه يقول لاهل الجنة
يا اهل الجنة رضيتم فيقولون يا ربنا وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من هل صح
خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا ربنا واي شي افضل من ذلك
فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وهذا يدل على انه في ذلك الوقت
حصل لهم هذا الرضوان الذي لا يعقبه سخط ابدا ودل على ان غيره من الرضوان قد
يعقبه سخط وفي الصحيحين من حديث الشفاعة يقول كل من الرسل ان ربي قد غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وفي الصحاح من غير وجه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لله افرح بتوبة عبده من رجل اضل راحلته بارض دوية
مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فاضطجع ينتظر الموت فلما استيقظ

اذا بدت له عليها طعامه وشرابه وفي رواية كيف تجدون فرحه بها قالوا عظيما يا رسول
الله قال الله اشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته ولذلك ضحكه الى رجلين يقتل
احدهما الاخر كلاهما يدخل الجنة وضحكه الى الذي يدخل الجنة اخر الناس ويقول
اتستهزئ بي وانت رب العالمين فيقول لا ولكني على ما اشاء قادر وكل هذا في الصحيح
وفي دعاء القنوت وتولني فيمن توليت والعبد لا يتصور طلبه وقد قال الله تعالى ان
وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين وقال والله ولي المتقين فهذا التولي
لهم جزاء صلاحهم وتقواهم ومسبب عنه فلا يكون متقدما عليه وان كان انما صاروا
صالحين ومتقين بمشيئته وقدرته وفضله واحسانه لكن تعلق بكونهم متقين وصالحين
فدل على ان هذا التولي هو بعد ذلك مثل كونه مع المتقين والصالحين بنصره وتاييده
وتاييده ليس ذلك قبل كونهم متقين وصالحين وهكذا الرحمة قال صلى الله عليه وسلم
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء قال الترمذي حديث
صحيح ولذلك قوله وان تشكروا يرضه لكم علق الرضا به تعليق الجزاء بالشرط والمسبب
بالسبب والجزاء انما يكون بعد الشرط وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
امنين يدل على انه يشاء ذلك فيما بعد ولذلك قوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون فان اذا ظرف لما يستقبل من الزمان فدل على انه اذا اراد كونه
واذا اراده قال له كن فيكون ولذلك قوله وقل اعملوا فسيرى الله عملكم فبين انه
سيرى ذلك في المستقبل اذا عملوه والماخذ الثاني في الاستثناء ان الايمان
المطلق يتضمن فعل ما امر الله به عبده كله وترك المحرمات كلها فاذا قال الرجل انا مؤمن
بهذا الاعتبار فقد شهد لنفسه بانه من الابرار المتقين القائمين بفعل جميع ما امروا
به وترك كل ما نهوا عنه فيكون من اولياء الله وهذا من تزكية الانسان لنفسه وشهادته
لنفسه بما لا يعلم ولو كانت هذه الشهادة صحيحة لكان ينبغي له ان يشهد لنفسه بالجنة
ان مات على هذه الحال ولا احد يشهد لنفسه بالجنة فشهادته لنفسه بالايمان كشهادته
لنفسه بالجنة اذا مات على هذه الحال وهذا ماخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون
وان جوزوا ترك الاستثناء بمعنى اخر كما سنذكره ان شاء الله قال الخلال في كتاب
السنة ثنا سليمان بن الاشعث يعني ابا داود السجستاني قال سمعت ابا عبد الله قال

له

134.

له رجل قيل لي امؤمن انت قلت نعم هل علي في ذلك شيء هل الناس الا مؤمن او كافر
فغضب احمد وقال هذا كلام الارجاء قال الله تعالى واخرون مرجون لامر الله من هؤلاء
ثم قال احمد اليس الايمان قولا وعملا قال له الرجل بلى قال فجئنا بالقول قال نعم قال فجئنا بالعمل
قال لا قال فكيف تعيب ان يقول ان شاء الله ويستثني قال ابو داود اخبرني احمد بن شريح ان
احمد بن حنبل كتب اليه في هذه المسالة ان الايمان قول وعمل فجئنا بالقول ولم نجئ بالعمل فنحن
نستثني في العمل وذكر الخلال هذا الجواب من رواية الفضل بن زياد وقال فيه زاد الفضل
سمعت ابا عبد الله يقول كان سليمان بن حرب يحمل هذا على التقبل يقول نحن نعمل ولا ندري
يتقبل منا ام لا قلت والقبول متعلق بامتثال فعله كما امر فكل من اتقى الله
في عمله ففعله كما امر فقد تقبل منه لكن هو لا يجزم بالقبول لعدم جزمه بكمال الفعل
كما قال تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون قالت عائشة
يا رسول الله هو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف قال لا يا ابنة الصديق بل
هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه وروى الخلال عن ابي طالب
قال سمعت ابا عبد الله يقول لا نجد بدا من الاستثناء لانهم اذا قالوا انا مؤمن فقد جاء
بالقول فانما الاستثناء بالعمل لا بالقول وعن اسحاق بن ابراهيم قال سمعت ابا عبد الله يقول
اذهب الى حديث ابن مسعود في الاستثناء في الايمان لان الايمان قول وعمل والعمل
الفعل فقد جئنا بالقول ونخشى ان نكون فرطنا في العمل فيعجبني ان يستثني في الايمان
يقول انا مؤمن ان شاء الله قال وسمعت ابا عبد الله وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم
وانا ان شاء الله بكم لاحقون الاستثناء هاهنا على اي شيء يقع قال على البقاع لا يدري ايدفن
في الموضع الذي سلم عليه ام في غيره وعن الميموني انه سال ابا عبد الله عن قوله ورايه
في مؤمن ان شاء الله قال اقول مؤمن ان شاء الله ومؤمن ارجو لانه لا يدري كيف البراءة للاعمال
على ما افترض عليه ام لا ومثل هذا كثير في كلام احمد وامثاله وهذا مطابق لما تقدم من
ان المؤمن المطلق هو القائم بالواجبات المستحق للجنة اذا مات على ذلك وان المفرط
بترك المامور او فعل المحظور لا يطلق عليه انه مؤمن وان المؤمن المطلق هو البر التقي
ولي الله فاذا قال انا مؤمن قطعا كان كقوله انا بر تقي ولي الله قطعا وقد كان احمد وغيره
من السلف مع هذا يكرهون سؤال الرجل لغيره امؤمن انت ويكرهون الجواب

لان هذه بدعه احدثها المرجيه ليحتجوا بها لقولهم فان الرجل يعلم من نفسه انه ليس
بكافر بل يجد قلبه مصدقا بما جا به الرسول فيقول انا مومن فثبت ان الايمان هو
التصديق لانك تجزم بانك مومن ولا تجزم بانك فعلت كلما امرت به فلما علم السلف مقصودهم
صاروا يكرهون الجواب او يفصلون الجواب وهذا لان لفظ الايمان فيه اطلاق وتقييد
فكانوا يجيبون بالايمان المقيد الذي لا يستلزم انه شاهد لنفسه بالكمال ولهذا
كان الصحيح انه يجوز ان يقال انا مومن بلا استثنا اذا اراد ذلك لكن ينبغي ان يقرن كلامه
بما يبين انه لم يرد الايمان المطلق الكامل ولهذا كان احمد يكره ان يجيب على المطلق بلا استثنا
يقدمه وقال المروذي لابي عبد الله نقول نحن المومنون فقال نقول نحن المسلمون
وقال ايضا قلت لابي عبد الله نقول انا مومنون قال ولكن نقول انا مسلمون
ومع هذا فلم يكن ينكر على من ترك الاستثنا اذا لم يكن قصده قصد المرجيه ان الايمان
مجرد القول بل تركه لما يعلم ان في قلبه ايمانا وان كان لا يجزم بكمال ايمانه قال الخلال
اخبرني احمد بن اصرم المزني ان ابا عبد الله قيل له اذا سالني الرجل فقال امومن انت قال
سوالك اياي بدعه لا يشك في ايمانه او قال لا نشك في ايماننا قال المزني وحفظي ان ابا عبد
الله قال اقول كما قال طاوس امنت بالله وملايكته وكتبه ورسله وقال الخلال اخبرني
حرب بن اسمعيل وابو داود قال ابو داود سمعت احمد قال سمعت سفين يعني ابن عيينه
يقول اذا سيل امومن انت لم يجبه ويقول اما سوالك اياي بدعه ولا اشك في ايماني
وقال ان شا الله ليس يكره ولا يداخل الشك فقد اخبر عن احمد انه قال لا نشك في ايماننا
وان السايل لا يشك في ايمان المسوول وهذا ابلغ وهو انما يجزم بانه مقر مصدق بما
جا به الرسول لا انه قايم بالواجب فعلم ان احمد وغيره من السلف كانوا يجزمون
ولا يشكون في وجود ما في القلوب من الايمان في هذه الحال ويجعلون الاستثنا عايدا
الى الايمان المطلق المتضمن فعل المامور ويحتجون ايضا على ان الاستثنا فيما لا
شك فيه وهذا ماخذ ثاني وان كنا لا نشك في ما في قلوبنا من الايمان فالاستثنا
فيما يعلم وجوده قد جات به السنه لما فيه من الحكمه وعن محمد بن الحسن بن هرون قال
سالت ابا عبد الله عن الاستثنا في الايمان فقال نعم الاستثنا على غير معنى شك مخافه
واحتياطا للعمل وقد استثنا ابن مسعود وغيره وهو مذهب الثوري قال الله تعالى
لتدخلن



لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله وقال النبي صلى الله عليه لاصحابه اني لارجوا ان شا الله ان
اكون اتقاكم لله وقال في البقيع وعليه نبعث ان شا الله فقد بين احمد انه يستثني مخافه
واحتياطا للعمل فانه يخاف ان لا يكون قد كمل المامور به فيحتاط بالاستثنا وقال
على غير معنى الشك يعني من غير شك مما يعلمه الانسان من نفسه والا فهو يشك في
تكميل العمل الذي خاف ان لا يكون كمله فيخاف من نقصه ولا يشك في اصله
قال الخلال واخبرني محمد بن ابي هرون ان حبيش بن سندي حدثهم
في هذه المساله قال ابو عبد الله قول النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على المقابر فقال
وانا ان شا الله بكم لاحقون وقد نعيت اليه نفسه وعلم انه صاير الى الموت وفي قصه
صاحب القبر عليه حييت وعليه مت وعليه تبعث ان شا الله وفي قول النبي صلى الله
عليه وسلم اني اختبات دعوتي وهي نايله ان شا الله من لا يشرك بالله شيا وفي مساله
الرجل النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا يصوم فقال اني لافعل ذلك ثم اصوم
فقال انك لست مثلنا انت قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال
والله اني لارجوا ان اكون اخشاكم لله وهذا كثير واشباهه على اليقين قال ودخل
عليه شيخ فساله عن الايمان فقال قول وعمل فقال له يزيد فقال ونقص فقال
له اقول مومن ان شا الله قال نعم فقال له انهم يقولون لي انك شاك قال بيس
ما قالوا ثم خرج فقال ردوه فقال اليس يقولون الايمان قول وعمل يزيد وينقص قال
نعم قال هولاء يستثنون قال له كيف يا ابا عبد الله قال قل لهم زعمتم ان الايمان قول
وعمل فالقول قد اتيتم به والعمل فلم تاتوا به فهذا الاستثنا لهذا العمل قيل له يستثنى
في الايمان قال نعم اقول انا مومن ان شا الله استثنا على اليقين لا على الشك ثم قال
الله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين فقد اخبر الله تبارك وتعالى انهم
داخلون المسجد الحرام فقد بين احمد في كلامه انه يستثني مع تيقنه بما هو الان موجود
فيه يقوله بلسانه وقلبه لا يشك في ذلك ويستثني لكون العمل من الايمان وهو لا يتيقن
انه اكمله بل يشك في ذلك فنفى الشك واثبت اليقين فيما يتيقنه من نفسه واثبت
الشك فيما لا يعلم وجوده وبين ان الاستثنا مستحب لهذا الثاني الذي لا يعلم هل اتى به ام
لا وهو جايز ايضا لما يتيقنه فلو استثنى لنفس الموجود في قلبه جاز لقول النبي صلى الله عليه

وسلم والله انى لارجوا ان اكون اخشاكم لله وهذا امر موجود فى الحال ليس بمستقبل
وهو كونه اخشانا لله بل هو يرجوا ان يكون حين هذا القول اخشانا لله كما يرجوا
المومن اذا عمل عملا ان يكون الله يتقبله منه ويخاف ان لا يكون يتقبله منه كما قال تعالى
والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقال النبى صلى الله عليه وسلم
هو الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ان لا يتقبل منه والقبول هو امر حاضر او
ماض وهو يرجوه ويخافه وذلك انما له عاقبة مستقبله محموده او مذمومه والانسان
يجوز وجوده وعدمه يقال انه يرجوه ويخافه فتعلق الرجا والخوف بالحاضر والماضى
لان عاقبته المطلوبه والمكروهه مستقبله فهو يرجوا ان يكون الله تقبل عمله فيثيبه عليه
ويرحمه فى المستقبل ويخاف ان لا يكون تقبله فيحرم ثوابه كما يخاف ان يكون الله قد سخط
عليه فى معصيه فيعاقبه عليها واذا كان الانسان سعى فيما يطلبه كتاجر او بريد ارسله
فى حاجه يقضيها فى بعض الاوقات فاذا مضى ذلك الوقت يقول ارجوا ان يكون
فلان قد قضى ذلك الامر وقضاه ماض لكن ما يحصل له من الفرح والسرور
وغير ذلك من مقاصده مستقبل ويقول الانسان فى الوقت الذى جرت عليه
عادة الحاج بدخولهم الى مكه ارجوا ان يكونوا دخلوا ويقول فى سريه بعثت الى الكفار
نرجوا ان يكون الله قد نصر المومنين وغنمهم ويقال فى نيل مصر عند وقت ارتفاعه
نرجوا ان يكون قد صعد النيل كما يقول الحاضر فى مصر مثل هذا الوقت نرجوا ان
يكون النيل هذا العام نيلا مرتفعا ويقال لمن له ارض يحب ان تمطر اذا مطرت بعض
النواحى ارجوا ان يكون المطر عاما وارجوا ان يكون قد مطرت الارض الفلانيه وذلك
لان المرجوا هو مما يفرح بوجوده ويسر والمكروه بالعكس وجوده وهذا يتعلق بالعلم
والعلم بذلك مستقبل فاذا علم ان المسلمين انتصروا والحاج قد دخلوا والمطر قد نزل
فرح بذلك وحصل به مقاصد اخر له واذا كان الامر بخلاف ذلك لم يحصل ذلك المحبوب
المطلوب فيقول ارجوا واخاف لان المحبوب والمكروه متعلق بالعلم بذلك وهو مستقبل
وكذلك المطلوب بالايمان من السعاده والنجاه هو امر مستقبل فيستثنى فى الحاضر
بذلك لان المطلوب به مستقبل ثم كل مطلوب مستقبل يتعلق بمشيه الله وان جزم
بوجوده لانه لا يكون مستقبل الا بمشيه الله فقولنا يكون هذا ان شا الله حق فانه
لا



لا يكون الا ان يشا الله والشك واللفظ ليس فيه الا التعليق وليس من ضروره التعليق
الشك بل هذا بحسب علم المتكلم فتاره يكون شاكا وتاره لا يكون شاكا فلما كان الشك
يصحبها لعدم علم الانسان بالعواقب ظن الظان ان الشك داخل فى معناها وليس
كذلك فقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله لا يتصور فيه شك من الله بل ولا من
رسوله المخاطب والمومنين ولهذا قال ثعلب هذا استثنا من الله وقد علمه والخلق يستثنون
فيما لا يعلمون وقال ابو عبيده وابن قتيبه ان بمعنى اذ اى اذ شا الله ومقصودهم بهذا
تحقق الفعل بان كان كما يتحقق مع اذ والا فاذ ظرف توقيت وان حرف تعليق فان
قيل فالعرب تقول اذا احمر البسر فاتنى ولا تقول ان احمر البسر قيل لان المقصود هنا
توقيت الاتيان بحين احمراره فاتوا بالظرف المحقق ولفظ ان لا يدل على توقيت بل هى
تعليق محض يقتضى ارتباط الفعل الثانى بالاول ونظير ما نحن فيه ان يقولوا
البسر يحمر ويطيب ان شا الله وهذا حق وهذا نظير ذلك فان قيل فطايفه
من الناس فهموا من هذا المعنى وجعلوا الاستثنا لامر مشكوك فيه فقال الزجاج
لتدخلن المسجد الحرام اى امركم الله به وقيل الاستثنا يعود الى الامن والخوف اى لتدخلنه
امنين فاما الدخول فلا شك فيه وقيل لتدخلن جميعكم او بعضكم لانه علم ان بعضهم يموت
فالاستثنا لانهم لم يدخلوا جميعهم قيل كل هذه الاقوال وقع اصحابها فيما فروا منه مع
خروجهم عن مدلول القران فحرفوه مع انهم لم ينتفعوا به فان قول من قال اى امركم
الله به وهو سبحانه قد علم هل يامرهم او لا يامرهم فعلمه بان سيامرهم بدخوله كعلمه
بان سيدخلونه فعلقوا الاستثنا بما لم يدل عليه اللفظ وعلم الله متعلق بالمظهر والمضمر
جميعا وكذلك من جعله لعلمه انهم يدخلون امنين او خائفين وقد اخبر
انهم يدخلون امنين مع علمه بانهم يدخلون امنين فكلا الامرين فيه شك عند الله بل
ولا عند رسوله وقول من قال جميعهم او بعضهم يقال المعلق بالمشيه
دخول من اريد باللفظ فان كان اراد الجميع فالجميع لا بد ان يدخلوا وان اريد الا الاكثر كان
دخولهم هو المعلق بالمشيه وما لم يرد لا يحتاج ان يعلق بان وانما علق بان ما سيكون
وكان هذا وعدا مجزوما به ولهذا لما قال عمر للنبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبيه الم تكن
تحدثنا انا نأتى البيت ونطوف به قال بلى افقلت لك انك تاتيه هذا العام قال لا قال فانك اتيه

ومطوف به فان قيــــل لم لم يعلق عبرهذا من مواعيد القران قيل
لان هذه الايه نزلت بعد رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبيه وكانوا قد اعتمروا
ذلك العام واجتهدوا في الدخول فصدهم المشركون فرجعوا وبهم من
الالم ما لا يعلمه الا الله وكانوا منتظرين لتحقيق هذا الوعد ذلك العام اذ كان
النبي صلى الله عليه وسلم وعدهم وعدا مطلقا وقد روي انه راى في المنام قايلا يقول
له لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله فاصبح يحدث الناس برؤياه وامرهم بالخروج الى
العمره فلم يحصل لهم العمره ذلك العام فنزلت هذه الايه واعدا لهم بما وعدهم به
الرسول من الامر الذي كانوا يظنون حصوله ذلك العام وكان قول ان شا الله هنا
تحقيقا لدخوله وان الله يحقق ذلك لكم كما يقول الرجل فيما عزم على ان يفعله لا محاله والله
لافعلن كذا ان شا الله لا يقولها لشك في ارادته وعزمه بل تحقيقا لعزمه وارادته فانه
يخاف اذا لم يقل ان شا الله ان ينقض الله عزمه ولا يحصل ما طلبه كما في الصحيحين ان سليمان
عليه السلام قال والله لاطوفن الليله على ماية امراة كل منهن تاتي بفارس يقاتل في سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة جات بشق ولد رجل قال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسان
اجمعون فهو اذا قال ان شا الله لم يكن لشك في طلبه وارادته بل لتحقيق الله ذلك له اذ
الامور لا تحصل الا بمشيه الله فاذا تالى العبد عليه من غير تعليق بمشيه لم يحصل مراده
فانه من يتالى على الله يكذبه ولهذا قيل لا تتيقن لعقد رايا وقيل لبعضهم بماذا عرفت ربك
قال بفسخ العزايم ونقض الهمم وقد قال تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا
ان يشا الله فان قوله لافعلن فيه معنى الطلب والخبر وطلبه جازم واما كون مطلوبه
مع هذا يكون او لا يكون فيجب ان يكون من الله حوله وقوته ففي الطلب عليه
ان يطلب من الله وفي الخبر لا يخبر الا بما علمه الله فاذا جزم بلا تعليق كان كالمتالي على الله
فيكذبه على الله والمسلم في الامر الذي هو عازم عليه ومريد له وطالب له طلبا لا
يكون الا بمشيه الله لا لتردد في ارادته والرب تعالى مريد لانجاز ما وعدهم به ارادة جازمه
لا مثنوية فيها وما شا فعل فانه سبحانه ما شا كان وما لم يشا لم يكن ليس كالعبد الذي
يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد فقوله سبحانه ان شا الله تحقيق ان ما وعدتم به يكون
لا محاله

يتردد فيه بين ان يشا الله حصول مطلوبه وحصول ما يتمنى فيه ... صح

يروى صح



لا محاله بمشيتي وارادتي فاني ما شيت كان وما لم اشا لم يكن فكان الاستثنا هنا
لقصد التحقيق لكونهم لم يحصل لهم مطلوبهم الذي وعدوا به ذلك العام واما سايره
ما وعدوا به فلم يكن كذلك ولهذا تنازع الفقها فيمن اراد ما استثنا به في اليمين هذا المعنى
هل يكون مستثنا به بلا نزاع ام يلزمه الكفاره اذا حنث بخلاف من ترددت ارادته
فانه يكون مستثنيا بلا نزاع والصحيح في الجميع انه يكون مستثنيا لعموم المشيه ولان الرجل
وان كانت ارادته للمحلوف به جازمه فقد علقه بمشيه الله فهو جزم بارادته له لا
جزم بحصول مراده ولا هو ايضا مريد له بتقدير ان لا يكون فان هذا يمنى لا اراده
فهو انما التزمه اذا شاه الله فاذا لم يشاه لم يلتزمه بيمينه ولا انه يكون وان كانت
ارادته له جازمه فليس كلما اريد التزم باليمين فلا كفاره عليه وقد بين بما ذكرناه
ان قول القايل ان شا الله يكون مع كمال ارادته في حصول المطلوب وهو يقولها
لتحقيق المطلوب لاستعانته بالله في ذلك لا لشك في الاراده هذا فيما يحلف عليه ويريد
كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله فانه خبر عما اراد الله كونه وهو عالم انه
سيكون وقد علقه بقوله ان شا الله فلذلك ما يخبر به الانسان عن مستقبل امره
مما هو جازم بارادته وجازم بوقوعه فيقول فيه ان شا الله لتحقيق وقوعه لا للشك لا
في ارادته ولا في العلم بوقوعه ولهذا اذا كان الاستثنا عند كمال الرغبه في المعلق وقوة
اراده الانسان له فتنفي خواطر الخوف تعارض الرجا فيقول ان شا الله لتحقيق رجاه
مع علمه بان سيكون كما يسال الله ويدعوه بالامر الذي قد علم انه يكون كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد اخبرهم بمصارع المشركين ثم هذا يدخل الى العريش
يستغيث ربه ويقول اللهم انجز لي ما وعدتني لان العلم بما يقدره لا ينافي ان يكون قدره
باسباب والدعا من اعظم اسبابه كذلك رجا رحمه الله وخوف عذابه من اعظم اسباب
النجاه من عذابه وحصول رحمته والاستثنا بالمشيه يحصل في الخبر المحض وفي
الخبر الذي معه طلب فالاول اذا حلف على جمله خبريه لا يقصد به حضا ولا منعا
بل تصديقا او تكذيبا كقوله والله ليكونن كذا ان شا الله او لا يكون كذا والمستثني قد يكون
عالما ان هذا يكون او لا يكون كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام فان هذا جواب خبر
محذوف والثاني ما فيه معنى الطلب كقوله والله لافعلن كذا او لا افعله ان شا الله

حلف صح

هو بعده صح

فالصيغة صيغة خبر ضمنها الطلب ولم يقل والله اني لمريد لهذا ولا عازم عليه بل قال
والله ليكونن فاذا لم يكن فقد حنث لوقوع الامر بخلاف ما حلف عليه فحنث فاذا
قال ان شاء الله فانما حلف عليه مقيد بان يشاء الله لا مطلقا ولهذا ذهب كثير من
الفقها الى انه متى لم يوجد المحلوف عليه حنث او متى وجد الفعل المحلوف انه لا يفعله
حنث سوا كان ناسيا او مخطيا او جاهلا فانهم لحظوا ان هذا في معنى الخبر فاذا وجد
خلاف مخبره فقد حنث، وقال الاخرون بل هذا مقصوده الحظ والمنع كالامر والنهي
ومتى نهي الانسان عن شي ففعله ناسيا او مخطيا لم يكن مخالفا فكذلك هذا فالاول
فقد يكون في معنى التصديق والتكذيب كقوله والله ليفعلن كذا وهذا خبر محض ليس او لا يفعل صح
فيه حض ولا منع ولو حلف على اعتقاده وكان الامر بخلاف ما حلف عليه حنث وبهذا
يظهر الفرق بين الحلف على الماضي والحلف على المستقبل فان اليمين على الماضي غير منعقدة
فاذا اخطا فيها لم يلزمه كفارة كالغموس بخلاف المستقبل وليس عليه ان يستثني في المستقبل
المستقبل اذا كان فعله قال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي
لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فامره ان يقسم على ما يستقبلون وكذلك
قوله وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى وربي لتاتينكم كما امره ان يقسم على الحاضر
في قوله ويستنبئونك احق هو قل اي وربي انه لحق وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكما عدلا مقسطا وقال والذي نفسي واما اماما صح
بيده لا تذهب الدنيا حتى ياتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول
فيم قتل وقال هلك كسرى او ليهلكن كسرى ثم لا يكون كسرى بعده واذا هلك قيصر
فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وكلاهما في الصحيح
فاقسم صلوات الله وسلامه عليه على المستقبل في مواضع كثيرة بلا استثناء والله اعلم
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ٥

بلغ مقابلة على نسخة قرئت على المصنف
رضي الله عنه